صفات رب العالمين

في الكتاب الحكيم وسنَّة النبي الأمين

تقديـــم

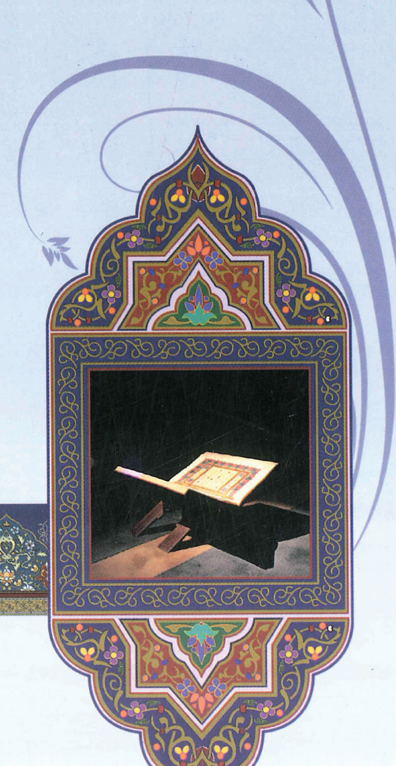
العلامة محدث العصر

شعيب الأرنؤوط

أ.د. بسام الشطي

رئيس قسم العقيدة والدعوة

بكلية الشريعة بجامعة الكويت

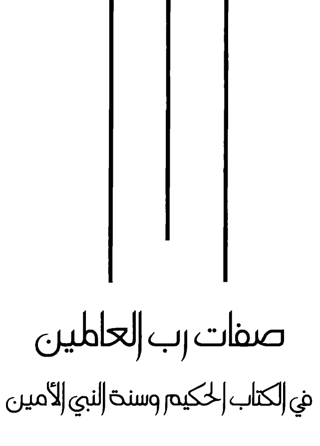


تأليـــف

ماهـــر مقـــدم

الطبعة السادسة





صفات رب العالمين

في الكتاب الحكيم وسنة النبي الأمين

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجانًا
بدون حذف، أو إضافة، أو تغيير
فله ذلك، وجزاه الله خيرًا

الطبعة السادسة

١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧م



مكتبة الإمام الذهبي

للنشر والتوزيع

❖ الكويت ـ حولي ـ شارع المثنى ـ مجمع البدري ـ ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤ ـ الساخن: ٩٤٤٠٥٥٥٩ ـ ص. ب: ١٠٧٥ حولي ـ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت

❖ فرع حولي ـ شارع المثنى ـ تلفون : ٢٢٦١٥٠٤٦

❖ فرع المباركية ـ مقابل مسجد ابن بحر ـ ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤

❖ فرع الفحيحيل البرج الأخضر شارع الدبوس ـ ت : ٢٥٤٥٦٠٦٩

❖ فرع المصاحف ـ ت : ٢٢٦٢٩٠٧٨

❖ الجملة والتوزيع الخيري ـ ت ٩٤٤٠٥٥٥٩

(١) السلسلة الذَّهبية في شرح صفات ربنا الجليلة
(البسيط)

صِفَاتُ رَبِّ العَالَمِينَ

في الكتاب الحكيم وسنَّة النبي الأمين

تقديم وتقريظ

الشيخ العلامة محدث العصر

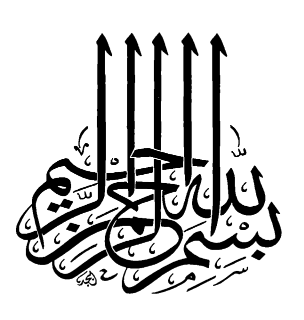
شعيب الأرنؤوط

أ.د. بسام خضر الشطى

رئيس قسم العقيدة والدعوة بكلية الشريعة بجامعة الكويت

تأليف

ماهر مقدم


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدِّث

شُعيب الأرنؤوط

رحمه الله وأجزل مثوبته

الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ، وبعد . .

فإنَّ من فضل الله علينا أن وفَّقنا إلى طرح التقليد جانباً ، والعودة لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّنا محمد ﷺ نتفهَّم منهما أمور ديننا ودُنيانا ، ونُصحِّح مسار كثير من الأحكام التي كانت ولا زالت في عصر الجمود والتقليد ، وهذه الطريقة المحمودة هي التي ينبغي أن يخلص إليها طالب العلم المجد والنَّابه في تتبُّع الدليل الصحيح ، فيجمع بين صحيح المنقول ، بصريح المعقول .

وقد وفَّق الله أخينا الشيخ ماهر المقدم إلى التزام هذا المنهج والأخذ به والتعويل عليه في كل ما يكتب من الدراسات العلمية الإسلامية ، التي تهم عامة المسلمين على اختلاف طبقاتهم العلمية والمعرفية ، بحيث يستفيد من دراساته الجادة العامي والمثقف وطالب العلم ؛ وذلك لأنها مفيدة في بابها ، وتدلُّ على همَّة مُجدَّة ، ونفس شغوفة في البحث والاستفادة ، فتحرَّى من الأحكام أوضحها ، ومن الأحاديث أصحها ، ومن الأقوال أعدلها ، فيطمئن القارئ أياً كان إلى ما يكتب من مسائل علمية ودراسة قيمة .

ويجدر بطلاب العلم أن يفيدوا من دراساته التي قام بها بجدٍّ وحرص واهتمام ، بذل فيها جهداً كبيراً ، ووقتاً طويلاً ، والناظر فيها يلحظ ذلك سريعاً ، وهذا يدلُّ على صدقه في البحث والإفادة النافعة لإخوانه طلبة العلم ، وكنت قد اطلعتُ له على مجموعة طيبة من التآليف ، تتناول مسائل

أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى، اعتنى بها جمعاً ودراسة على معتقد أهل السنة والجماعة، بما يوافق مذهب السلف الصالح الذي هو أعلم وأسلم وأحكم وأقوم، وقد قدَّمت له بعضها مما ظهر لي فيها من النفع والفائدة للمسلمين، جزاه الله خيراً.

وهذا الكتاب الذي نكتب له مقدمة وجيزة، «**صفات رب العالمين في الكتاب الحكيم وسنة النبي الأمين**» اطلعت عليه، وقرأه عليَّ صاحبنا المفضال الوفي الأثير الأستاذ أبو العالية الجوراني، وسرني كثيراً أن وجدت فيه تأصيل المسائل بالكتاب والسنة الصحيحة، والكتابة بأسلوب سهل ميسور، بعيدة عن التدقيق والتشديد الذي يقيمه اليوم من لا يحسن فهم العقيدة الإسلامية الصحيحة، فيُدخل نفسه وتلامذته في ضلالات ومتاهات المنطق الصوري القديم والفلسفة التي لم تأت في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، فهذا الكتاب بحمد الله بمقدور أي مسلم أن يفهم هذه المسائل العقدية بكل سهولة، فيأخذ بيده لبرَّ الأمان بحمد الله تعالى.

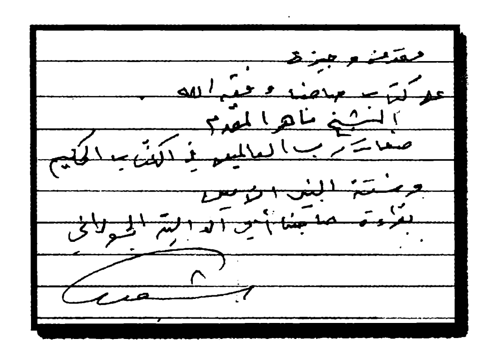
فجزى الله خير الجزاء، الأستاذ المقدم على هذه الدراسة القيمة، وأعظم له الأجر والمثوبة، وجعل ما يكتب مما ينفع الإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه

شعيب الأرنؤوط

١٤٣٥هـ


مقدمة وجيزة
على كتاب صاحبنا [illegible]
الشيخ ماهر المقدم
صفات رب العالمين في الكتاب الحكيم
وسنة النبي الأمين
بقراءة صاحبنا أبي العالية الجوراني




تقديم
الأستاذ الدكتور / بسام خضر الشطي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد،

فإن العلم بالله عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته العلا أشرف العلوم وأعلاها وأزكاها وأنفعها وأعظمها وأهمها على الإطلاق.

فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، ومنعوت بنعوت الجلال، ومنزَّه عن العيوب والنقائص والمثال، وتمت كلماته صدقًا وعدلاً، ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلاً.

والله عز وجل خلق العالم ليَعرف عبادُه كمال قدرته وإحاطة علمه، ويستلزم معرفة أسمائه وصفاته وتوحيده، وأصل أصول الإيمان بالله معرفة أسماء الله عز وجل وصفاته، حتى يبلغ العبد درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون رسوخ إيمانه في قلبه ليزداد محبة وخشية وخوفًا ورجاءً وإخلاص العمل لله سبحانه، وهذا عين سعادة العبد.

قال رسول الله ﷺ: **«يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات: اللهم! إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا،**

ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب» رواه الطبراني في الكبير ٧١٣٥، وجوَّد إسناده العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في (الصحيحة) ٣٢٢٨.

وحيث أن الأخ الفاضل ماهر عبد الحميد مقدم؛ قدَّم لي كتابه المعنون: صفات رب العالمين في الكتاب الحكيم وسنة النبي الأمين ﷺ ضمن السلسلة الذهبية في شرح صفات ربنا الجليلة، وقد قرأت الكتاب وألفيته متميزًا في جمعه وأسلوبه ودقة استشهاداته، ونسقه وتألقه، وهي إضافة جديدة إلى المكتبة الإسلامية لا سيما في أنفس العلوم (العقيدة) فنسأل الله له التوفيق والسداد، وأن يبارك الله في جهوده ويضاعف مثوبته.. والحمد لله رب العالمين.

كتبه الأستاذ الدكتور /

بسام خضر الشطي

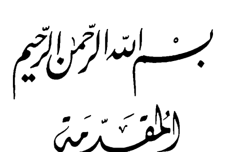
الأستاذ بقسم العقيدة والدعوة ـ بكلية الشريعة

جامعة الكويت

فجر الاثنين ١٤/١/١٤٣٥هـ

١٨/١١/٢٠١٣م





إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سَيِّئات أعمالِنا، مَن يهد الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

«أما بعد: فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد - ﷺ -، وشَرَّ الأمور محدَثاتُها، وكلَّ بدعة ضَلالة[1]، وكلَّ ضَلالة في النار»[2].

---

(١) مسلم (٨٦٧).

(٢) هذه الزيادة أخرجها البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٢١٤)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (١٤٠٤)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٣/١)، وانظر «صحيح الجامع» (١٣٥٣).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

الحمد لله الذي هَدانا لمعرفتِه، حمدًا كثيرًا طَيِّبًا لا يُعدّ ولا يُحصى، كما يُحِبُّ رَبُّنا ويرضى، الحمد لله كما عَرَّفَنا بأسمائه، وصِفاته، وأفعالِه، ولم يحجبنا عنها كسائر عِباده.

اعلم رحمني الله تعالى وإيَّاك: أنَّ أجلَّ العُلوم، وأشرفها، وأعظمها، وأرفعها على الإطلاق، هو العلم بالله تعالى بِصِفاته العُلا، وأسمائه الحسنى، وأفعالِه الهدى، إذْ إن شرفَ العِلم تابع لِشَرف المعلوم، وأي معلوم يا عبد الله أعظم، وأجلّ، وأكمل من العلم به سبحانه، بما يستحقُّ من الكمال العلا، الذي ليس له حدٌّ ولا مُنْتَهى.

يقول محمد عبد الرؤوف المُناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ولا شكّ أن أعظمَ المَدْلولات، ذات الله تعالى، وصِفاته، وأشرف العلوم، وأعلاها قَدْرًا، وأرفعها مَنارًا، وأبقاها ذُخْرًا، هو العلم الإلهي الباحث عن ذاتِه تَقَدَّسَ، وصفاته الذاتية والسلبية، والثبوتِيَّة، وما يدلُّ عليها من صنائعه، وأفعالِه»[1].

فهو أصلُ العُلوم، فكل علمٍ تابع للعلمِ به، مفتقر في تحقيق ذاتِه إليه، فمَنْ عرفَ الله عرفَ ما سِواه، ومَنْ جهِل رَبَّه فهو لِما سِواه أجهلُ، فعَلى أساس العلم الصحيح بالله، وأسمائِه، وصفاتِه، يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالِص، وتنبني مَطالِب الرسالة جميعها، فلا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا سُرور، ولا أمان، ولا طمأنينة إلّا بأن تعرف

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النَّذير» (١/٥١١).




رَبَّها ومعبودَها وفاطرَها، ويكون أحبّ إليها مِمّا سِواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنُه أن يَنالَ معرفة، ولا هِداية، وبدون اهتدائِه إلى رَبِّه لا يكون إلّا شَقِيًّا معذَّبًا، كما هو حالُ الكافرين.

كذلك فإنَّ مَن في قلبه أدنى حياة، أو محبة لِرَبِّه، وإرادة لِوجهه وشوق إلى لِقائه، فطلبُه لِهذا الباب، وحِرصه على معرفته، وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله، واستكشافه عنه، هو أكبر مقاصدِه، وأعظم مَطالبِه، وأجلّ غاياته، فهذا هو الكَمال الذي لا كَمال للعبد بِدونه، وله خُلِقَ الخلقُ، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السموات والأرض...، وهو بِحَقٍّ أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العُقول، وليس القلوب الصحيحة، والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فَرَحِها بالظَّفر بمعرفة الحَقِّ به[1].

فالعلم بها أهمُّ من أن تعلم الجنَّة، والنار وما أشبه ذلك (من الغَيْبِيّات التي أخبر الله عنها)، لأنه لا يمكن للإنسان (أن) يعبد الله تعالى وهو لا يعرف أسماءَه، ولا صفاته، كيف يَعبُدُ؟ أيعبد شيئًا مَجْهولًا[2].

فمعرفة الله تعالى هي أصلُ العبوديات كلها، الظاهرة والباطنة، الحِسيَّة والمعنوية، والعِلميّة والعَمليَّة: من المَحبَّة، والخوف، والرَّجاء، والتوكل، والإجلال، والتعظيم وغيرها، لأن «الإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائِقِها، وتعلق القلبِ بها، وشهوده لها، هو مبدأ

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» (٢٨).

(٢) «الدرة العثيمينية بشرح فتح رَبّ البرية بتلخيص الحموية» للعلامة ابن عثيمين (٦١).

الطريق، ووسطه، وغايتُه، وهو روحُ السالكين، وحاديهم إلى الوُصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصِّفات»[١]، لأن أصل المعرفة مكنونة في القلب، والقلب مَلِكُ الأركان في الأبدان، فكلُّها تابعة له، ولهذا كان القلب محلَّ نَظَر الرَّبِّ، لأن «أصل العبوديَّة هو عبودية القلب، وبحسب قوة معرفتِه بالله تعالى يكون نصيبه من وصف العبودية، وشعوره بالحَلاوة الإيمانية، وتحققه بأنواع العِبادة وارتقائه بصاحبِه في دَرَجات العُبودية إلى مَراتب المُحسنين، المقربين السابقين بالخَيْرات»[٢]، لأن لكلِّ صفة من صفات رَبِّ العالمين لها عبودية خاصَّة بها، وعلى هذا: كلَّما ازداد العبد معرفة بأوصاف الرَّبِّ، تنويعًا، وبسطًا، ومعنًى، وآثارًا، زادت عُبوديته لله تعالى وحده، وهذا غاية الغايات، ومنتهى المُرادات.

ولهذا «ينبغي أن نبحثَ عن صِفات الله تبارك وتَعالى، سواء الصِّفات التي ليس لها أسماء، والصِّفات التي تضمنتها الأسماء، فابحث، لأنَّك كلَّما ازددت معرفة بالله، وأسمائه، وصِفاته، ازددتَ يَقينًا»[٣]، وهو أعلى دَرَجات الإيمان، الذي يُوصِلك إلى أعالي الجِنان.

واعلم وفَّقَكَ الله للهدى، أن تعلُّمَ ومُدارسةَ صِفات رَبِّ الورى، والبحث والجِدَّ في تحصيلها، له لَذَّةٌ ومتعة ومنفعة، واللهِ لا يعلمها إلّا رَبُّنا ﷻ فهي نعمة ما بعدها نعمة، وقد وصف ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوصف ما أجمله، قال: «فيا له من سَفَرٍ ما أبركه، وأروحه، وأعظم ثمرته،

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/٣٥٠)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/٥١٠).

(٢) «تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات». فوز بنت عبد اللطيف كردي (٢٤٤).

(٣) «تفسير سورة المائدة» لابن عثيمين (٤/٤٦٨).



وربحه، وأجلّ منفعته، وأحسن عاقبته، سفرٌ هو حياةُ الأرواح، ومفتاح السَّعادة، وغنيمة العُقول والألباب، لا كالسَّفَر الذي هو قطعة من العذاب»[1].

والله إنه أعظم نعيم عاجل في هذه الدّار، قبل يوم القرار، لِمَن وفَّقه الله لِحُبِّها، والعمل بِمُقْتَضاها بالليل والنّهار، في الحضر وفي الأسفار، فهي الحياة الحقيقية التي ليس لها مَثيل، ولا عديل في الحياة الدنيوية.

۞ أهمية الموضوع، وسَبَبُ اختيارِه:

إنَّ أهمية صِفات رَبِّ العالمين لا حَدَّ لقدرها، وعظم شأنها، لأنها «أعظم ما يخطر بالبال، أو يدور بالخَيال»[2]، وإنما يتقرَّب العبد من الرب على قَدْر عِلْمه، واستطاعته، ومهما نوه فهو غَيْضٌ من فَيْض، ومما يدل على أهمية هذا الموضوع:

(١) إنَّ معرفةَ صفات الله تعالى أصلُ التوحيد، وأساسه الذي يستلزم أنواعَ التوحيد كلها، ويتضمَّنها، يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل التوحيد: إثباتُ ما أثبتَه الله تعالى لِنَفْسِه، أو أثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوَتْ عليه من المَعاني الجَليلة، والمَعارف الجَميلة...»[3]. ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإيمان بأسماء الله الحسنى[4] ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة...»[1].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (٢/٣٠).

(٢) «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية (١١٣).

(٣) «الحق الواضح المبين» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢١).

(٤) الأسماء الحسنى متضمنة للصفات العلا، فكل اسم يتضمن صفة كما سيأتي.

(٢) إن معرفتها هو أصل الإيمان وقاعدته، وينبوعه، وأوَّله، وأوسطه، وآخره.

وقد تواترَت النُّصوص على أن أفضلَ الأعمال: الإيمان بالله تعالى، فمن الأدلة: عن عبد الله بن حبشي الخثعمي، أن النبي ﷺ سُئِلَ: أيُّ العَمَل أفضل؟ قال: «إيمانٌ لا شَكَّ فيه»[٢].

(٣) معرفة الله تعالى بصِفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق في هذه الدار، فمن أخذَ بزمامِه أخذ بأصلِ كلِّ علمٍ، ومنشئه، ومُنْتَهاه، لِعِظَم تعلُّقه، ومَدْلوله، على ذات الله: رَبُّ العالمين، قَيُّوم السموات والأرضين، المَلِكُ، الإله، العَظيم، الحقُّ المُبين.

(٤) إنَّ معرفة الله تعالى بصفاته هو الطريق الأمثل والأكمل الذي لا يسير عليه إلّا الكُمَّل من خَلْقِه إلى عُبودِيَّته، من جميع أنواعِها، وأفرادها، ومراتبها، قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فذَكَرَ رُبوبيته، والتي هي من أعظم أوصافِه في مطلع الآية، ثم جاء «بالاستفهام بمعنى النفي،... فهذا بُرهانٌ قاطع على أنه هو المستحق لإفراده بالعُبوديَّة، وأنَّ عبادته حقٌّ، وعبادة ما سِواه باطل، فلهذا أمرَ بِعِبادتِه وحدهُ، والاصطبار لها، وعلَّل ذلك: بِكَماله، وانفراده بالعَظَمَة، والأسماء الحسنى»[٣].

(٥) إن محبة صفات الله سبحانه والتعلُّق بها موصلة إلى أسمى

---

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (٤١).

(٢) صححه الألباني في «صحيح النسائي» (٢٥٢٦) وفي «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٤).

(٣) «تفسير السعدي» (٤٩٨).



المطالب، وأعلى الغايات، وهي: الجنّات: «فقد بشر ﷺ الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص: أحبها لأنها صفة الرحمن، فقال ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة» وفي لفظ: «أخبروه أن الله يحبه»[1]، فدلَّ على أن من أحب صفات الله تعالى: أحبه الله، وأدخله الجنة»[2].

وبالجملة فكُلَّما كان العبد أعرفَ بِصفات الرَّبِّ، كان لله تعالى أخشعَ، وأتقى، وكان في ازدياد في العلم والهُدى، والمعارف الرَّبانِيَّة، والحقائق اليقينية الإيمانية، والأحوال التعبُّدية، الظاهرة منها والباطنية.

خطة البحث:

- بدأت بِمقدمَّة بَيَّنْتُ فيها أهميةَ الموضوع.
- ثم ذكرتُ مُلخَّصًا في أهمية الصِّفات.
- ثم عرَّفتُ معنى الصِّفة لغة واصطلاحًا.
- ثم ذكرتُ قواعد الصِّفات العُلا[3]، مبتدئًا بِذِكْر أهمية القواعد والأصول، وقد ذكرت خمس عشرة قاعدة، وختمت فيها بِقاعدة عامَّة واسعة في تقسيم صِفات رَبِّ العالمين.
- وقد قَسَّمْتُ الصِّفات بالتفصيل إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الصفات الثبوتِيَّة، **وهي نوعان**: الذاتية، والفعلية.

فبدأت بالصِّفات الذّاتية، وقد ذكرتُ قواعد وضَوابط لهذا النوع، ثم شرعت في الكلام عن الذّات الإلَهية، وعلاقة الذات بالصِّفات.

---

(١) البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣)، وصحيح الترمذي (٢٩٠١).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٢٩٢).

(٣) غير القواعد والضوابط عند كل قسم من الصفات.

ثم الصفات الذاتية بالتفصيل: أذكر الصِّفةَ، ثم الدَّليل الشرعي عليها، ثم المعنى في اللغة، ثم المعنى في الشرع، بشرح وسط بلا تطويل ممل، ولا إيجاز مخلّ.

القسم الثاني من الصِّفات الثبوتيَّة، وهي: الفعلية، **وهي نوعان:** مقيَّدة، ومطلقة.

وقد ذكرتُ القواعد والضوابط لهذا القسم، ثم شرعت في الكلام عن الصفات الفعلية المقيَّدة[1] بالتفصيل.

ثم انتقلت إلى النوع الثاني من الصفات الفعلية، وهي: المطلقة، فذكرت قواعدها، وضوابطها، وألحقت بذلك التفصيل.

ثم القسم الثالث من الصفات: وهي الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية، فهي ذاتية من جهة، وفعلية من جهة أخرى.

فبينت لذلك ومثلت بأمثلة، ثم أتيت على ذكرها بالتفصيل، فتتبعتها صفة صفة، على نحو ما يسَّر الله تعالى.

ثم ذكرتُ **القسم الرابع وهو الأخير من الصِّفات**، وهي: الصفات المنفية، فذكرتُ القواعد والتعاريف لهذا النوع.

۞ منهجي في تصنيف هذا الكتاب:

أولًا: أُحِبُّ أن أنوِّهَ بأنني قد اقتصرت على ذكر الصفات الغير مُشتَقَّة من الأسماء الحسنى في مادَّة الكتاب.

---

(١) ولقد تم التعديل في الطبعة الرابعة بتقديم الصفات الفعلية المطلقة على المقيدة، وكذلك إضافة قسم جديد للصفات المقيدة وهي: الصفات المقيدة على وجه الجزاء بالمثوبة.

ثانيًا: إنَّني لم أتطرَّق إلى الخِلافات العقديَّة التي قد حصلَتْ بين أهل السُّنَّة ومُخالفيهم من التأويلات والانحرافات، بل عرَضْتُ عقيدةَ أهل السُّنَّة المُوافِقَة للكتاب والحكمة، إذ المقصد من مادَّة الكتاب أن تصلَ إلى القارئ غضَّةً طريَّة كما نزلَتْ في الكتاب والسنَّة، لِيَعيش القارئ في رِحاب المَعاني الجَليلة، وما تقتضي من الآثار والمَنافع الرشيدة، في حياته المَعاشِيَّة والشرعِيَّة.

ثالثًا: أنَّني أختارُ المَعاني اللُّغَوِيَّة لِمادَّة كتابِنا مكتفيًا بالمعنى المراد منها دون التوسع لِلمَعاني للكلمة الأخرى، إلّا إذا احتاجَ الأمر.

رابعًا: إنَّني استقصيت غالب الصِّفات في الأقسام الأربعة، إلا الصفات الفعلية المطلقة، إذ لا حصر لها(١).

خامِسًا: قد أذكر الصفة في قسمين من الأقسام لتضمن معانيها فيهما(٢).

سادسًا: لم أتوسَّع في تخريج الأحاديث، بل ذكرتُ الصحيح منها، فإذا كان في الصحيحين أكتفي بذِكْرِهما، وإذا كان في غيرِهما ذكرتُ مَنْ صَحَّحَها.

وخِتامًا، فهذا جهدي، جهد عبدٍ ضَعيف، قصير الباع، قليل الفقه والعلم، ومع هذا فإنِّي أرجو الله ﷻ أن يقبلَه مِنِّي، على قدر نِيَّتي، وأن

---

(١) لأنه كما تقدم لم أدخل الصفات الغير مشتقة من الأسماء، والأمر الآخر أن هذه سلسلة من ثلاثة أقسام: البسيط، والوسيط وقد طبع، وجمع الجوامع يسّر الله إخراجه بإذنه ومشيئته.

(٢) مثل صفة «التشديد» فهي من الصفات «الفعلية المقيدة» ومن الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية، أي: «الذاتية والفعلية» كذلك صفة «الأخذ» فهي «فعلية مقيدة» وكذلك من الصفات «الذاتية الفعلية» ومثل: صفة «النيسيان» فهي فعلية مقيدة وكذلك من الصفات «المنفية» وصفة (المنع) فلها تعلق بالصفات الفعلية المقيدة، والمطلقة والصفات المنفية.

يجعلَه جهدًا نافعًا طَيِّبًا مبارَكًا فيه، أنتفع به وإخواني المسلمين في أجَلِّ وأعظمِ مَسائل الدِّين في حق معبودِنا، وإلهنا، ومحبوبِنا، ومُرَبِّينا، وسيدِنا، الله رب العالمين.

فإنْ أحسنتُ فإنه من فَضْلِ الله عليَّ، وإن أسأْتُ فمِنْ نفسي ومن الشيطان، والله سبحانه ورسوله ﷺ منه براء.

واعلم يا عبد الله أنَّ الموضوع الجَليل الجَميل العَظيم لا يُعْطَى حقَّه كما ينبغي، لا مِنِّي خاصة، ولا من غيري، ولكن نتقرَّب على قدر الطاقة إلى الله سبحانه، عسى أن يكون لنا حَظًّا في خدمة هذا الدين القويم، الذي شَرَّفَنا به رَبُّ السموات وربُّ الأرضين، لَعَلَّنا أن نكونَ مع الرَّكب أصحاب الصِّراط المستقيم، الذين أنعم الله عليهم، من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، فنحشَر معهم يوم الدِّين ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

وأسألُ الله رَبَّ العرش الكريم العظيم، أن يرزُقَ كاتبه، ومُسَطِّرَه، وناشره، وبائعَه، ومشتريه، وطابعه، والمُساهم في إخراجِه، مرافقةَ نَبِيِّنا الأمين محمد بن عبد الله ﷺ في أعالي جَنّات النَّعيم، عروس الجِنان «الفِرْدَوْس الأعلى»، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه

ماهر بن عبد الحميد بن مقدم

عفى الله عنه وعن والدَيْه وجميع المسلمين

الأحد ١٨ ذي الحجة ١٤٣٤هـ

الموافق ٢٢/١٠/٢٠١٣م




معنى الصفات لغة واصطلاحًا

❁ معنى الصفة لغة: وصف الشيء له وعليه: إذا حَلّاه، فالوصف: تحلية الشيء، وهي الأمارة اللازمة للشيء. ويقال: استوصف الطبيبَ لِدائه: سأله أن يَصِفَ له ما يعالج به، والصفة: كالعلم، والجهل، والسَّواد، والبَياض[1].

❁ معنى الصفة اصطلاحًا: هي المعنى القائم بالله تبارك وتَعالى مِمّا وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه ﷺ، من صِفات الذّات والفعل، مِمّا يدل على الكمال المُطلق له تعالى، وتنزيهه عن كل نقص، ونَظير، ومَثيل، من كل وجه على الإطلاق[2].

القواعد والأصول العامَّة في صِفات الله سبحانه

اعلم رحمني الله وإياك: أنَّ معرفة قواعد العلوم وإتقانها، له فوائد عظيمة، وآثار جليلة، وذلك: أن القواعد يسهل حِفظُها، فإذا حُفِظَت وفُهِمَت يمكن التفريعُ عليها، فالأصول والقواعد للعُلوم بمنزلة الأساس لِلبُنْيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلّا بها، والأصول تنبَني عليها الفُروع، والفروع تثبت وتقوى بالأُصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نَماءً مطردًا، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرًا[3]، ومَنْ كان مُعْتنيًا بالفروع

(١) «لسان العرب» (٩/٣٥٦)، و«معجم مقاييس اللغة» (٦/١١٥)، و«مختار «الصحاح» (٣٧٤).

(٢) اخترت هذا التعريف لِشُموله مع بعض التصرف فيه من كتاب «الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصِّفات» (٢/٤١٧).

(٣) انظر: «طريق الوصول إلى العلم المأمول» لعبد الرحمن السعدي (٤).

دون الأصول فإنه يفوته الفروعُ والأصول، وقد قيل: «مَنْ حُرم الأصول، حُرِمَ الوُصول»، يعني: أنه لا يصل إلى غاية[1]، فهي الحصن الحَصين مِنَ الوُقوع في الزَّلَل في أهمِّ مهمّات الدِّين القَويم، وهو توحيد أسماء وصفات رَبِّ العالَمين.

۞ القاعدة الأولى: (صفات الله تعالى كلُّها صِفات كَمال لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، وليس له فيها شَبيه ولا مثال).

هذه القاعدة من القواعد المُسَلَّمَة المستقرَّة في الفطر السَّليمة، «أن الكمال ثابت لله تعالى، بل الثّابت له: هو أقصى ما يكون من الأكمليَّة، بحيث لا يكون وجود كَمال لا نقصَ فيه إلّا وهو ثابت للرَّبِّ تعالى، يستحقُّه بنفسه المقدَّسَة»[2].

فما مِن كمال تفرضه الأذهانُ، ويُقدِّره المُقدِّرون، إلّا والله تعالى أعظم من ذلك، فهو سبحانه لم يبق صفة كَمال إلّا اتَّصف بها، ووصف بِغايتها، بحث لا تُحيط الخَلائق ببعض تلك الصفات بِقلوبهم، ولا تعبر عنها بِألسنتِهم، بل لو اجتمعَ كلُّ الخليقة إنسهم وجِنّهم، من أولهم وآخرهم، على أنْ يُحيطوا بصفة واحدة من صِفاته، لم يكن لهم قدرة، ولا وسع على الإحاطة بها، فكيف بها كلّها؟[3].

۞ القاعدة الثانية: (صفات الله تَعالى توقيفية).

صفات الله تعالى بكل أنواعِها وأقسامِها توقيفية؛ أي: أنَّ مرجعَ

---

(١) «شرح أصول في التفسير» لابن عثيمين (٢٩).

(٢) انظر: «الرسالة الأكملية» لابن تيمية (٧١/٦) ضمن رسائل مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام.

(٣) انظر: «بدائع الفوائد» (٦٣/١)، و«تفسير السعدي» (٣٣٥)، و«فتح الرحيم الملك» (٢٣).

إثباتها هو الكتاب والسنة، فلا تُؤْخَذ بالاجتِهاد ولا بِالقِياس، لأنَّ صفات رَبِّنا سبحانه من الغَيْب، بل هو أعظم الغَيب، وقد استأثر الله تعالى الغيبَ عنده وحدَه، وعلى هذا فلا تُعلَم ولا تثبتُ إلّا عن طريق وَحْيِه.

قال إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعبدُ اللهَ بصِفاته كما وصف به نفسَه، قد أجمل الصفةَ لِنفسه، ولا نتعدَّى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسَه، ولا نتعدَّى ذلك»[١].

ضابط مهم: وهو: **«أنَّ كلَّ ما رُوِيَ موقوفًا عن الصحابة في بابِ الصِّفات فحكمُه حكمُ المرفوع»**.

لأن الصحابة رضوان الله عليهم كلُّهم عُدول، وعلى هذا: فكلُّ ما نقل عنهم في باب الغَيْبِيّات، وبالأخصِّ في الصِّفات، فهو في حُكْمِ الرَّفع؛ أي: أنه من قول النبي ﷺ، لأنَّه لا مَجالَ للاجتهاد والرَّأي في هذا الباب العَظيم.

قال الإمام الجَليل الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ أهلَ الحقِّ يَصفون الله عَزَّوَجَلَّ بِما وصف به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه ﷺ، وبما وصفه به الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ»[٢].

ومن أمثلة ما رُوِيَ عن الصحابة في باب الصِّفات: «الكرسيُّ»، فقد ثبت عن ابن عَبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهما قالا في معنى

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/٣٢٦)، وانظر: كلام الآجري في «الشريعة» (٢٩١)، وابن قدامه في «ذَمِّ التأويل» (١٠)، والخطابي في «شأن الدعاء» (١١١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/٤٦٣).

(٢) «الشريعة» (٢٩١).

الآية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: «الكرسيُّ موضعُ القَدَمَيْن»[١].

وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: «خلقَ الله تعالى أربعة أشياء بيده...، ثم قال لِسائر الخلق: كُنْ فيكون»[٢].

❁ **القاعدة الثالثة: (الواجبُ إجراءُ نُصوص الصِّفات على ظاهِرِها، على الحَقيقة)[٣].**

هذه القاعدة من أعظم القواعد التي بَنى عليها أهلُ السنة والجماعة في فَهْم النُّصوص عامة، والصفات خاصة، وهي في الحقيقة قاعدتَيْن قرنتا في قاعدة واحدة اختصارًا.

❋ **الشق الأول من القاعدة:** (الواجب حملُ نُصوص الصِّفات على ظاهرها)؛ أي: أن النصوص يجبُ أن تُفَسَّر على حسب ما يَقتضيه ظاهر اللفظ (وإن لم يُفهم المعنى)، ولا يجوز العُدولُ عن ذلك إلّا بِدَليل (صريح) واضح جَلِيٍّ يجب الرجوع إليه، وهذا أصلٌ أصيل يجب أن يُحملَ عليه خطاب الشارع الحكيم، وخاصة في باب الأسماء والصِّفات[٤]، حتى لا يقع العبد في التأويل الفاسِد، وما يترتب عليه من

---

(١) انظر تخريجه عند صفة (القدم والرجل).

(٢) انظر تخريجه عند صفة (اليدان).

(٣) انظر هذه القاعدة في: «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨٨)، و«الحقيقة والمجاز» (٢٠/٤٤١)، و«التسعينية» لابن تيمية (٢/٥٤٦)، و«أضواء البَيان» (٣/١٠٠)، و«القواعد المثلى» (١٧٠)، و«منهج الاستدلال» (١/٣٩٣)، و«قواعد الترجيح عند المفسرين» للحربي (١/١٣٧) (٢/٣٨٧).

(٤) قال الإمام الحافظ أبي القاسم الأصبهاني رحمه الله: «مذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها (أي: الصفات) وإجراؤها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها». «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨٨).

هدم أهمِّ المَقاصِد، وأجل المَطالب.

❊ والشقّ الثاني من القاعدة: (يجب حملُ نصوص الصفاتِ على الحَقيقة لا على المَجاز)[1]، وهي كسابقتِها في الأهمية، إذْ فيها تأصيل في فهم نُصوص الكتاب والسنة على مُراد الشارع، وعدم الخُروج عن مُرادِه، والحقيقة في الاصطلاح: هي كلُّ لفظ بقي على موضعه، ولم ينتقل إلى غيرِه، وقسيمُها المَجاز، وهو استعمال الكلمة في غيرِ ما وُضِعَتْ له، لِعلاقة بينهما، مع قرينة صارِفة عن المعنى الحَقيقي[2].

فالمقصود بالحَقيقة هُنا: هو المعنى المُتَبادِر إلى الذِّهن من ظاهر اللفظ في أصل معناه؛ أي: إثبات الصفة على الحقيقة كما جاءت في النَّصّ الشرعي، دون تأويلٍ ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، لأنَّ هذا هو الأصل في الكلام، أنه يحمل على الحقيقة، وبهذا جاء القرآن، وسنة خير الأنام ﷺ، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحَملُ كلام الله تعالى، وكلام نبيِّه ﷺ على الحقيقة أولى بِذَوي الدِّين والحَقِّ، لأنه يقصُّ الحق، وقوله الحق...»[3].

وعلى هذا فنقول: الله مُتَّصِف بالحياة على الحَقيقة[4]، والسمع على الحَقيقة، واليدين على الحقيقة، والعينين على الحقيقة.

---

(١) قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: «أن من حمل اللفظ على ظاهره، وعلى مقتضى اللغة حمله على حقيقته، ومن تأوَّله عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفات الله تعالى». «الحجة» (١/٤٨٢).

(٢) «قواعد الترجيح» (٢/٣٨٨).

(٣) «التمهيد» (٥/١٦)، وانظر أقوال أهل العلم في التنصيص على هذه القاعدة في: «قواعد الترجيح» (٢/٣٩٢ - ٣٩٥).

(٤) سيأتي في القاعدة (التاسعة) سبب ذِكْر السلف لِهذه الكلمة في إثبات الصفات.



القاعدة الرابعة: (الصِّفاتُ معلومةٌ لَنا باعتبار، مجهولة لنا باعتبار آخر، باعتبار المعنى: معلومة، وباعتبار الكيفِيَّة: مجهولة)[1].

هذه القاعدة هي الأسّ والأصل الأعظم، في فهم أجلِّ علم، فهي سفينة النَّجاة إلى سلوك طريق الهدى، كما اقْتَفاهُ الرَّعيلُ الأول، ومعنى قوله: (الصفات معلومة باعتبار المعنى)؛ أي: أن معانيها مفهومة في أصل المعنى اللُّغَوي، لأنَّ رَبَّنا سبحانه خاطبَنا باللسان العربي المُبين، في كتابه الحكيم، وأمَرَنا بتدبُّرِه وتَعَقُّلِه واتِّباعه، ومن رحمة الله تعالى علينا أن جعلَ نُصوص الصفات في غاية الإحكام، يفهمُها كلُّ الأنام، فلا تشكل على أحد منهم على مَرِّ الزَّمان، بِخلاف آيات الأحكام، قد تشكل على بعض الناس، فلا يفهمها إلّا الأعلام.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ شرحَ الله له صدرَه، ونَوَّر له قلبَه: يعلم أنَّ دلالتها (أي: نصوص الصفات) على معانيها أظهر من دلالة كثيرٍ من آيات الأحكام على مَعانيها، ولِهذا آيات الأحكام لا يَكاد يفهم مَعانيها إلّا الخاصة من النّاس، وأما آيات الأسماء والصِّفات فيشتركُ في فَهْمِها الخاصّ والعام، أعني: فهم أصل المعنى لا فهم الكُنْه والكيفِيَّة»[2]، ثم ذَكَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشكال بعض الصحابة في بعض آيات الأحكام، ولم يثبت عن أحدٍ منهم استشكل مسألة من مسائل الصِّفات.

وما ذاك إلّا لِعِظَم شأنها، وعُلو منزلتِها، فلا يستغني عنها أحدٌ كائنًا

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى» (٣/٢٠٧)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٣/١٦٧)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/١٣٢)، و«الصواعق المرسلة» (١/٢١٠)، و«القواعد المثلى» (١٧٣).

(٢) «الصواعق المرسلة» (١/٢١٠).

من كان، في القِيام بحُسن العبودية لله سبحانه على الدوام.

ومعنى (باعتبار الكيفية مجهولة): الكيفية من الكيف، وهو السؤال عن الهَيئة والصُّورة، وطلب حقيقة الشيء وكُنْهه، وهذا في حَقِّ رَبِّنا العظيم مُحالٌ، "لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة"(١)، لأنَّ الشيء لا تدرك كيفيته إلّا بِمُشاهدته، أو بِمُشاهدة مثيله، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق مُنْتَفِيَة في كيفية صِفات الله تعالى، فتكون الكيفية مجهولة بالنسبة لنا لا نعلمُها.

قال قوّام السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكلامُ في الصِّفات فرعٌ على الكلام في الذّات، وإثباتُ الذّات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثباتُ صِفاته...»(٢).

۞ مسألة مُهِمَّة:

كونُنا لا نعلم كيفية صِفات رَبِّنا سبحانه، هذا لا يعني أنَّها ليس لها كيفية، بل لها كيفية اختص بعلمِها جَلَّ جَلَالُهُ، ولهذا يجب أن يُعْلَمَ أنَّ لِصِفات رَبِّنا الجَليل كيفية تَليق به، وقد قطع الأطماع عنا في معرفتها، كما جاء عن السَّلَف في قولهم: «أَمِرُّوها كما جاءَت بِلا كَيْفٍ»(٣).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينزلُ كيفَ شاء بِعِلمه، وقُدرتِه، أحاطَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٩٩/٦).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١٨٩/١).

(٣) انظر هذه الرِّوايات عن الأئمة الأعلام في: «الشريعة» للآجري (٧٢٠)، والدارقطني في كتابه «الصفات» (٦٧)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٨٦٥)، و«العُلُو» للذهبي (٣٨٤).



بكلِّ شيءٍ عِلْمًا»[1].

❁ **القاعدة الخامسة: (طريقة القرآن والسنة في أسماء الله تعالى وصِفاته: الإثبات المفصل والنَّفي المجمل)[2].**

الله ﷻ موصوفٌ بالصفات الثبوتية؛ أي: الصفات الكَمالية الوجودية، وموصوف بالصفات المَنْفِيَّة؛ أي: ينفي عنه كل صفة نقص وعيب وذَمّ، كما سيأتي في أنواع الصِّفات.

قال شيخ الإسلام: «من أبلغ العلوم الضرورية: أنَّ الطريقة التي بعثَ الله تعالى بها أنبياءَه ورسلَه، وأنزلَ بها كتبَه، مشتملةٌ على الإثبات المفصل، والنَّفي المجمل، والله تعالى يُثبتُ الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه على طريقة الإجمال، والتشبيه، والتَّمْثيل»[3].

ومعنى الإثبات مُفَصَّلًا: تعيين الصفات وتحديدها، في ذِكْر كل صفة معينة مخصصة، لا مجملة في لفظ عام، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ١٣]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ...﴾ [سورة الإخلاص]، وهكذا.

وأما النفي المُجْمَل، فإن المُراد منه: أن ينفى عن الله تعالى العُيوب والنقائص على سبيل الإجمال، دون ذِكْر الصفة المُعَيَّنة، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ونحوها من الآيات الدالَّة على نفي ما لا يليق بالله نَفْيًا مطلقًا، مثل: «نفي المُماثلة»

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٣/٥٠٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/٢٤٢).
(٢) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفَتاوى» (٢/٤٧٨) (٣/٣٥)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/١٦٣)، و«الصواعق المرسلة» (٤/١٣٦٩).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٧).

و«نفي المساماة»، ولم ينف المُماثلة في شيء معين كأن يقول: «لا سمي له في علمِه، أو في قدرته، وهكذا».

وأما سبب مَجيء صفات الإثبات بالتفصيل: لأنَّها هي الأصل، والمقصود الأعظم، فإنَّ المدحَ والثَّناء يكون غالِبًا في الإثبات، أما النَّفي فيأتي وسيلة وتتميمًا لهذا الأصل[1].

۞ القاعدة السادسة: (القول في بعضِ الصفات كالقول في البعض الآخر)[2]:

هذه قاعدة عظيمة في تحقيق المفهوم الصحيح في الإيمان بالصِّفات كلِّها، وعدم التفريق بين بعضِها، لأنها جاءت من مِشكاةٍ واحدة من وَحْيَي الكتاب والسنة، فمن آمن بسمع الله تعالى، وبصره، ينبغي له أن يؤمن كذلك بعيني الله تعالى، ويديه، ومن آمن بإرادة الله، وقدرته، يلزمُه أن يؤمن بأصابع الله، وساقِه، ومن آمن بِحَياة الله وقَيُّومِيَّتِه، فعليه أن يؤمنَ كذلك باستواء الله على عرشِه، ونزوله إلى السماء الدنيا؛ وهكذا بقية الصفات، فإن الأدلة السنية لم تُفرِّق بين صفةٍ وأخرى، لأنَّ الموصوف بها واحد، ليس له مَثيل ولا شَبيه، فإن من الأصول التي جاءَت بها الشريعة المطهَّرة: وجوب التسوية بين المُتَماثِلات، وعدم التفريق بينها.

وعلى هذا فينبغي للعبدِ أن لا يستوحِش صفةً جاءت في الكتاب والسنة، أو جاءت في السنة دون الكتاب، أو في الكتاب دون السنة،

---

(١) انظر: «شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٢٥٧)، و«توضيح الكافية» له (١١٦).
(٢) «التدمرية» (١٥).



فمن وقع في نفسِه شيءٌ من ذلك، عليه أن يستعيذَ بالله تعالى من سوء الظَّنِّ والخيال الباطِل.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصفة الثابتة لله تعالى مُضافة إليه، لا يتوهم فيها شيء من خَصائص المخلوقين، لا في لفظِها، ولا في ثُبوت معناها، وكل من نَفى عن الرَّبِّ صفةً من صِفاته لهذا الخيال الباطل: لزِمَه نفيُ جميعِ صفات كَماله، لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفيُ ذاته، لأنه لا يعقل من الذَّوات إلا الذَّوات المخلوقة، ومعلوم أنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ لا يشبهه شيء منها»[1]، إلا في المُسَمَّيات عند الإطلاق، وأما عند الإضافَة فتخص كل واحد بما يليقُ به.

وما أحسن ما قاله الإمام الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]: «إنَّ السمعَ والبصر من حيثُ هما سمع وبصر، يتصفُ بهما جميع (المخلوقات)، فكأن الله تعالى يُشير للخلق ألّا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره، بادِّعاء أنَّ الحوادث تسمع وتُبصر، وأن ذلك تشبيه»[2].

۞ القاعدة السابعة: (القول في الصِّفات كالقول في الذَّات)[3].

هذه القاعدة الجَليلة تنصُّ على أنَّ الكلام في الصفات، فرعٌ على الكلام في الذَّات، يحتذى حذوُه، ويتبع فيه مثالُه، فكما أنَّ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاتِه، ولا في صِفاته، ولا في

---

(١) «جلاء الأفهام» (٢٧٥).

(٢) «منهج ودِراسات لآيات الأسماء والصفات» (٤).

(٣) انظر هذه القاعدة في: «الحجة في بيان المحجة» (١٧٤/١)، و«مجموع الفَتاوى» (٤٢٢/١٦).



أفعالِه، فإذا كان له ذات حقيقية لا تُماثِلُ الذَّوات، فالذَّات متَّصِفة بصِفات حقيقية لا تُماثِل صِفات سائر الذَّوات، لأن صِفاته تعالى الجليلة، تبعٌ لِذاته العَلِيَّة.

❁ **القاعدة الثامنة: (باب الصفات أوسعُ من باب الأسماء)**(١).

صفات الله تعالى أوسع، وأكثر من أسمائه الحُسنى، لا العكس، وذلك لأنَّ كلَّ اسمٍ متضمنٌ لصفة، وليس بالعكس، فمن أسمائه (الرحمن)، متضمِّن لصفة الرحمة، ومن أسمائه (العزيز) متضمن لصفة العِزَّة...، أما صِفاته، فإنه تعالى موصوف بـ(المجيء) و(الإتيان)، و(الأخذ)، و(الإمساك)، و(البطش)، و(الاستواء على العرش)، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحْصَى، ولا يُسَمَّى بالجائي، والآخذ، والممسك، والمستوي، ولأن من الصِّفات ما يتعلَّق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أنَّ أقوالَه لا مُنْتَهى لها(٢).

❁ **القاعدة التاسعة: (المَعاني الصحيحة في باب الإخبار عن الله تعالى وصِفاته).**

توحيد الأسماء والصفات يتعلَّق به ثلاثة مَباحث:

١) الأسماء. ٢) الصفات. ٣) الإخبار عن الله تعالى.

فالأول والثاني توقيفي، أما الثالث: فليس توقيفِيًّا، بمعنى: أنه يجوز أن يخبر عن الله بما لم يأت بالكتاب، ولا في السُّنَّة، وعلى هذا «فالأخبار

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «بدائع الفوائد» (١/١٣٤).

(٢) انظر: «شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (١٢٢).

أوسع من باب الأسماء والصِّفات»[1].

❁ الشروط الصحيحة في الإخبار عن الله تعالى:

(١) أن لا يكون الإخبار باسم سيِّئ، وإن كان باسم حسن فحسن.

(٢) أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه[2]، كلفظ (الشيء) و(الموجود)، و(القديم)، و(القائم بنفسه)، وغيرها من الألفاظ التي يخبر به عن الله تعالى، ولا يدخل في أسمائه، ولا في صفاته[3]، فلا يُدعى ولا يُتوسّل بها إلى الله تعالى في الدنيا، كقول الداعي: يا موجود، يا شيء، يا قديم.

❁ ما ورد في السنةِ من باب الإخبار عن الله تعالى[4]:

(١) الإخبار عن الله تعالى بأنه (شخص)[5].

(٢) الإخبار عن الله تعالى بأنه (شيء)[6].

❁ ما جاء عن السلف من باب الإخبار عن الله تعالى:

من أمثلة ذلك:

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/٢٨٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٢).

(٣) المصدر السابق (٩/٣٠١)، و«مدارج الساكين» (٣/٤١٥).

(٤) «الاحتجاج بالآثار السَّلفيَّة على إثبات الصفات الإلَهية» (١١٤).

(٥) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (٣٧٥٧).

(٦) قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه في (كتاب التوحيد): (٢١/باب ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: فسمى الله نفسه شيئًا ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، وسمى النبي القرآن شيئًا وهو صفة من صِفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، ثم ذكر بسنده (٧٤١٧) حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «أمعكَ شيءٌ من القرآن؟» قال: نعم، معي سورة كذا...



١) الله فوق العرش (بِذاته). نطق أهلُ السنة والجَماعة بهذا القول في إثبات استواء الله تعالى على عرشِه لَمّا قالت المُعَطِّلَة: استواؤه على عرشه من باب المجاز لا الحقيقة[١].

٢) الحدّ لله تعالى. ٣) البينونة.

قال عبد الله بن المُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعرفُ رَبَّنا عَزَّوَجَلَّ فوقَ سبع سموات على العَرْش، بائِنًا من خلقه (بحدّ)، ولا نقولُ كما قالت الجهمية: هاهنا، وأشار بيده إلى الأرض»[٢].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثبتَ عن أئمَّة السلف أنَّهم قالوا: (لله حدٌّ)، وأن ذلك لا يعلمه غيره، وأنه مبايِن لخلقِه، وفي ذلك لأهلِ السُّنَّة مُصنّفات»[٣].

٤) على الحقيقة.

هذه المَقولة تواتَرَت أيضًا عند أئمة الهُدى، وذلك في رَدِّهم على أهلِ الأهواء والبدع الذين أَوَّلُوا الصفات عن حَقيقتِها، وادَّعَوْا فيها المَجاز، وبهذه الشبهة الباطِلَة والتي هي أوهنُ من بيت العنكبوت ـ نَفَوْا عن الله تعالى أغلبَ الصفات.

وأمثلة رُدود أهل السنة بهذه المقولة كثيرة لا تُحْصَى، نذكرُ بعضًا منها:

قال شيخ المفسِّرين الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنْ قالَ لنا قائل: فما الصَّواب من القول في مَعاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء بعضُها في كتاب

---

(١) انظر هذه الآثار في: «الاحتجاج بالآثار السلفية» (١١٥).
(٢) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢٢٠).
(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٣/٤٩١)، وانظر: (١/٤٤٣).




الله عَزَّوَجَلَّ ووَحْيِه، وجاء ببعضها رسولُ الله ﷺ؟ قيل: الصواب هذا القول عندنا: أنْ نثبتَ حقائِقَها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه»(١).

قال الإمام أبو عمر الطلمنكي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال أهل السنة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: إنَّ الاستواء من الله على عرشِه على الحَقيقة لا على المَجاز»(٢).

وقال الإمام ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهلُ السنةِ مُجْمِعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحَقيقة لا على المَجاز، إلّا أنَّهم لا يُكيفون شيئًا من ذلك»(٣).

۞ القاعدة العاشرة: (صفاتُ الله تعالى تتفاضل فيما بَيْنَها)»(٤).

من الأصول المُقَرَّرَة عند أهل السنة والجماعة: أن أسماءَ الله تعالى الحسنى وصفاته العُلا تتفاضَل فيما بينها، ولا يقتضي هذا التَّفاضُل نقصًا فيها، بل كل فردٍ منها يدلُّ على أقصى ما يمكن من الأكمليَّة المُطْلَقة، وهذه الأفضلية اختصَّ بها رَبُّ البَرِيَّة لوجهٍ من وجوه الأفضلية، التي لا يعلمُها إلّا هو سبحانه، من ذلك (الرحمة)، قال ﷺ: «**لَمّا قضى الله الخلقَ كتب في كتابه، فهو عنده فوق العَرْش: إنَّ رحمتي غَلَبَتْ غَضَبي**»، وفي رواية: «**سبقت غضبي**»(٥).

---

(١) «التبصير في معالم الدِّين» (١٤١).
(٢) رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢/٣٦٤).
(٣) «التمهيد» (٧/١٣٥).
(٤) «بدائع الفوائد» (١/١٦٧).
(٥) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

وجاء في دُعاء النبي ﷺ في السُّجود: «**اللهم إنِّي أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِك، وبِمُعافاتك من عُقوبتِك، وأعوذُ بكَ منكَ...**»[1]. «ومعلوم أنَّ المُستعاذ به أفضلُ من المُستَعاذ منه»[2].

بل إنَّ التفاضلَ يقع في الصفة الواحدة، كما في صفة اليدَيْن في الحديث: «**يمينُ الله ملآى لا يَغيضُها نفقةٌ، سَحّاء الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يَمينِه، وبيده الأخرى القبض، يرفعُ ويخفِضُ**»[3].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبَيَّن النبي ﷺ أنَّ الفضلَ بيده اليُمْنى، والعدل بيده الأخرى، ومعلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين، فالفضل أعلى من العَدْل، وهو سبحانه كل رحمةٍ منه فضلٌ، وكل نقمة منه عدلٌ، ورحمته أفضلُ من نقمتِه»[4].

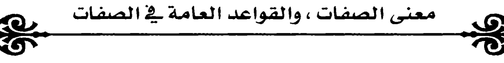
ومن الأدلَّة في التَّفاضل في الصفة الواحدة: قول النبي ﷺ: «**أحبُّ البِلاد إلى الله مَساجِدُها، وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها**»[5].

و«أحب» و«أبغض» صيغة تفضيل «يمنع المُشاركة في الرتبة، لأن اسم التفضيل يجعلُ المفضل في قمَّة الوصف»[6].

وقولنا (صفات الله تتفاضَل فيما بينَها)؛ أي: في المعنى والمَدْلول، أما من حيث نِسبتُها إلى الباري جلَّ شأنُه فواحدة، إذْ كلٌّ منها يدلُّ على

---

(١) مسلم (٤٨٦).
(٢) «جواب أهل العلم والإيمان» (٩٠).
(٣) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).
(٤) «جواب أهل العلم» (٩٢).
(٥) مسلم (٦٧١).
(٦) «شرح سورة النساء» لابن عثيمين (١/٢٣٠) (٢/٤٧).



الكمال والجَمال[1].

۞ **القاعدة الحادية عشر: (دلالَة الكتاب والسُّنَّة على ثُبوت الصفة: ثلاث طرق)[2].**

«**الطريق الأول**: دلالة الأسماء عليها، لأن كلَّ اسم متضمِّن لِصفة، مثل الغفور: متضمن للمغفرة، والسميع: متضمن للسَّمْع، ونحو ذلك.

الطريق الثاني: التصريح بالصِّفة؛ أي: أن ينصّ عليها، مثل: الوجه، واليدين، والعينين، والبطش، ومثل: الانتقام.

الطريق الثالث: التصريح بفعل أو وصف دالٍّ عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السَّماء الدُّنيا، والمَجيء لِلفَصْل بين العِباد يوم القيامة»[3].

وإضافة على ما سبق يمكن أن نُضيفَ في إثبات الصفة وتحقيقها في سنة المصطفى «ثلاثة أقسام: إمّا بالقول، أو الفعل، أو بالإقرار:

(أ) إما بالقول: فكثير، مثل قوله ﷺ في يمينه: «**لا ومُقَلِّب القُلوب**»[4]

(ب) وإما بالفعل: فهو أقلّ من القول، مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبَلاغ، وهذا في حَجَّة الوداع في عرفة، (خطب الناس وقال: «**ألا هَلْ بَلَّغْت؟**» قالوا: نعم، ثلاث مَرّات، قال: «**اللهم اشْهَدْ**»، يرفع إصبعه إلى السَّماء وينكتها إلى النّاس)[5]، فرفع

---

(١) «القواعد الكليَّة للأسماء والصفات» (٢٥٩).

(٢) «شرح القواعد المثلى» (١٥٥)، و«شرح العقيدة الواسطية» (١/٢٦٣)، و«فتاوى العقيدة» (١/١٤٤ ـ ١٤٥) لابن عثيمين.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) البخاري (٦٦٢٨).

(٥) مسلم (١٢١٨).



إصبعه إلى السَّماء، هذا وصف الله تعالى بالعُلُوِّ عن طريق الفعل.

وأحيانًا يذكر الرسول ﷺ الصفةَ من صفات الله بالقول، ويؤكدُها بالفعل، وذلك حينما تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، (فوضعَ إبهامَه على أُذُنِه اليُمْنى، والتي تَليها على عينه)[١].

وهذا إثبات للسمع والبصر بالقول، والفعل. وعلى هذا: إنَّ إثبات الرسول ﷺ لِلصِّفات يكون بالقول، ويكون بالفعل، مجتمعين ومنفردين.

(ت) وإمّا بالإقرار: فهو قليل بالنسبة لِما قبله، مثل إقرار الجارية التي سألها: «أين الله؟» فقالت: في السماء، فأقرَّها، وقال: «**أَعْتِقْها**»[٢].

وكإقراره الحبر من اليهود الذي جاء وقال للرسول ﷺ: (إنَّا نجدُ أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والثرى على إصبع...) إلى آخر الحديث، فضحك النبي ﷺ تصديقًا لقوله[٣]، وهذا إقرار»[٤].

❁ **القاعدة الثانية عشر: (المُضافُ إلى الله تعالى نوعان: أعيان، وصِفات).**

ليس كل ما يُضاف إلى الله تعالى فهو صفة له، بل هناك إضافة مخلوق، وإضافة صفة إلى موصوف، فالإضافة إلى الله تعالى نوعان:

النوع الأول: إضافة ملك وتشريف، وضابطُها: أن كلَّ ما يُضاف إلى الله تعالى ويكون عينًا قائمة بنفسها، بائن عن الله تعالى، فهو إضافة

---

(١) «صحيح أبي داود» (٤٧٣٨).

(٢) مسلم (٥٣٧).

(٣) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٤) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/١٨٧ - ١٧٨).



ملك وتشريف، لأنه مخلوق، مثل: «بيت الله» «ناقة الله»، أو إضافة عامة يشترك فيها المخلوق، مثل: «خلق الله».

النوع الثاني: إضافة صفة إلى الله تعالى، وضابطُها: كل ما يُضاف إلى الله تعالى غير بائن عنه، ولا يقوم بنفسه، فهو صفة لله سبحانه، لأن الصفة لا تقوم بنفسها، بل لا بدَّ لها من موصوف تقوم به[1]، مثل: وجه الله، وأصابع الله، وساق الله، وسمع الله....

۞ القاعدة الثالثة عشر: (جَواز الحلف بصِفات الله تعالى، والاستعاذَة بها).

دلَّت الأدلة السنية من الكتاب والسنة النبوية على جَواز الحَلْف بصِفات الله تعالى، والاستعاذة بها، سواء كانت صفات ذاتيَّة، أو فعليَّة.

فمن الأدلَّة: قول إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢]، والعِزَّة صفة ذاتية، وفعلية[2].

وفي حديث الإفك، وفيه: «... فقام أسيد بن الحضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: كذبت لعمر الله، لنقتُلَنَّه...»[3]، قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فحلفَ كلٌّ واحدٍ منهما ـ أي: سعد بن عُبادة وأسيد بن الحضير ـ بحياة الله وبِبَقائه، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمع»[4]. وحياته سبحانه وبقاؤه من الصفات الذاتية[5].

ومن الاستعاذة بصِفاته تعالى كما تقدم في دُعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

---

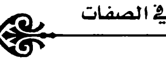
(١) انظر: «نقض عثمان على المريسي» (٣١٨)، و«مجموع الفتاوى» (٩/٢٩٠)، (١٧/١٥١).

(٢) انظر: كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (١٣٥).

(٣) البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٧٠).

(٤) «الاعتقاد» (٨٣)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (١/٣٦٩).

(٥) وقد بوَّبَ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه «باب الحلف بعِزَّة الله، وصِفاته، وكلامه...».

السجود: «**اللهم إني أعوذ برِضاك من سخطك، وبِمُعافاتك من عقوبتك...**» وهذه استعاذة بالصفات الفِعْلية.

ومن الاستعاذة بصفاته تعالى الذّاتية والفعلية معاً، صفة الكلام، كما في الحديث: «**أما إنَّكَ لو قلتَ حينَ أمْسَيْت: أعوذُ بكلمات الله التامّات من شَرِّ ما خَلَقَ**»[1].

القاعدة الرابعة عشر: «مشروعية إثبات الصفات مع الإشارة إليها بِما هو محسوس معهود».

ثبت في وقائع كثيرة في سنة خير البريَّة ﷺ القولية، والفعلية، والتقريرية، على إثبات الصفات العَلِيَّة، مع الإشارة إليها بالأمور الحِسِّيَّة المشاهدة الجليّة، «وذلك لِبيان إثبات حقيقة الصفة لله سبحانه»[2]، فإنَّ في الإشارة مع الإيضاح بالكلام، فيه زيادة في ترسيخ المعاني في الأفهام، وإن ذلك ليس فيه تشبيهًا ولا تَمْثيلًا، بل دلَّ على أنه سنة ينبغي أن يقتدى بها من خير الأنام ﷺ.

«فرسول الله كان أعلم الناس بِتَفاضل الأسماء والصفات وحقائقها، وكان أفصح الناس في التعبير عنها، وإيضاحها، وكشفها بكل طريق كما يفعله بإشارته، وحاله، من باب تحقيق الصفة، لا من باب التشبيه، والتَّمْثيل»[3].

وقد نقلت بعضَ ذلك من فعل النبي ﷺ في القاعدة الحادية عشر:

---

(١) مسلم (٢٧٠٩).

(٢) «الاحتجاج بالآثار السلفية» (٩٤).

(٣) «مختصر الصواعق المرسلة» (٤/١٤٢٠).

(دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة طرق)، فارجع إليه غير مأمور.

ومن الآثار الدالَّة على ذلك: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: قال هكذا، يعني: (أنه أخرج طرف الخنصر)[١].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**يأخذُ الجَبّارُ سمواته وأرضه بيده**» وقبض بيده فجعلَ يقبضها ويبسطها «**ثم يقول: أنا الجَبّارُ، أينَ الجَبّارون؟ أين المتكبِّرون؟!**»، قال: (ويتميل رسولُ الله ﷺ عن يَمينه وعن يَساره، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحركُ من أسفل شيءٍ منه، حتى إني أقولُ: أساقطٌ هو بِرسول الله؟!)[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولَمّا أخبرهم رسولُ الله ﷺ، جعلَ يقبض يديه ويبسطهما، تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا لها، كما قرأ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ووضع يديه على عينيه وأُذُنيه، تحقيقًا لِصفة السمع والبصر، وأنَّهما حقيقة لا مَجاز»[٣].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما رفع رسولُ الله ﷺ رأسه إلى السماء إلا قال: «**يا مُصَرِّف القُلوبِ ثَبِّت قلبي على طاعَتِكَ**»[٤] ورفعه ﷺ رأسَه إلى السماء تحقيقًا، وتأكيدًا لإثبات صفة العُلُوِّ الذاتية لِرَبِّنا سبحانه.

---

(١) انظر تخريجه في: صفة (الخنصر).

(٢) مسلم (٢٧٨٨).

(٣) «مختصر الصواعق المرسلة» (٩٤٨/٣).

(٤) رواه أحمد في المسند (٩٤٢٠)، وصحح إسنادَه محققو المسند (٢٤٦/١٥).




❁ **القاعدة الخامسة عشر: (تنقسم صِفاتُ رَبِّنا العظيم إلى ستة أنواع تحت ثلاث تقسيمات)[1].**

من الاستقراء في أدلَّة الكتاب، وسنة خير العِباد ﷺ، أن صفات رَبِّنا الجَليل ترجعُ إلى ستة أنواع، ويندرج تحتها ثلاث تقسيمات، وهذا التقسيم هو على طريقة أهل السنة والجَماعة:

❊ التقسيم الأول: «باعتبار ما تشتمل عليه الصفات من المَعاني الوُجودية والعدمية»، فهي بهذا الاعتبار نوعان:

ـ **النوع الأول:** الصفات الثبوتية: وهي الصفات التي تدلُّ على معنًى وجودي، وهي: ما أثبته الله تعالى لِنَفسه في كتابه، أو أثبته رسوله ﷺ، أو أصحابه ﭬ من صفات الكمال المُطلَق له تعالى، مع تضمنه تنزيهه عما يُضادّ كمالَها من العُيوب والنقائص، مثل: الوجه، واليدَيْن، والعينَيْن، والقدمَيْن، والسَّمع، والعُلو.

ـ **النوع الثاني:** الصفات المَنْفِيَّة: وهي التي نَفاها الله تعالى عن نفسِه في كتابه، أو في سنة خير عباده، مع تضمن ثبوت كمال ضده، مثل: نفي الموت، المتضمن لِكمال حياتِه، ونفي التعب، المتضمن لِكمال قدرتِه، ونفي الخوف، المتضمن لِكمال عِزَّتِه وجَبَروته.

❊ التقسيم الثاني: «باعتبار تعلُّقها بِمَشيئة الله تعالى وعدمه»، فهي بهذا الاعتبار أربعة أنواع:

ـ **النوع الأول:** ذاتية: وهي التي لا تنفكُّ عن الله تعالى أزلًا وأبدًا،

---

(١) انظر: «الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات الإلَهية» د. شمس الدين الأفغاني (٢/٤٢٠).

ولا تتعلق بِمَشيئته وفعله، مثل: عُلُوه، وأصَابعه، وسَاقِه، وخِبْرَته.

ـ **النوع الثاني**: فعلية[١]: وتُسَمَّى الصفات الاختيارية، أو الأفعال الاختيارية أيضًا، وهي التي يتصف بها الرب العظيم فتقوم بذاته بِمشيئته وقدرته سبحانه، إنْ شاء فعلَها، وإنْ شاءَ لم يفعلْها، بحسب ما تقتضيه حكمته البالغة، كاستوائه على عرشِه، ونزوله إلى السماء الدُّنيا كل ليلة، وعَجَبه، وضحكه، ورِضاه.

ـ **النوع الثالث**: ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار، كصفة الخلق: فهي باعتبار الأصل والنوع: ذاتية، أزلية، أبدية، فهو لم يتصف بها بعد أن لم يكن متصفًا بها، وأما من جهة أفرادِها فهي متجددة تحصل شيئًا فشيئًا، فخلق العرش وقته متقدمٌ على خلق السموات والأرض، وهكذا خلقهما متقدم على خلق آدم، وما يخلقه الله تعالى من مخلوقات حينًا بعد حينٍ يتجدد على حسب ما تقتضيه حكمته الباهرة، ومشيئته النّافِذة، وقدرته الواسعة.

ـ (**والنوع الرابع**[٢]: صفات متضمنة لنوعي الصفات الثبوتية معاً، فهي متضمنة لِصفات الذات[٣] من حيث عدم تعلقها بالمَشيئة، وفعلية متعلقة بالمَشيئة، مثل صفة الكرم: فهي ذاتية بمعنى السعة، والكَمال، والنِّزاهة عن النقائص والمَذامّ، فهو تعالى متصف بهذه الأفراد من الكمال على الدوام، وفعلية: ما يصدر منه من العَطاء، والإنعام، فهو

---

(١) سيأتي ذكر أنواعها، وبعض قواعدها، وضوابطها، في القسم الثاني من الصفات.

(٢) ما كان بين المعقوفين من كلامي.

(٣) ليس المقصود من صفات الذات ما يلزم للذات، إذ إن جميع الصفات ملازمة للذات لا تنفك عنها بحالٍ.



صفة فعل، لأن بذلَ الآلاء والأفضال يتعلَّق بِمَشيئته، وإرادته ﷻ)[1].

* التقسيم الثالث: «باعتبار طريق إثباتِها»، فهي بهذا الاعتبار على نوعَيْن:

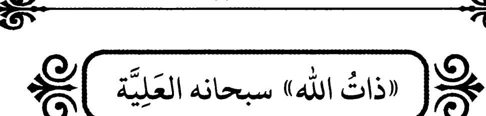
ـ النوع الأول: خَبَرِيّة سمعية، وعقلية معًا: وهي التي يشترك في إثباتِها الدَّليل الشرعي، والعقلي، والفطري، وهي أكثر صفات الرَّبِّ تعالى، بل أغلب الصفات الثُّبوتية يشترك فيها الدَّليلان السمعي والعقلي، كالحياة، والقُدْرة، والعُلوّ، والسّمع...

ـ النوع الثاني: خبرية، سمعية، وتسمى: النقلية، والشرعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتِها إلّا السمع والخبر عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ، بيد أنَّ العقل الصحيح الصريح لا يُعارِضُها، بل يؤيدها، نحو: وَجْهُ الله الكريم، ويَدَيْه، وعَيْنَيه، وسَاقه، وقَدَمه، وقبضته، واستوائه على عرشِه، ومَجيئه يوم القيامة[2].

** ** **

(١) مثل: صفة العِزَّة، فهو بمعنى أنه: المنيع الذي لا يصل إليه، والمنقطع النظير، فهو بهذه المعاني من صفات الذات، وبمعنى أنه يعز من يشاء فهو من صفات الفعل لأن الإعزاز متعدٍ يتعلق بمشيئته وإرادته.

(٢) انظر: «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة (٢٥)، و«مجموع الفتاوى» (١/٣٥، ٨٣، ٨٨) (٦/٧١، ٢١٧، ٢٤٤)، و«درء التعارض» (٣/٣٢١) (٤/٢٣)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٩٦)، و«الكافية» (١١٦)، و«القواعد المثلى» (٢١)، و«تقريب التدمرية» (١٦)، و«شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٣٢٩)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات» د. إبراهيم البريكان (٨٨، ٩٢)، و«الصفات الإلَهية» للتميمي (٦٩)، و«الصفات الإلَهية» لأمان (٢٠٧)، و«الماتريدية» د. شمس الدين الأفغاني (٤٢٠ ـ ٤٢٣) بتصرف.



«ذاتُ الله» سبحانه العَلِيَّة

إنَّ الإيمانَ بالله تبارك وتَعالى إنَّما يعني الإيمانَ بالذّات الجَليلة المقدَّسة الواجبة الوجود، وجودًا حقيقيًّا، (الذي ليس لها ابتداء، وليس لها انتهاءٌ على الآباد)، والإيمان بصِفاته العُلا، وأسمائه الحسنى معًا، وعندما يقول المؤمن: آمنتُ بالله تعالى إنَّما يعني هذا الإيمان الشامل (الكامل)، أي: الإيمان بِذات لا تشبهُ الذَّوات، مُتَّصِفة (بجميع) صِفات الكمال المُطلَق، التي لا تُعدّ، ولا تحدّ، ولا تُحصى، الذي لا يُشاركه فيها أحدٌ، فلا تشبه ذاتُه ذَواتَ خلقِه، ولا تشبه صِفاتُه صِفات خلقِه، بل لِصفاته [وذاتِه] حَقائق، ولِصفات خلقِه حقائق، وإلى هذا المعني يُشير رسول الهدى ﷺ: **«لا أحصي ثَناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسِك[1]»**[2].

فـ«ذات الله عَزَّوَجَلَّ موصوفة بالعلم (والحقيقة)، غير مُدْرَكة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في الحياة الدُّنيوية، وهو موجودٌ بِحَقائق الإيمان على الإيقان، بلا إحاطة إدراك بها، بل هو أعلمُ سبحانه بِذاتِه، فهو موصوف غير مجهولٍ، وموجود غير مدرك، ومرئي غير مُحاط به، لِقربه كأنك تراه، يسمع ويَرى، وهو العليّ الأعلى، وعلى العرش استوى تبارك وتَعالى، ظاهرٌ في ملكه وقدرته، وقد حجب عن الخلق كُنْهَ ذاتِه العُلا، ودلَّهم عليه بآياته (الكبرى)، فالقلوب تعرفه، والعقول لا

---

(١) مسلم (٤٨٦).

(٢) «الصفات الإلَهية في الكتاب والسنة» للدكتور محمد بن أسامة الجامي (٦٩، ٣٤١).




تكيفه، وهو بكل شيءٍ مُحيط، وهو على كل شيءٍ قدير[١].

فالله تبارك وتعالى لم يكلف أحدًا من عِباده معرفةَ كُنْهِ ذاته المُقدَّسة وكيفيتها، وقطع سبيلَ الوُصول إليها، حيث حجب جلَّ وعَلا علمَ كيفية ذاته عن العِباد، وحالَ بينهم وبين معرفة كُنهها، لأنه ﷻ أكبر من أن يُحاطَ به علمًا، وأجلّ، وأعظم، ولأن القُوى البَشريَّة عاجزة عن تحمل عظمة ذلك[٢].

العلاقة بين الصفات والذّات

تقدم بيان أن لِرَبِّنا سبحانه ذاتًا تليق بِكماله وجَلاله، موصوفة بالصِّفات العُلا، وأن الإيمان به وحده: هو الإيمان بكلِّ ذلك «فانطِلاقًا من هذا الإيمان الشامل، فإن العلاقة بين الصِّفات والذّات علاقة التلازم ضرورة أن الإيمانَ يستلزم الإيمان بالصِّفات، وكذلك العكس، لأنه لا يتصور وجودُ «ذات» مجردة عن الصفات، ولا يُتصوّر وجود صِفات بدون ذات قائمة فيها، فإنَّ صِفات الله تعالى مُلازمة لِذاته سبحانه، ولا تنفكُّ عنها، وهذا هو المفهوم الصحيح الذي كان قد فهمه سَلَفُ هذه الأمة»[٣] الموافق لِما في الكتاب والسُّنَّة.

۞ **الدَّلِيلُ مِنَ الشَّرْعِ**: جاءت لفظةُ (ذات) في سنة النبي ﷺ في قوله، وتقريره: في قوله: قال عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«لم يكذب إبراهيمُ عليه السلام إلّا**

---

(١) «التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد»، تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق الأصفهاني (٢٦٠). وانظر: «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/١٧١).

(٢) «الصواعق المُرسَلة» (٤/٤٢٧)، و«مدارج السالكين» (٣/٣٥٣).

(٣) «الصفات الإلَهية» (٣٤١). وانظر: «مجموع الفَتاوى» (٥/٣٣٨).



ثلاث كذبات: ثنتين منهُنَّ في ذات الله عَزَّوَجَلَّ...»[1]، وفي تقريره: كما في قِصَّة مقتل خُبيب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قال حين أراد المشركون قتلَه:

«ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... على أيِّ شقٍّ كانَ في الله مَصْرَعي

وذلك في ذاتِ الإله، وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوصالِ شلوٍ مُمَزَّعِ»[2]

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** أصل لفظة (ذات) هو تأنيث (ذو)، بمعنى: صاحب، فذات كذا: صاحبة كذا، وذات الشيء، بمعنى: نفسه، أو حقيقته، ولهذا لا يقال ذات الشيء إلّا لِما له صِفات، ونعوت تُضاف إليه، فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات والنعوت[3].

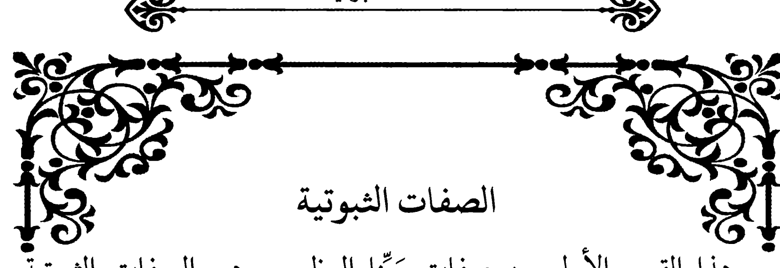
** ** **

---

(١) البخاري (٣٣٥).

(٢) البخاري (٣٠٤٥).

(٣) «المفردات» (٣٣٣)، و«القاموس المُحيط» (٤٧٦)، و«بدائع الفوائد» (٢/٧).



الصفات الثبوتية

هذا القسم الأول من صِفات رَبِّنا العظيم، وهي الصفات الثبوتية، وهي: الصفات الذاتية، والفعلية، وقبل ذِكْر أفرادِها نذكر بعضَ القواعد والضوابط لها.

قد تقدم معناها: أنها هي الصفات التي وصف الله تعالى بِها نفسَه، ووصفه بها رسوله ﷺ من أوصاف الكمال والعُلا، وهي: صفات المجد، والثَّناء، والمدح، والحمد، والعُلو، والعَظَمَة، والجَلال، وغيرها الذي لا يُحْصَى، فيعلم أن له فيها الكمال المُطلَق الذي يمكن التعبيرُ عن عَظَمَتِه، وكُنْهِه، وأن له من ذلك الكمال غايته، ومُنْتَهاه، وأكمله، وهذا النوع هو المقصود الأعظم من التوحيد الذي جاء به النبيون والمرسلون، ولِهذا جاءت في الغالب بالتفصيل، لأنه كلَّما كثر الإخبار عنها، وتنوَّعَت دلالتُها، ظهر من كَمال الموصوف بها ما هو أكثر، ما لم يكن معلومًا من قبل، ولهذا كان هذا النوع أكثر بكثير من الصِّفات المَنْفِيَّة كما سيأتي عند ذِكْرِها[1].

القواعد والضوابط

❁ **القاعدة الأولى: (الصفات الثبوية صِفات مَدْحٍ وكمال، فكُلَّما كثرت وتنوَّعَت دلالتها ظهر من كَمال الموصوف بها ما هو أكثر)**[2].

(١) انظر: «توضيح الكافية الشافية» (١١٥)، و«الحق الواضح» (٧)، و«شرح القواعد المثلى» (١٢٤، ١٣٤)، و«تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦، ٣٣).

(٢) «القواعد المثلى» (٢٤).




الصفات الثبوتية بنوعَيْها الذاتية والفعلية تدلُّ على المدح، والثناء، والكمال المطلَق من كلِّ وجهٍ، ولِهذا جاءت في الكتاب والسنة وفيرة وعديدة ومتنوعة، كما سيأتي عند ذِكْرِها بالتفصيل، «ولهذا كانت (هذه الصفات) التي أخبر الله بها عن نفسِه أكثر بكثير من الصفات السلبيَّة كما هو معلوم»[(١)] لِتَضَمُّنِها معاني وجودية وحقيقية جَليلة تدلُّ على كمالَيْن لا يتناهَيَان لِرَبِّنا سبحانه، الأول: من جهة عددها وأنواعها، وأفرادها من الكثرة التي لا تُحْصَى[(٢)]. والثاني: من حيث دلالتها على المعاني الواسعة، بحيث لا يستطيع أحدٌ إحصاءَ واحد منها، أما الصفات المنفيَّة فعددها محصور[(٣)]، غير ذلك: إن الصفات المنفية كما سيأتي جاءت لِحِفظ هذا النوع، فهي وسيلة وتتميم لها.

الضابط الأول: الصفات الذاتية: هي الصفات التي لم يزل ولا يزال يتصف الله سبحانه بها، فهي مُلازمة لِذاته العُلا، لا تنفكُّ عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال، فهو موصوف تعالى بها أزلًا، وموصوف بها أبدًا.

الضابط الثاني: أنه ليس لها تعلق بِمَشيئته، وإرادته. فالله تعالى لم يزل له يَدَان، ووجْه، وعَيْنَان، لم تحدث له صفة بعد أن لم يكن متصف بها، ولن ينفكَّ عنه شيء منها في الحال، ولا في الاستقبال[(٤)].

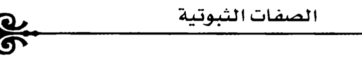
---

(١) المصدر السابق.

(٢) لأن كل اسم يتضمنُ صفة لا العكس، وأسماؤه تعالى لا تُحْصى، فما ظَنُّك بصِفاته العُلا.

(٣) وقد أحصيت غالبها في مؤلف قد سميته «الصفات المنفية في الكتاب وفي السنة النبوية».

(٤) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و«مجموع الفتاوى» (٦/٦٨)، و«الكواشف الجليلة» (٢٥٨)، و«شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨)، ولابن عثيمين (١/١٨٣).



۞ القاعدة الثانية: (ثُبوت الكمال لله تعالى يستلزم نفيَ نقيضه)[1].

هذه القاعدة العظيمة عقلية، وفطرية، موافِقة لِما في الكتاب والسنة، وقد دَلَّت هذه القاعدة على أن «الكمال الثابت لله عَزَّوَجَلَّ الذي هو أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون وجود كَمال إلّا وهو متصف به سبحانه، وثبوت الكمال لله تعالى مستلزم نفي نقيضِه»[2] من صفات النقص، والعَيْب، والذَّمّ، وأن هذا يجري على جميع صِفاته الذاتية، والفعلية، فمثلًا في الصفات الذاتية: إن ثبوت الحياة يستلزم نفيَ الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وثبوت القوة والمَتانة يستلزم نفي الضعف، وثبوت العينين يستلزم نفي العور، والبصر، وثبوت السمع يستلزم نفي الصمم، وثبوت اليدين والرجلين يستلزم نفي الجُذام، والخَدْج[3]، والقطع، وثبوت العُلوِّ يستلزمُ نفي أن يكون داخلَ العالم.

ومن الصفات الفعلية: إن ثبوت الجود والكرم والعطاء يستلزم نفيَ البخل، وثبوت العدل يستلزم نفيَ الظُّلم، وثبوت الحفظ يستلزمُ نفي الإهمال والضَّياع.

ومن الصفات الفعلية الذاتية: الكلام، فثبوتُه يستلزم نفي البُكْم عنه سبحانه، وثبوت رفعة الدرجات يستلزم نفي النقائص، والنظراء، والأمثال، وثبوت الصدق يستلزم نفيَ الكذب، وثبوت المعية يستلزم نفي الغفلة، وثبوت الشدة يستلزم نفي الوهن، والقوة، وهكذا بقية صِفاته تعالى العُلا، والله أعلم.

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «الرسالة الأكملية» لابن تيمية (٦/٧١)، و«الصواعق المرسلة» (١/١٤٧) (٣/٩١٤)، (٤/١٤٤٣)، و«مدارج السالكين» (٣/٤٦٦)، و«الصلاة وحكم تاركها» (١٧٢).

(٢) «الرسالة الأكملية» (٤/١٤٤٣).

(٣) الخَدْجُ: النقص. جاء في القاموس المحيط (رجلٌ مُخْدَجُ اليد): ناقصها (٣٥٢).




القسم الأول: الصفات الذاتية

(١) صفة الكمال (الوَجْهُ) ذو الجلال والإكرام

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: ١ - قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

٢ - وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**... إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وَجْهَ الله، إلّا ازددت به درجة، ورفعة..**»[١].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت الأدلَّة الوفيرة في الكتاب والسنة النبوية في إثبات صفة الوجه الذّاتية، والتي لا تنفكُّ عن الله تعالى بأيِّ حالٍ، موصوف بها على الدَّيمُومِيَّة.

وصف ربُّنا سبحانه وَجْهَهُ الذي هو أحسن الوجوه، وأجمل الوجوه، وأنور الوجوه بوصفه بـ«ذي الجلال والإكرام» الذي لا يستحقُّ هذه الصفة غير وجهه سبحانه كما في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ معناه: صاحب العظمة، والكبرياء، والسُّلطان.

---

(١) البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨). ومن الأدلة كذلك: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا دخلَ المسجدَ قال: «أعوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسُلْطانه القديم من الشَّيطان الرَّجيم». «صحيح أبي داود» (٤٦٦).

(٢) انظر: «كتاب التوحيد» و«إثبات صِفات الرَّبّ عز وجلَّ»، لإمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة (٢٤/١، ٥١). وانظر: «الاعتقاد» للإمام البيهقي (٨٩).

﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾: مصدر من أكرم، ويصح أن يكون بمعنى: المُكرِم، والمُكَرم، فالله ﷻ مُكْرَم، وإكرامه تعالى القيام بطاعتِه، فهو لجلاله، وكمال سُلطانه وعظمته أهل لأن يكرم، ويُثنى عليه سبحانه، فإكرام الله عَزَّوَجَلَّ أن نَقْدُرَه حقَّ قدرِه، وأن نُعَظِّمَه حق تعظيمه، ويكون بتوحيده، وتسبيحه، وعبادته. وهو تعالى مُكْرِم لِمَن يستحق الإكرام من خَلْقه، بما أعد لهم من الثَّواب[(١)].

يُستفاد من تخصيص البقاء لوجه الله تبارك وتعالى، وهلاك ما دونه من المخلوقات، أمران:

الأول: بقاء الله عَزَّوَجَلَّ، لأنه إذا بقيت صفة من صفات الله الذاتية، فالله عَزَّوَجَلَّ باق.

الثاني: أن يُقال هنا خصص الوجه؛ لِجَلاله، وإكرامه، وعظمته، وتشريفه بذلك، لكون المخلوقات تقصد وَجْهَ العظيم، فيكون هذا أبلغ في نفس المخلوق[(٢)].

حجاب وجهه ﷻ

احتجب وَجْهُ ربّنا العظيم عن خَلْقه بحجابين: **الأول**: بالنور، **الثاني**: بالكبرياء، فمن الأول: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَنام، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفض القسطَ ويرفعُه، يرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النَّهار، وعمل النَّهار قبل عمل الليل، حِجابُه النُّور**»، وفي رواية: «**النار**»، «**لو كَشَفَه**

(١) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٣٠). و«الواسطية» للسلمان (١/٥٢٤) ضمن كتاب «المختارات السلفية من شروح العقيدة الواسطية» جمع وترتيب: مصطفى أمين عطا الله.

(٢) «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» لِمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (١/٤٠٥).




لأحرقت سُبُحات وَجْهِهِ ما انتهى إليه بصرُه»[1].

قوله: **(حجابه)** أصله: المنع، والسّتر، وهذا الحجاب هو: المانع من إدراك العباد له سبحانه، وجاء وصف هذا الحجاب أنه (نور) أو (نار)، وأنه لو كشف هذا الحجاب لأحرق نوره عَزَّوَجَلَّ السماوات والأرض.

والسُّبُحاتُ: جمع سُبحة، وهي: جمال الوجه، وبهاؤه، وحُسنه، وجلاله، ونوره[2].

فدَلَّ على أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ محتجب عن الخلق بحُجُبٍ عظيمة من النُّور، لا يعلم قدرها إلا الله تعالى.

وهذا يدلُّ على أنه لا يمكن لأحد أن يتصور كيفية صِفات الله تعالى أبدًا، لأنه إذا كانت الحُجُب العظيمة، وهي حُجُب ليست كالسموات والأرض، بل هي أوسع منهما، لو كشفها الله تعالى لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فسُبحان الله العظيم! عظمة عظيمة! ما يدركها الإنسان لا تفكيرًا، ولا تصويراً[3]. فما الظن بِجَلال ذلك الوجه الكريم، وعظمته، وكبريائه، وكماله، وجلاله[4].

۞ الاحتجاب الثاني: الكبرياء:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **جنتان من فضةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من**

---

(١) مسلم (١٧٩).

(٢) شرح النووي لِصحيح مسلم (١٨/٢)، والنهاية (٣٣٢/٢)، و«مجموع الفَتاوى» (٦/١٠)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (١٩٠/٢)، و«كتاب رد الإمام الدارمي على بشر المريسي» (٧٥٢/٢).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢٨٢/١).

(٤) «الصواعق المرسلة» (١٠٨٢/٣).



ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رِداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[1].

النَّظر إلى وجه الله تبارك وتعالى هو أعظمُ وأعلى نعيمٍ في الجِنان

عن صُهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦]، قال ﷺ: الحسنى: الجنة، والزيادة: نظرهم إلى وجهه عز وجل ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بعد نظرهم إليه، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، ودخلَ أهلُ النّار النّارَ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّة، إنَّ لكم عندَ الله موعداً يريدُ أنْ يُنْجِزَكموه، قال: فيقال: ما هو؟ أَلَمْ يُبيِّض وجوهَنا، ويُثقل موازيننا، وأدخلنا الجنة، وأجارَنا من النّار؟! قال: فيُكشَفُ الحجابُ، فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى فينظرون إليه» ثم قال ﷺ: «والذي نفسي بِيَدِهِ ما أعْطاهم الله في الجنة شيئًا هو أحبّ إليهم، ولا أقرّ لأعينهم من النَّظَرِ إلى وجه الله تبارك وتَعالى»[2].

ولهذا كان سيد الأولين والآخرين يسأل رَبَّ العالمين أن يرزُقَه التَّلَذُّذ في النظر إلى وجهه الجميل، الذي لا أجملَ ولا أحسن ولا أكمل منه على الإطلاق.

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يدعو يقول:

---

(١) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٧٩، ٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٥) وصحح إسنادهم محقق الكتاب الشيخ أبو مالك الرياشي (٣٥١ ـ ٣٥٥) وأخرجه ابن أبي منده في «التوحيد» (٤٥١)، وعثمان الدارمي في «الرَّدّ على الجهمية» (١٧٥)، وفي «الرَّدّ على المريسي» (٢٢٨)، وأصله في مسلم (١٨١).



«...وأسألك لَذَّةَ النَّظَر إلى وجهك، والشَّوقَ إلى لِقائك»[1].

قال إمام الأئمة ابن خُزَيْمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي مسألة النبي ﷺ رَبّه لَذَّة النظر إلى وجهه أبين بيان، وأوضح وضوح أن لله عَزَّوَجَلَّ وجهًا يتلَذَّذ بالنظر إليه، من منّ الله جل وعلا عليه وتفضَّلَ بالنَّظر إلى وجهِه»[2].

(٢) صفة الكمال (اليَدَانِ) الكريمتان العظيمتان

أجمع أهلُ السُّنة والجَماعة على الإيمان بأنَّ لِرَبِّنا سبحانه يدان كريمتان، لا تشبه أيدي المخلوقين، تَليقان بِكَماله وجلاله كمثل باقي صِفاته العلية، وهما «اثنتان، لا زيادة فيهما، ولا نقص فيهما، لأن المحصور بعدد يتعيَّن ألا يزيد عليه ولا ينقص، وهذا ما أجمع عليه السَّلَف بِدلالة القرآن والسنة عليه»[3].

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: ١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢ ـ وقال عز شأنه: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: **«يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سَحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفقَ منذ أن خلقَ السموات والأرض، فإنه لم يغض (أي: لم ينقص) ما في يده»**[4].

---

(١) «صحيح النسائي» (١٣٠٤).

(٢) «كتاب التوحيد» (١/٣٠).

(٣) «تفسير سورة المائدة» لابن عثيمين (٤/٣١٤).

(٤) البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣). وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يَبسط يده بالليل لِيَتوبَ مُسيءُ النّهار، ويبسط يدَه بالنَّهار لِيتوبَ مسيء الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مَغْرِبِها». مسلم (٢٧٦٠).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: اليَدان من الصفات الذّاتية الخبرية، والتي لا تنفك عن الله تعالى، وقد جاءت متنوعة في الدلالة عليها كما سيأتي.

وقد ذكر الله لنا ما قاله اليهود في حَقِّه حينما وصفوه بالبخل، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فدعى الله عليهم بجنس مقالتهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾، فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقًا عليهم، فكانوا أبخلَ الناس، وأقلهم إحسانًا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مِمّا أراد، فيداه تعالى سَحَّاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرار(١).

الأشياء التي خلقها الله بيده

مِن كَمال قدرة الله تعالى أنه إذا أراد أن يخلقَ شيئًا قال له «كن» فيكون، كما أراد، لا يتخلَّف، ولا يتأخَّر، إلّا أنه خصّ سبحانه بعضَ المخلوقات أنه باشر خلقها بيديه الكريمتين، تشريفًا لها، وتعظيمًا لِشَأنها، فمنها:

۞ **أولًا: آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ: كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

وفي حديث الشَّفاعة العظيم وفيه: «... **فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيدِه، ونفخَ فيك من رُوحِه**»(٢).

۞ **ثانيًا: التوراة**: ففي حديث المحاجّة بين آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قال

---

(١) «تفسير السعدي» (٢٣٨).

(٢) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

ﷺ: «احتجَّ آدم موسى، فقال له موسى: يا آدم! أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجْتَنا من الجنة. فقال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بِكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده...»[1].

﴿ ثالثًا: العرش: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «خلقَ الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنات عدنٍ، ثم قال لِسائر الخلق: كن فيكون»[2].

﴿ رابعًا: القلم: قال ﷺ: «أول ما خلق الله تعالى القلم فأخذه بيمينه»[3].

﴿ خامسًا: كتابًا موضوعًا عنده سبحانه: قال رسول الله ﷺ قال: «لَمّا قضى الله الخلقَ، كتبَ في كِتابِه بيده على نَفْسِه، فهو عنده فوقَ العرش: إنَّ رحمتي غَلَبَتْ غَضَبي»[4].

﴿ سادسًا: أعلى الجَنَّة: كما في سُؤال موسى عليه السلام لِرَبِّه عَزَّوَجَلَّ عن أعلى أهل الجنة منزلة: «...، قال: رَبِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردْتُ، غرسْتُ كرامتهم بيديّ، وختَمْتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تَسْمَعْ أذنٌ، ولم يَخطُرْ على قلبِ بَشَرٍ»[5].

---

(١) البخاري (٦٦١٣)، ومسلم (٦٥٢).

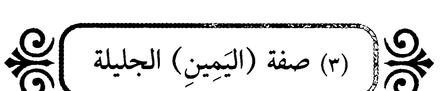
(٢) رواه الدارمي في «الرّدّ على المريسي» (١/٢٦١)، والآجري في كتابه «الشريعة» (١٩١)، وقال الألباني في «مختصر العلو» للذَّهبي: إسناده صحيح على شرط مسلم (١٠٥). وهذا الأثر موقوف، لكن حكمه حكم المرفوع، لأنه من الغَيْبِيّات التي لا تعلم إلّا عن طريق الشارع الحكيم.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٦)، وهناك عدة ألفاظ ذكرها ابن أبي عاصم (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨) وصححها جميعها الألباني . وكما في الأثر السابق: (خلق الله أربعة أشياء: - فذكر منها - القلم).

(٤) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، وصحيح الترمذي (٢٨٠٨).

(٥) مسلم (١٨٩).





(٣) صفة (اليَمِينِ) الجليلة

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال رَبُّ العالمين: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

❁ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال ﷺ: «يمينُ الله ملآى لا يغيضُها نفقة..»[١].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: أطلق الله سبحانه على إحدى يديه لفظَ اليَمين، وكذلك النبي الأمين ﷺ، و«جعل الله تعالى الطَّيَّ للسموات لا القبض، لأن السَّماء أوسع من الأرض، وأشد، وأعظم، وطيُّها أبلغ في القدرة، وقد شبَّه الله تعالى هذا الطيَّ بقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فهذه السموات العظيمة يَطويها بِيَمينه، كطي السجل للكتب»[٢].

كلتا يديّ رَبِّنا تعالى يمين مباركة

١) قال ﷺ: «إنَّ لِلْمُقسطين عند الله منابر من نور عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكلتا يديه يَمين...»[٣].

٢) قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خلقَ الله آدمَ، ونفخَ فيه من رُوحه، فقال الله له، ويداهُ مقبوضَتان: اختر أيَّهما شئت، فقال: اخترت يمين رَبِّي، وكلتا يديْ رَبِّي يمين مباركة...»[٤].

---

(١) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣). وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تصدَّق بعدلِ تمرة، من كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يقبل الله إلّا طَيِّبًا، فإنَّ الله تعالى يقبلها بِيَمينه، ثم يُربيها لِصاحِبها، كما يُربي أحدكم فُلُوَّه، حتى تكون مثلَ الجبل». البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤). وقال ﷺ: «إنَّ الله يقبضُ يوم القيامة الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِك» البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٩٣/٨).

(٣) مسلم (١٨٢٧).

(٤) صحيح الترمذي (٣٣٦٨).




في هذه الأحاديث المُبارَكة دلالة على أن كلتا يديْ ربنا يمين مباركة، وقد وقع خلافٌ بين أهل العلم: هل أنَّ كلتا يديه تعالى يمين، أم أحدهما يمين والأخرى يَسار[1].

وقد حَسَمَ العلامةُ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخلافَ في هذه المسألة بقوله:

«مسألة: هل هاتان اليدان توصَفان بأنهما يمينًا وشِمالًا ؟

الجواب: فيهما قولان: منهم مَن قال: لا، وأنكر لفظ الشِّمال الوارد في صحيح مسلم، ومنهم من قال: بلى، وكل منهم له شبهة، لكن الصواب: إنها تثبت، وأن معنى قول النبي ﷺ: «اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين» يعني: اليمن والبركة والتساوي، لأن المخلوق الذي له يمين ويسار، أو يمين وشِمال تختلف اليمين والشمال، تختلف بالقوة حتى بالقوة الجسمية، ولكن لا تختلف يدا الله، وأريد التثنية ـ فكلتاهما يمين، وهذا هو الصحيح، فإننا نثبت الشمال لله، لكن لا على أنها ناقصة عن اليمين، بل كلتاهما يمين»[2][3].

(٤) صفة الكمال (الكَفّ) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال ﷺ: **«ما تصدَّق أحدٌ بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطَّيِّب، إلا أخذها الرحمن بيَمينه، وإن كانت تمرة، فتربو[4] في**

---

(١) وقد نقل الخلاف وأدلة كلِّ فريقٍ الشيخ علي السقاف في كتابه النَّفيس «صِفات الله عز وجلَّ الواردة في الكتاب والسنة» (٤٢٠ ـ ٤٢٩).

(٢) «تفسير سورة المائدة» (٤/٣١٦).

(٣) وقد ضعَّفَ الألباني رواية الشِّمال، بقوله: « إنَّ رواية «بِشِماله» شاذَّة». «مجلة الأصالة» (٤/٦٨) نقلًا من «الصفات الواردة» (٤٢٦).

(٤) أي: تنمو وتزداد وتَتَضاعَف.




كَفِّ الرحمن حتى تكون أعظمَ من الجِبال...»[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** في الحديث المتقدم بِشارة عظيمة وكريمة لِكُلِّ منفق، وإن كانت نفقته في غاية الصِّغَر والقِلَّة، فإنها تضاعف وتنمو حتى تكون أكبرَ من أعظم مخلوقات الله البديعة، وهي: الجبال، وقوله: (فتربو في كَفِّ) هو على الكيفية التي لا يعلمُها إلا هو سبحانه، وإنْ كُنَّا نؤمن بذلك على الحَقيقة وعلى ظاهر النص.

وفي تخصيص ذِكْر (الرحمن) دون غيره من الأسماء: لبيان هذه المُضاعفة من موجبات رحمة الله تعالى لِخَلْقه، وإلّا كان العدل والجَزاء أن يكون بمثله، لكن لِرَحمة الله تعالى الواسعة أنه يقبلها ويُنمِّيها لِعبده المتصدِّق أضعافًا مضاعفة.

(٥) صفة الكمال (الأَصَابِع) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنَّ يهودِيًّا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: (يا أبا القاسم! (إن الله يُمسكُ السموات على إصَبع، والأرضين على إصبَع، والجبال على إصبَع، والخلائق على إصبَع، ثم يقول: أنا الملك)، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدتْ نَواجِذُه، ثم قرأ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي لفظ: «**فضحكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا وتصديقًا**»[2].

---

(١) مسلم (١٠١٤). وجاء عنه ﷺ أنه قال: «إنَّ الله تعالى أخذَ ذُرِيَّة آدم من ظهورهم فأشهدهم على أنفسِهم، ثم فاض بهم في كَفَّيه...». رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٦٨)، وصحح إسناده الألباني (٧٤). وقال ﷺ: «رأيتُ رَبِّي في أحسن صورة،... فرأيتُه وضعَ كَفَّه بين كتفي، حتى وجدتُ أنامِلَه في صَدري». صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

(٢) صحيح البُخاري (٤٨١١، ٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).




٢) وقال ﷺ: «ما مِنْ قلبٍ إلّا وهو بين إصبعين من أصابع رَبِّ العالمين، إنْ شاء أن يُقيمه أقامَه، وإنْ شاء أن يُزيغَه أزاغَه»[١].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: تقدمَ حديثُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخبر فيه اليهودي عن إثبات وعظمة أصابع رَبِّنا الجليلة «وهذا من العلم الموروث عن الأنبياء المتلَقَّى عن الوحي من الله تعالى، ولهذا صدَّقَه رسولُ الله، بل وأعجبه ذلك وسُرَّ به، ولهذا ضحك حتى بَدَتْ نواجِذُه تصديقًا له»[٢].

ولهذا قرأ ﷺ الآية، تأييدًا له[٣].

وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على أن مسائل التوحيد، والإيمان، والتي منها الأسماء والصِّفات متفقة على ذلك في جميع الأديان.

ودلت هذه الصفة الجليلة على عظمة صِفات رَبِّنا، وأنها لا تُشبه صفات أحد من خلقه، وإن تشابهت المُسَمَّيات عند الإطلاق، أما عند الاختصاص فإن الحقائق والكيفيات تختلف عنهم من جميع الوجوه والاعتبارات «فإن جميع بني آدمَ منذ خلق الله تعالى آدمَ إلى أن ينفخ في الصُّور، لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سمواته، أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانِهم كانوا غير قادرين على ذلك، ولا مستطيعين له، بل عاجزين عنه»[٤].

---

(١) وكان يقول: «يا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّت قلوبَنا على دِينِك». أخرجه أحمد في المسند (٧٦٣٠)، وقال العلامة شُعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» (١٧٨/٢٩). وقال ﷺ: «إنَّ قُلوبَ بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرَّحمن، كقلب واحدٍ، يصرفه حيث يَشاء...». مسلم (٢٦٥٤).

(٢) «شرح كتاب التوحيد» من صحيح البُخاري» للعلامة عبد الله الغنيمان (٢٢٦/١).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٩١/٨).

(٤) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١٩٤/١).




ولهذا يقول بيده سبحانه: «أنا الملك»: «أي أنه تعالى يهزُّهن استخفافًا لهذه المخلوقات، واستِصْغارًا لها، أمام عظمة الله تعالى، وقوته جلَّ وعلا، وقد جاء مصرحًا بذلك في الرِّوايات الأخرى»(١).

«وهذا الإمساك يكون قبل تبديل الله تعالى الأرض غير الأرض، لأن الإمساكَ على الأصابع غير القبض على الشيء...»(٢).

واعلم رَعاكَ الله تعالى أن الله قادرٌ على أن يضعَ كل أنواع المخلوقات التي ذكرت في الحديث على إصبَعٍ واحد، لكن لِحِكمة عَلِيَّة اختص بها سبحانه.

وفي الأحاديث الأخرى (أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين) من أصابعه الجليلة، وهذا لا يقتضي المماسة، ولا الملاصقة لأصابعه، ولا أنها في جوفه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فليس هناك مماسة، ولا مقاربة بين الأرض وبين السماء، ولا بين السحاب، وبين الأرض(٣).

وقوله ﷺ: (يقلبها)؛ أي: الله تعالى، وإضافة التقليبِ إلى الله سبحانه حقيقة، والفائدة من هذا أن الرسول ﷺ بَيَّن أن تقليب هذه القلوب يسيرٌ على الله عَزَّوَجَلَّ كالشيء الذي بين أصابعه(٤).

* * *

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (٢/٥١٧).

(٢) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/١٨٥).

(٣) «مجموع الفَتاوى» (٣/٤٣).

(٤) «شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (٢٥٧).




(٦) صفة الكمال (الأَنَامِل) الجليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال ﷺ: «... **فإذا بِرَبِّي** عَزَّوَجَلَّ (يعني: أنه رأى الله تعالى في المنام، ورؤيا الأنبياء حق) **في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قال: يا محمد! فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رَبّ، قال: يا محمد! فيمَ يختصم الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أدري يا رب، فرأيتُه وضعَ كفَّه بين كتفي، حتى وجدت بردَ أناملِه في صدري...**»[١].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الأنامل:** رؤوس الأصابع؛ أي: أطرافها[٢].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف نبيّنا ﷺ أن لِرَبِّنا أنامل، والأنامل هي: أطراف الأصابع، والعبد المؤمن لا يستوحشُ ولا يختلج في فُؤاده أي معنًى يخرج هذا الوصف عن ظاهره، لأن نبيّنا أطلقَ ذلك على رَبِّنا، فهو أعلم الورى، بربِّه جلَّ وعلا، فينبغي الامتثالُ، والتصديق بما أخبر من الهدى، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

وقد تقدم بيانه أن ما أطلقه تعالى على نفسه، من أوصافٍ لا تشترك مع غيره عند الإطلاق إلّا في المسمَّيات، وعند الإضافة والاختصاص يفترِقان، بمعنى: أنَّ ما أُضيف إليه سبحانه يليق بِجَلاله، وكماله، وما أُضيف إلى غيره من المَخلوقين يليق بِنَقْصهم، وضعفهم.

---

(١) صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

(٢) «المصباح المنير» (٣٦٢).




(٧) صفة الكمال (الإِبْهَام وَالْخِنْصِر) الجليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: «هكذا» **(وضع إبهامه على قريب من طرف أنملتِه، فساخ الجبل، وخرَّ موسى صَعِقًا)**.

وفي لفظ: **(وأمسك بطرَفِ إبهامِه على أنملة إصبعه اليُمْنى)**.

قال حميد لِثابت: تقول هكذا؟ فوكزه، قال: (يقول رسول الله ﷺ، ويقوله أنس، فأكتمه أنا!).

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: **(أخرج طرف خنصره)**، «فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ فضرب صدرَه ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد، يخبر به أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وتقول: وما تريد إلى هذا؟»[(١)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الإبهام**: بالكسر: الإصبع العظمى[(٢)]. **الخنصر**: الإصبع الصغرى أو الوُسطى[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: تقدَّمَ في الأحاديث السابقة في إثبات صفة الكمال: الإبهام، والخنصر، وقد فَسَّرَ النبي ﷺ الآية في سورة الأعراف في

---

(١) رواه بن أبي العاصم في «السنة» (١/٢١٠)، وصححه الألباني (٤٨٠، ٤٨١)، وفي صحيح الترمذي (٣٠٧٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٢٠) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، وصحح إسنادَه الضِّياء المقدسي في المختارة (٥/٥٤).

(٢) «الصحاح» (١١٤).

(٣) «القاموس المحيط» (٤٠٠).

تَجَلِّي رَبِّنا العظيم للجبل، حينما سأل موسى عليه السلام رؤية ربِّه سبحانه.

وقول الرّاوي: وأمسك بطرف إبهامه على طرف إصبعه اليمنى فساخَ الجبل، حكاية عن فعل النبي ﷺ بعد تِلاوة الآية «إشارة لِبَيان قلة التَّجَلِّي»[1].

أي: ما تجلى منه سبحانه إلّا هذا القدر القليل، وهذا يدلُّ على أنه تعالى لا يُحاطُ به علمًا، ولا يُحْصَى ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه سبحانه بِما يستحقُّه من الكَمال والجَلال.

وفي الإشارة بإصبعه النبي ﷺ لهذه الصفة تحقيقًا وتأكيدًا في إثباتها على الحَقيقة، وليس من باب التشبيه والتَّمْثيل.

وانظر رعاكَ الله إلى موقفِ هذا التابعي الجَليل الشديد في حماية جانب التَّوحيد، في إثبات صِفات رَبِّنا المَجيد، الذي هو أوجب الواجبات على العبيد، وأنه ينبغي أن يزجر بالقول، والفعل كل من يَخْتَلِجُ في قلبه شيءٌ من ذلك، في هذا الباب العَظيم.

وقوله رحمه الله: «يقوله ﷺ، ويقوله أنس، وأكتمه!»: فيه بَيان على تعظيم الإسناد، والآثار في أخذ الأخبار عن الصّادق المصدوق والأصحاب، خاصة في هذا الباب، ولِهذا **زَجَرَه بالقول**: «من أنت يا حُميد، وما أنت يا حميد؟!»، **وبالفعل**: «فوكزَه»، «فضرب صدرَه ضربةً شديدة»؛ وفيه أكبر دلالة على أهميَّة ذِكْر صِفات رَبِّنا العظيم وتذاكرها، والتحدث بها وعدم كتمانها، حتى أمام العامَّة.

إن الإشارة الحِسِّيَّة في تحقيق الصفات العلِيَّة من هديه ﷺ[2]، وقد

(١) «تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي» لِلْمُباركفوري (١٧/٨).

(٢) انظر القاعدة الرابعة عشر.



فهم ذلك الأصحابُ، وكذلك أئمة الهُدى، فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله، أن الإمام أحمد حَدَّثَه فقال: «ثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الله عن النبي ﷺ: **«إنَّ الله يُمسك السموات على إصبَع...»** الحديث. قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعل يحيى يُشير بأصابعه، وأراني أبي كيفَ يشير بإصبعه، يضع إصبعًا، إصبعًا، حتى أتى على آخرها»[(١)].

(٨) صفة الكمال (القَدَم والرِّجْل) الجليلة

❁ **القُـرْآنُ الكَـرِيمُ**: قـال تعـالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: **«تحاجَّت الجنةُ والنّار[(٢)]...، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رِجْلَه، فتقول: قط، قط، قط، فهنالِك تمتلئُ، ويُزْوَى[(٣)] بعضُها إلى بعضٍ، ولا يظلم الله تعالى مِن خلقِه أحدًا، وأما الجنة، فإنَّ الله تعالى يُنْشِئُ لها خلْقًا»**[(٤)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: ثبتت هذه الصِّفة في الكتاب كما في آية الكُرْسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ فقد ثبت عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وأبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه في «السُّنَّة» (٤٨٩)، وصحَّحَ إسنادَه محقِّقُ الكتاب د. سعيد القَحْطاني (١/٢٦٤).

(٢) **فقالت النّارُ: أوثِرْتُ بالمُتكبِّرين، والمتجَبِّرين، وقالت الجنةُ: فما لي لا يدخلُني إلّا ضُعَفاء الناس، وسقطُهم** (أي: ضُعَفاؤهم والمحتَقَرون منهم)، **وغِرَّتُهم** (أي: البله الغافلون الذين ليس بهم حذق في أمور الدُّنيا. «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/٢٠٥))، **قال الله تعالى: أنتِ رحمتي، أرحمُ بكِ مَنْ أشاءُ مِن عِبادي، وقال للنار: إنَّما أنت عذابي، أُعَذِّبُ بك مَنْ أشاء من عِبادي، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها.**

(٣) أي: يلتئم بعضُها على بعضٍ.

(٤) وفي رواية: «... وأما النّار، فلا تمتلِئُ حتّى يضعَ فيها رَبُّ العالمين قَدَمَه». وفي لَفْظٍ: «لا تزالُ جهنَّم تقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رَبُّ العِزَّة قدمَه...» انظر هذه الروايات في «صحيح البخاري» (٤٨٤٨، ٤٨٥٠، ٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).




«الكرسي موضع القدمين»[1].

وهذان الأثران حكمُهما حكمُ المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه لا مَجالَ للرَّأي فيه، وعلى هذا «فإنَّ الله تعالى له قدمين»[2].

وفي الأحاديث المتقدمة جاءت بلفظ (قَدمه) و(رِجله) وكلاهما عبارة عن شيء واحد صفة لله تعالى حقيقية على ما يَليق بِجَلاله، وعَظَمَتِه.

وفي قول النبي ﷺ عن النار: (ويُزوى بعضها إلى بعض)؛ يعني: ينضم بعضها إلى بعض، فتصغر جهنَّم، من عظم قدم الباري عَزَّوَجَلَّ، بعد أن يضع عليها قدمه، وتصير مملوءة بعد ذلك بأهلِها، فإن وضعَ الله سبحانه فيها قدمه هو الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون بعد ذلك الانزِواء[3].

(٩) صفة الكمال (السَّاق) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «... **فيأتيهم الجَبّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أولَ مرة، فيقول: أنا رَبُّكم، فيقولون: أنت رَبُّنا،**

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٨٢٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، و أخرجه ابن خُزَيْمة في «التوحيد» (١/٢٤٨)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٦٩، ٧٣، ٧٥)، وصححه الألباني في «مختصر العلو للذَّهبي» (١٥٢)، وقال الأزهري رحمه الله: (هذا الرواية اتفق أهل الرواية على صحتها) «تهذيب اللغة» (١٠/٥٤)، وأثر أبي موسى أخرجه أحمد في «السنة» (٥٨٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦)، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (١٢٤).

(٢) «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية» لعبد الرحمن البراك (١٧٣).

(٣) انظر: «شرح الواسطية» لابن السّعدي (١/٣٨٢) وخليل الهراس (١/٣٨٣) وابن عثيمين (١/٣٨٥) ضمن كتاب «المختارات السلفيَّة».



فلا يُكلمه إلّا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونَها؟ فيقولون: السّاق، فيكشف رَبُّنا عن ساقِه، فيسجد كلُّ مؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدُّنيا رياء، وسمعة، فيذهب لِيَسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[١].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت لفظة (السّاق) في القرآن مجردةً عن الإضافة، والتقييد، وإنما فَسَّرَتْها السنة المطهَّرة، والتي هي بيان للقرآن مبينة لِما أجمل فيه: بأنّها ساق لله تعالى صفة ذاتية عليّة، قد جعلها الله سبحانه علامة بينه وبين خلقه يوم القيامة كما بقوله ﷺ: **«يكشف ربّنا عن ساقه»** فالهاء ضمير يعود عليه سبحانه.

وعلى هذا فمعنى (السّاق) في الآية: «أي يكشف ربنا تبارك وتعالى عن ساقٍ عظيمة، جلَّت عظمتها، وتعالى شأنها أن يكون لها نَظير، أو مثيل، أو شبيه، فتنكير (ساق) في الآية للتَّعظيم، والتَّفخيم»[٢].

قال الإمام الشَّوْكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أغنانا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تفسير هذه الآية، بِما صَحَّ عن رسول الله ﷺ، وذلك لا يستلزم تجسيمًا، ولا تشبيهًا، فليس كمِثْله شيء[٣]»[٤].

---

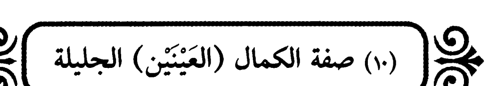
(١) البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (١٨٣). وقال ﷺ: «... **وينزلُ الله عَزَّوَجَلَّ في ظُلَلٍ من الغَمام من العرش إلى الكرسي...، فيتمثَّل الرَّبُّ تبارك وتعالى، فيأتيهم يقول: ما لكم لا تنطلقون، كما انطلق النّاس؟ قال: فيقولون: إنَّ لنا إلهًا ما رأيْناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيْتُموه؟ فيقولون: إنَّ بيننا وبينه علامة إذا رأيناه عرفْناه، فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقِهِ»**. أخرجه الطبراني في الكبير (٩/٤١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٩٠) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٢٩).

(٢) «فتح القدير» (٥/٢٧٨).

(٣) قوله: (لا تجسيمًا) هذه اللفظة وغيرها من الألفاظ مأخوذة من أصحاب الكلام الذي ذَمَّه سَلَفُ الأمة والتي لا أصل لها في الشارع، وما تحمله من معاني غير صحيحة، وعلى هذا فلا يجوز أن تطلق، ويستبدل بدلًا منها الألفاظ الشرعية.

(٤) «فتح القدير» (٥/٢٧٨).





(١٠) صفة الكمال (العَيْنَيْن) الجليلة

۞ **القُـرْآنُ الكَـرِيمُ:** قـال تعـالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧](١).

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور** (وأشار إلى عينيه)، **وإنَّ المسيحَ الدَّجّال أعور العين اليُمْنَى...**»(٢).

٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: «فوضعَ إبهامَه على أُذُنه، والتي تليها على عينيه»، وقال رضي الله عنه: (رأيت رسولَ الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه)(٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف رَبُّنا نفسَه بأنَّه له عينان تليقان به كما في الآيات المتقدمة، ولهذا أشارَ النبي ﷺ في الحديث الثاني، فوضع إبهامَه الشريفة على أُذُنه، والتي تليها في عينيه، تأكيدًا، وتحقيقًا لهذه الصفة الكريمة.

وبهذا الفهم السَّليم، فعل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث «أشارَ بيده إلى عينيه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]»(٤).

---

(١) وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وقال سبحانه: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

(٢) وفي رواية: «**إنَّ الله ليس بأعور، إلّا أنَّ المسيح الدَّجّال أعور**». البخاري (٣٤٣٩، ٧١٣١، ٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٣) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٧٢٨).

(٤) رواه اللالكائي (٣/٤١١)، وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، قال: «بعين الله». أخرجه=

وقد دَلَّت السنةُ على أنَّ لِرَبِّنا العظيم عينان جَليلتان كما في قوله ﷺ: «**إنَّ الله ليس بأعور**».

إذ إن الأعْوَر في اللغة: هو من فقد إحدى عينيه، قال في القاموس: العَوَرُ: ذهاب حِسّ إحدى العينين[1].

قال إمام أهل السُّنَّة أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأعور ضد البصير بالعينين، وقد قال النبي ﷺ في الدجال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليسَ بأعْوَر**»، بيانه: أنه ذو عَينين خلاف الأَعْوَر»[2].

ومجيء هذه اللفظة «لأنَّ مخلوقات الله تعالى المعروفة لدى العرب: الإنسان، وكذلك: الحيوان، كلها لها عينان، فوضعت العرب هذا الاسم (الأعور) لِمَنْ فقد إحدى العينين، فهو خاص بذلك، وليس العَوَر هو ذَهاب البصر»[3].

فـ«هما عينان يبصر بهما سبحانه ما تحت الثَّرَى، وما تحت الأرض السابعة السُّفْلَى، وما في السموات العُلا وما بينَهما، لا يغيب عن بَصره شيء من ذلك، ولا يخفى، يرى ما في جوف البحار، ولُجَجِها، كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه»[4]. في العلا.

قال الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معتقد أهل الحديث: «وأن له عينين، كما في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ

= الطبري في التفسير (٣٤/١٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٤٥).

(١) «القاموس المحيط» (٩٢٦)، وانظر: «لسان العرب» (٦١٢/٤).

(٢) «رد الدارمي على بشر المريسي» (٣٠٥/١).

(٣) «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٤٢٣/١).

(٤) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١٩٦/١).

كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك: إلّا ما قاله الله عَزَّوَجَلَّ، أو جاءت به الرِّواية عن رسول الله ﷺ، فنقول: وجه بلا كَيْف، ويدان، وعينان بلا كيف»[٢].

(١١ـ١٢) صفتا الكمال (الحُجْزة) و(الحَقْوُ) الجليلتان

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** ١) قال ﷺ: «إنَّ الرحم شجنةٌ آخذة بحُجزة الرحمن، يصل مَنْ وصلَها، ويقطع مَن قطعها»[٣].

٢) وقال ﷺ: «خلقَ الله الخلقَ، فلمّا فرغ منه قامت الرَّحِم، فأخذت بحَقْوِ الرحمن، فقال: مه! قالت: هذا مقام العائذ بك من القطعية...»[٤].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الحُجْزة والحَقْو:** موضع عقد الإزار وشدّه، ثم قيل: للإزار حجزة لِلمُجاورة، فالحقو الخاصرة ومشدّ الإزار[٥].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** يوصَف رَبُّنا جَلَّ جَلَالُهُ بِصفة الكمال الحُجْزة والحَقْو كما يَليق به، والذي ينبغي للمؤمن الإيمان بذلك، والتصديق، والتَّسْليم أنهما صفتان حقيقيتان، مع التَّفْويض بكيفيتهما إلى الله تعالى، فكما نؤمن بأنَّ لله تعالى ذاتًا تليقُ به، كذلك يجبُ أن نؤمنَ أنَّ له

---

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/٢٨٥).

(٢) المصدر السابق (١/٢٩٠).

(٣) رواه أحمد في المُسند (٢٩٥٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٥/١١٠)، وصححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٥٣٨) وفي «السلسلة الصحيحة» (١٦٠٢).

(٤) صحيح البُخاري (٤٨٣٠).

(٥) «معجم مقاييس اللغة» (٢/٨٨)، و«القاموس المحيط» (٢٦٦)، و«المصباح المُنير» (٨٨).



صِفاتٍ تليق به، إذ إنَّ الصِّفات فرع من الذَّات يحذو بِحَذْوِها.

ولهذا كان ﷺ يذكر صِفاته تعالى في كلِّ المحافِل والمَجالِس دون تَقييدها وتخصيصِها في مكان دون آخر، فيذكرُها عند العَوامّ والخَواصّ دون تمييز، لأنَّ صَحابتَه رضوان الله عليهم أجمعين أبرّ قُلوبًا، وأصدق يَقينًا من غيرهم، والفرقة النّاجية أهل السُّنَّة والجماعة يَسيرون على هذا الرَّكب الجليل، فلا يَستوحشون هذه الأخبار الجَليلة، «سُئل الإمام أحمد عن الحديث الوارد فيه: «فذكر أنَّه يُمضي على ما جاء، غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره، مع الإيمان أن صِفات الله تعالى لا تشبه صِفات المَخْلوقين»[١].

وقال القاضي أبو يعلى: «اعلم أنَّه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن (الحَقْو)، و(الحُجْزة) صفة ذات»[٢].

قوله: «غير ممتنع حملُ هذا الخبر على ظاهره»: تقدم بيانه[٣] أن الأصلَ في الكلام إبقاؤه على ظاهره، وعلى الحقيقة، ما لم يأت دليلٌ يصرفه عن ذلك، وليس هناك دليل يصرفه، فبقي على أصلِه، لأنَّه كما تقدم الصفات تمرّ كما جاءت.

قال الحافظ أبو موسى المديني: «وفي الحديث: «**أن الرحم أخذت بحُجْزة الرحمن**»، ثم ذكر تفسيرًا للحديث، ثم قال: وإجراؤه على ظاهره أولى»[٤].

---

(١) «إبطال التأويلات» (١/٢٠٨)، (٢/٤٢١).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٢٠).

(٣) في القاعدة الثالثة.

(٤) «المجموع المغيث» (١/٤٠٥) نقلًا من كتاب «صِفات الله الواردة» (١٣٩).




قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث في الجملة من أحاديث الصِّفات، التي نَصَّ الأئمة على أنه يمرّ كما جاء، وردُّوا على من نفى موجبه، قال ابن حامد: ومِمّا يجب التصديق به: أن لله تعالى حَقْوًا...».

ثم بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفهم الصحيح الواجب فهمه في هذا الباب الجَليل فقال: «وليس ظاهر هذا الحديث أن لله تعالى إزارًا ورِداءً من جنس الأزر والأردية التي يَلْبَسُها الناس مِمّا يُصنع من الجُلود والكِتّان والقطن وغيره، بل هذا الحديث نص في نفي هذا المعنى الفاسد، فإنه لو قيل عن بعض العِباد: إن العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، لكان إخباره بذلك عن العظمة والكِبرياء الذين ليسا من جنس ما يُلبس من الثِّياب، فإذا كان المعنى الفاسد لا يظهر من وصف المخلوق، لأن تركيبه في اللفظ يمنع ذلك، وبين المعنى المُراد، فكيف يدعى أن هذا المعنى ظاهر اللَّفْظ في حَقِّ الله تعالى، فإنَّ كل من يفهم الخِطاب، ويعرف اللغة، يعلم أنَّ الرسول ﷺ لم يخبر عن رَبِّه بلبس الأكسية والثياب، ولا أحد مِمّن يفهم الخِطاب يدعي في قوله ﷺ في خالد بن الوليد: «**إنه سيف الله**» أن خالدًا حديد، ولا في قوله ﷺ: «**إنّا وجدْناه بحرًا**»: أن ظاهره أن الفرس ماء كثير، ونحو ذلك»[1].

قال قوَّام أهل السنة والجماعة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فواجب على كل مؤمن أن يُثْبِتَ من صِفات الله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لِنفسه، وليس بمؤمن مَنْ ينفي عن الله تعالى ما أثبتَه لِنَفْسِه...، وجلَّ تعالى عن أن يشبه صفة

---

(١) بواسطة: «شرح كتاب االتوحيد» للغنيمان (٢/٣٨٣).

شيء من خَلْقِه صفته، أو فعل أحدٍ من خلقه فعله»[1].

(١٣) صفة الكمال (المَنْكِبُ) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرَّحِمَ شجنة متعلِّقة بمَنْكِبَي الرَّحمن تبارك وتعالى، قال الله تعالى لها: مَنْ وصلَك وصلتُه، ومن قطعكِ قطعْتُه**»[2].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** المنكب هو: ما بين الكتف والعنق[3].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** صفة المَنْكِب من الصِّفات الذّاتية التي يحذوا القول فيها القول في باقي صفات رَبِّنا على الوجه الذي يليق به، لا تشبه صِفات أحدٍ من خلقه، إنما تتفق المُسَمَّيات عند الإطلاق، وتختلف الحَقائقُ والكيفيّات عند الإضافات.

وقوله ﷺ: «**إنَّ الرحم شجنة متعلقة بِمَنْكِبَي الرَّحمن**» لا تعارض مع قوله ﷺ: «**إن الرَّحِم شجنة آخذة بحُجْزة الرحمن**»: فلا يمنع أن تعلق بمنكبي الرحمن في حال، «وتعلق بحقو الرحمن في حال (أخرى)، فيجمع بين الخَبَرَيْن جميعًا»[4].

لأن الأصل إعمال الأدلَّة كما هو معلوم في أصول الشريعة.

وقوله ﷺ: «**بمَنْكِبَي**»: تثنية مَنْكِب، أي: إن لِرَبِّنا (مَنْكِبَان) جليلان،

---

(١) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/٢٨١).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥٣٦)، وصححه الألباني وقال: حديث صحيح وهو على شرط البُخاري (٢٣٦).

(٣) «الصحاح» (١٠٦٧).

(٤) «إبطال التأويلات» (٢/٤٢٦).




كما ثنى (اليدان) و(العينان) و(القدمان) والله أعلم.

(١٤) صفة الكمال (الصُّورَة) الجليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** ١) في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في رؤية المؤمنين لِرَبِّهم في يوم الدِّين، وفيه: «...**فيأتيهم الجَبّار في صورته التي رأوه فيها أَوَّلَ مَرَّة، فيقول: أنا رَبُّكم! فيقولون: أنت رَبُّنا...**»[١].

٢) في حديث اختصام الملأ الأعلى في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى في المنام: «**إنِّي نعست فاستثقلت نومًا فرأيتُ رَبِّي في أحسن صورة**»[٢].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** تطلق **الصورة** على: شكل الشيء، وحقيقته، وهيئته، وعلى صِفته[٣].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** يوصف رَبّنا العظيم بالصورة، لأنه لا بُدَّ لكل قائم بنفسه من صورة يكون عليها، ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يكون عليها[٤].

فيجب على كل مسلمٍ الإيمان بها على (ظاهرها)، ولا يقال فيها: كيف؟، ولِمَ؟ بل نستقبلُ بالتَّسْليم، والتصديق، وترك النَّظَر[٥]، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه، لا كالصور، كما أن له ذاتًا لا كالذَّوات[٦].

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) وفي لفظ: «**أتاني الليلة رَبِّي تبارك وتعالى في أحسن صورة**». صحيح الترمذي (٣٢٣٣، ٣٢٣٤، ٣٢٣٥)، وفي كتاب «السنة» لابن أبي العاصم (٣٨٨).

(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٣٩١)، و«القاموس المحيط» (٧٦١).

(٤) من كلام شيخ الإسلام في «نقض التأسيس» مخطوط، نقلاً من «شرح كتاب التوحيد» (٢/٤١) للغنيمان.

(٥) «الشريعة» للآجري (٣١٥).

(٦) انظر: «إبطال التأويلات» (١/٨١).




قال الإمام الجليل محمد ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإِلْفُ لتلك لِمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية، ولا حَدّ»(١).

(١٥) صفة الكمال (الإِحَاطَة) الجليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦](٢).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **المحيط**: اسم فاعل من قولهم: أحاط فلانٌ بالشَّيء فهو محيط به، إذا استولى عليه، وضمَّ جميع أقطاره، ونواحيه، حتى لا يتمكن من التخلص منه، ولا فوته، ولا يقدر الفرار منه.

فالإحاطة إدراك الشيء بِكَماله ظاهرًا، وباطنًا، والاستدارة بالشيء من جميع جَوانبه، ويأتي بمعنى: الهلاك، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢](٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصَف رَبُّنا جَلَّ جَلَالُهُ بصفة العلا الإحاطة الكاملة، الشاملة لكلِّ شيء في الأرض والسموات وما بينهما، وما فيهما.

فهو سبحانه المحيط: الذي أحاط بكلِّ شيء علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وقد أحصى بكل شيء عددًا، وقد أحاط بجميع المعلومات،

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (٢٦١).

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]

(٣) «اشتقاق أسماء الله» (٤٦)، و«تفسير السّمعاني» (١/٥٤)، و«الأسنى» (٣١٠).




وقدرته بجميع المقدورات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئتُه وقدرتُه بجميع الموجودات، فدانت له جميع الموجودات[1].

وهو سبحانه المحيط أي: جامع الكافرين[2]، ومُحِلٌّ بهم عقوبته[3]، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

ومن إحاطته بهم في الدُّنيا: إبطالُ كيدِهم الدنيوي، ونصرته لأوليائه عليهم، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

(١٦) صفة الكمال (البَقَاء) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: البقاء هو**: الدَّوام، وهو ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو يُضادّ الفَناء، والباقي ضربان:

الأول: باقٍ بنفسِه لا إلى مُدَّة، وهو الباري ﷻ لا يصلح عليه الفناء.

وباقٍ بغيره: وهو ما عداه، ويصلح عليه الفَناء...[4].

ولا يُقال لغيرِ الله عَزَّوَجَلَّ الباقي إلا مُضافًا معلّقًا بشيء[5].

---

(١) انظر: «تفسير السَّعدي» (١٧٩/١)، و«شأن الدعاء» (١٠٢)، و«الاعتقاد» للبيهقي (٦٨).

(٢) ثبت عن مجاهد انظر: التفسير الصحيح (١١٥/١).

(٣) ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المصدر السابق.

(٤) «المفردات» (١٣٨).

(٥) كقوله: زيد الباقي بعد عمرو، لأنه عاش بعده، وبقاؤه إلى أمد ثم ينقضي. «اشتقاق أسماء الله» (٢٠٠).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتَعالى هو الباقي: الموصوف بالبَقاء الذي لا نِهاية له، الذي لا يعرض عليه زوالٌ بِحال من الأحوال، فبقاؤه سبحانه غير مُتَناهٍ ولا محدود، بل هو دائمٌ على الآباد بغير انتهاء.

وصفة بقائِه سبحانه ودوامه ليسَتْ كَبَقاء الجنة، والنّار، ودوامهما، لأنَّ بقاءَه تعالى أبديّ أزليّ، وبقاء الجنَّة والنّار أبدي غير أزليّ، فالأزلي لم يزل، والأبدي ما لا يزال، والجنة والنّار كائنتان بعد أن لم تكونا(١).

فالجنة والنار ومَن فيهما باقيتان بإبْقائه سبحانه، أما هو «سبحانه الحي الذي لا يموتُ أبدًا»(٢).

لأن بقاءه تعالى من نَفْسِه لا مِن غيره، أما بقاء غيره فمنه تعالى وحدَه.

قال الشيخ العَلّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «البقاء من صِفات الله، فإذا أسند إلى إنسان، فهو من الشِّرك»(٣).

هذا إذا لم يكن مُضافًا مُعَلَّقًا بشيء، كما تقدم في المعنى اللغوي، كأن تقول: زيد الباقي بعد عمرو، ولا يجوز أن تقول: زيد الباقي، بدون إضافة ولا تقييد.

(١٧) صفة الكمال (الفَوْقِيَّة) الجليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

---

(١) انظر: «الحجة في بيان المحجَّة» (١/١٤٠)، و«شأن الدعاء» (٩٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٣٧٨).

(٣) «الفتاوى والرَّسائل» (١/٢٠٧).




٢) وقال عز شأنُه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: فوق**: هو من ظُروف الأمكنة المُقابل للتحت، وتستعمل في المَكان، والزمان، والمنزلة، والشرف، وغير ذلك، وذلك أضرب:

الأول: باعتبار العُلُوّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ولهذا قابله سبحانه بقوله: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

والثاني: زيادة الفضيلة، والرُّتبة، والمنزلة، وغير ذلك.

والثالث: باعتبار القهر والغلبة(١).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف ربّنا ﷻ بالفوقية العليَّة المطلقة من كل وجهٍ واعتبار، فله سبحانه فوقية:

(١) العلو والارتفاع بذاته فوق الأرض والسموات، مستوٍ على عرشه فوق كلِّ المخلوقات.

(٢) وفوقية القدر، والصِّفات، فهو موصوف بكل صِفات الكَمال، لا تفوته صفةٌ واحدة منها، ولا يطيق أحدٌ من العِباد واحدة منها.

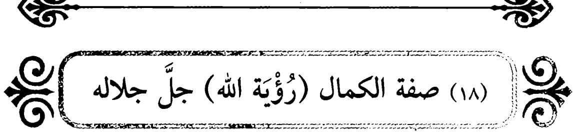
(٣) وله فوقية الغلبة والقهر: فهو الغالب الذي لا يُغْلَب، والقاهر الذي لا يُقهر، الذي دانَتْ له كلُّ الكائنات بأسرِها، فلا يتحرك منهم متحرك، ولا سكن ساكن إلّا بإذنه(٢).

* * *

---

(١) انظر: «عمدة الحفاظ» (٣/٢٥٧).

(٢) «فتح الرحيم الملك» (٢٩) بتصرف.



(١٨) صفة الكمال (رُؤْيَة الله) جلَّ جلاله

إنَّ رؤية الله تبارك وتعالى في الدّار الآخرة، هي أشرف المسائل، وأسمى المَراتِب، وأغلى الأماني، وأعلى النَّعيم والهنى في جنات الله تعالى العُلا.

«فهي الغاية التي شمَّر إليها المُشمرون، وتنافس فيها المُتَنافِسون، وتسابق إليها المُتَسابِقون، ولِمِثْلها فليعمل العامِلُون، إذا نالها أهلُ الجنَّة، نسُوا ما هم فيه من النَّعيم، وحرمانها والحجاب عنها لأهل الجحيم، أشد عليهم من عَذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمُرْسَلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القُرون»[١].

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا جُلوسًا عند النبي ﷺ، إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنَّكم سَتَرَوْنَ رَبَّكم عيانًا، كما ترون هذا القمر، لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا**»[٢].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: إنَّ رؤية الله تعالى في يوم القيامة قد أجمع

---

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٣٦١).

(٢) صحيح البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

وفي رواية: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى رَبَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «**هل تُضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب؟**» قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «**فإنَّكم ترونَه كذلك**» البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) واللفظ له. وانظر حديث صهيب في صفة الوجه.




عليها أهلُ السُّنّة والجماعة، ورؤيته سبحانه في الآخرة تكون في مكانَيْن:

الأول: «في عَرْصَات يوم القِيامة.

الثاني: تكون بعد دخول الجَنَّة»[(١)].

فالأولى رؤية: هيبة، وإجلال، واختبار[(٢)].

والثانية رؤية: حبرة وتنعيم، ليس لسرورها ونعيمها مثيل، رزقَنا الله تعالى وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم ـ آمين ـ.

وقد فسر سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ الذي ليس بعد تفسيره تفسير، قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بأن الحُسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الأعلى سبحانه[(٣)]، ومن الأدلة السنية في رؤية رَبِّنا الواردة في الدارة الأخروية قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فجمعَ سبحانه لأوليائه من النَّعيم كما في الآية التي تقدَّمَت: جمال الظاهر والباطن، فزيَّن وجوههم بالنَّضْرَة، وبواطنَهم بالنَّظَر إليه، فلا أجمل لِبَواطنهم، ولا أنعم، ولا أحلى من النظر إليه[(٤)].

وقد أخبر ﷺ كما تقدم في الأحاديث أن المؤمنين سيَرَوْن الله تعالى حقيقة رؤية عين «**إنكم سترون ربَّكم عِيَانًا**»، قوله: (عِيَانًا): بكسر العين؛ أي: رؤية حقيقية لا خَفاء فيها، وقوله: «**كما ترون القمر**»: أشار إليه زيادة في البَيان، والتأكيد، والتحقيق، على أن المؤمنين يرون ربَّهم تعالى رؤية

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (١/٣٨٤).

(٢) سيأتي بيانه في صفة الفعل (التجلي) رقم (٧٦).

(٣) تقدم في صفة (الوجه) ذكر تفسير هذه الآية الكريمة من سعة المصطفى ﷺ.

(٤) «التبيان في أقسام القرآن» (١٩٨).




حقيقية بالأبصار، وقوله: «**لا تُضامُّون في رؤيته**»: تضامُّون: بفتح التاء، وضمها، والمعنى: لا يضر بعضهم بعضًا في رؤية الله تعالى، فيراه بعضُهم، ويحجب عن رؤيته آخرون منهم، بل يراه كل المؤمنين رؤية واضحة، كوضح الشمس والقمر.

وقوله في الحديث الآخر: «**لا تُضارّون**» بضم أوله، وبالضاد، وتشديد الرّاء، بصيغة المُفاعلة من الضرر، أي: لا تضرون أحدًا، ولا يضركم بمنازعة، ولا مُضايقة.

وقوله: «**كما ترون هذا القمر**»: الإشارة إلى القمر تلك الليلة التي هي ليلة البدر، والقمر فيها أتمّ وأوضح ما يكون، فشبَّه ﷺ رؤية المؤمنين رَبّهم برؤيتهم القمر في تلك الليلة في تمامه واستوائه ووضوحه...، وهذا يدلُّ على أنَّ رؤية الله تبارك وتَعالى رؤية عيانية، جليَّة، لا لبس فيها، ولا خَفاء[1].

(١٩) صفة الكمال (السُّلْطان) الجليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: كان ﷺ إذا دخل المسجد يقول: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسُلطانِه القديم، من الشيطان الرَّجيم**» فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مِنِّي سائرَ اليوم)[2].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **السُّلْطان**: الحُجَّة والبُرهان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حجة وبينة، وقال تعالى:

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٣٦٧ - ٣٧٣).

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٦٦).




﴿فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: حيثما كنتم شاهدتم حُجَّة الله تعالى، لذلك قيل للأمراء: سلاطين، لأنهم الذين تُقام بهم الحُجَّة، والحُقوق. والسلطة: التمكن من القهر، ومنه السُّلْطان، لأنه يتمكن من قَهْر رعيته على ما يريد. والسلطان: الوالي، والجمع سَلاطين، وهو: قدرة الملك، وقدرة من جُعل ذلك له، وإن لم يكن مَلِكًا[1].

فالسُّلطان في القرآن يطلق على وجهَيْن:

المُلك، والقهر، والحُجّة[2].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: يوصف رَبّنا الجليل بالسُّلْطان العظيم القديم الأزليّ الذي ليس له ابتداء، كما أنه ليس له انتهاء، دائم بدوامه سبحانه على الآباد.

فهو سبحانه «الذي استوى على العرش واحتوى على الملك، يدبر الأمرَ في أقطار العلوي والسفلي»[3].

فلا يملك أحدٌ رَدَّ مشيئته، أو نقض تدبيره، أو الخروج عن سُلْطانه، وتقديره، فكل المخلوقات قد خضعت في حركاتها، وسكناتها، وما تأتي وما تذر لملكِها ومدبّرها، فليس لها من الأمر شيء، ولا من الحكم شيء، بل الأمر كله لله، والحكم الشرعي، والقدري، والجزائي كله لله تعالى، لا حاكم إلّا هو، ولا ربّ سِواه، ولا إله سِواه[4].

---

(١) «عمدة الحُفّاظ» (٢/٢١١)، و«كتاب العين» (٢/٢٦٤).

(٢) «الأشباه والنظائر» (١٦٧).

(٣) «الحق الواضح» (٢٣).

(٤) «فتح الرحيم الملك» (١٧).




(٢٠) صفة الكمال (السَّاعِد) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال ﷺ: «**... فإنَّ ما آتاكَ الله عَزَّوَجَلَّ لك، وساعد الله أشد، وموسى الله أحد**»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: **الساعد**: ما بين المرفق والكف، وسمي ساعِدًا لأنه يُساعد الكَفَّ في بطشِها، وعملها، والساعد هو العضد(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الساعد من صِفات الله تعالى الذاتية العليَّة، والتي تَليق بِكماله، وجَلاله، وعظمته، لا تشبه سواعدَ خلقِه، كصفة اليد، والكَفّ، والأصابع وغيرها من الصِّفات، ولِهذا ينبغي للمؤمن الموحد أن لا يستوحش هذه المعاني الجليلة من الصفات، بدعوى مشابهة ذلك بالمخلوقات، فإنه كما أثبتنا أنَّ لله تعالى ذاتًا لا كالذَّوات، فكذلك نثبت كلَّ ما جاء عن الله تعالى في كتابه، وعن رسوله ﷺ في سنته، من كماله الأعلى في الصِّفات.

فقد أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في كتابه الجليل «كتاب السنة» أثرًا عن الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إذا جلس الرب عز وجل على الكرسي» فاقشعرّ رجلٌ سماه أبي (يعني الإمام أحمد)، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان الثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها»(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٥٨٨٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: «صحيح على شرط مسلم» (٢٥/٢٢٤).
وفي رواية: «**فكلّ ما آتاكَ الله لك حل، ساعد اللهِ أشدّ من ساعدِك، وموسى الله أحدّ من موساك**».
صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١/٤٤٥)، وفي «التعليق الرغيب» (٢/١٠٤).

(٢) «المصباح المنير» (١٦١).

(٣) «كتاب السنة» رقم (٥٧١) (ص٢٥٩)، ورواه الذهبي في «العلو» رقم (٣٩٢) (١٠٣٤) عن أحمد بن حنبل، عن الوكيل عن إسرائيل ثم ذكر الحديث: «إذا جلس الرب...».




قال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّه غير ممتنع حملُ الخبر على ظاهره في إثبات السَّاعد صفة لِذاته، كما حملنا قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على ظاهره، وأنَّها صفة ذات، إذْ ليس في ذلك ما يَحيل صِفاته ولا يخرجها عمَّا تستحق...»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا أن قوله ﷺ «وموسى الله أحد من موساك»: «أنه ليس من الصِّفات، وإنما لم يجب حمل الموسى على أنه صفة للذات كالسَّاعد، لأنّ الموسى آلة، والآلات لا تكون صِفاتًا للذات، وليس كذلك السَّاعد...»(٢).

(٢١) صفة الكمال (الواجد) الجَليلة

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١ ـ قال ربُّ العالمين: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

٢ ـ وقال جلَّ جلاله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨](٣).

۞ السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: في الحديث القدسي: «... إن الله يقول: ذلك بأني

---

(١) «إبطال التأويلات» (٢/٣٤٤).

(٢) وله كلام نفيس، ارجع إليه غير مأمور. المصدر السابق (٢/٣٤٥ ـ ٣٤٦). وممَّن أثبت هذه الصفة الجَليلة من المتقدمين ابنُ مَنْدَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الرَّدّ على الجهمية» (٨٠). وكذلك الملطي في «التنبيه والرد» (١٤٤) بواسطة «صفات الله الواردة» لعلوي السقاف (٢٠٨). وممَّنْ ذَكَر هذه الصفة وأثبتَها الشيخ عبد الكريم الخضير، قال حفظه الله: «... ويثبتُ لله جلَّ وعلا هذه الصفة بمثل هذا الخبر» في شرحه لصحيح مسلم ، كتاب الحج، كما هو مسجل في أحد المواقع الإلكترونية.

(٣) وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [هود: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤].



جوادٌ واجدٌ ماجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون»(١).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الوجد:** السعة في المال، والمقدرة عليه، ويقال: وقد وَجَدَ يجِدُ جِدة، أي: استغنى غنًى لا فقر بعده، وفي الحديث: **«ليُّ الواجد ظلم»**، أي: مطل الغني ظلم، والوجد: اللقية والرؤية، يقال: وجد ضالته يجدا وجدانًا، إذا رآها ولقيها(٢).

والوجد: العلم، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: ٣٩]، أي: علمه، يقال: وجدت فلاناً عالمًا، أي: علمت كونه كذلك، وقد يكون بمعنى: الوجود(٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتعالى هو الذي لا يؤوده طلب، ولا يحول بينه وبين المطلوب هرب، فالخلق كلهم في قبضته يتقلبون، وعلى مشيئته يتصرَّفون، ولا يعجزه شيء، وهو سبحانه الذي لا يضل عنه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يعجزه شيء، وهو العالم الذي لا يغيب عنه شيء، وهو الغني الذي لا يفتقر(٤)، والكل دونه محتاج إليه في كل شأن وأمر "فهو سبحانه الموجود الواحد على الإطلاق، وجميع الموجودات من إيجاده، وهو تعالى له الوجود من ذاته لذاته في الأزل"(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢١٣٦٧) (٢١٣٦٩) (٢١٥٤٠) وصححه محققو المسند (٢٩٤/٣٥، ٢٩٧، ٤٢٨).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢٨٤/٤)، و«النهاية» (٩٦٠).

(٣) «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» للقاضي أبي يعلى الفراء (٦٧٩)، و«الاعتقاد» (٥٤) للبيهقي، و«تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد» لأبي إسحاق إبراهيم الصفار البخاري (٦٤٤/٢).

(٤) ينظر: «الحجة في بيان المحجَّة» (١٥٠/١١)، و«تفسير الأسماء» (٥٧)، و«شأن الدعاء» (٨١)، و«الأسماء والصفات» (١٩٦/١)، و«الاعتقاد» (٥٤).

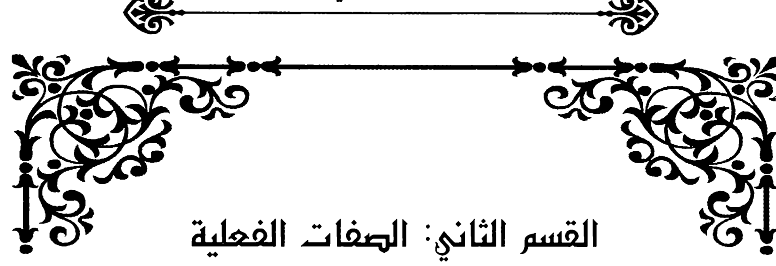
(٥) «الأسنى» (٣٢٣).




وهو تعالى الذي لا يعجزه عن إبراز أي شيء في عالم الظهور والعيان، فهو سبحانه الذي لا يحتاج إلى شيء، وكل الكمالات موجودة له، وهو وحده نافذ المراد، وجميع أحكامه لا نقض فيها لغيره ولا إبرام، وكل ما سوى الحق تعالى لا يسمى واجداً، وإنما يسمى فاقدًا، فإنه إن وجد فيه بعض الكمالات، فهو فاقد للكثير منها[1] في غالب الحالات.

** ** **

(١) انظر: «حاشية د. محمد الرشيدي على شرح أسماء الله الحسنى» لأبي العباس البرنسي (١٠٠).



القسم الثاني: الصفات الفعلية

القواعد والضوابط

❁ **القاعدة الأولى: (أفعال الربِّ صادرة عن أسمائه وصفاته، وأسماء المخلوقين صادرة عن أفعالهم)**[1].

إن أفعال ربنا سبحانه كلها عن كماله، فالرب لم يزل كاملاً، فحصلت أفعاله عن كماله، لأنه كاملٌ في ذاته، وصفاته، فأفعاله صادرة عن كماله، كمل ففعل، وهذا بخلاف المخلوق، فإن كماله من فعاله، فعل فكمل الكمال اللائق به[2].

ولهذا فإن أفعاله تعالى بكل أجناسها وأفرادها ترجع إلى أمرين جليلين:

أولاً: أفعال تدلُّ على الإحسان، والإنعام، والبِرِّ، والرّشد، والهدى.

ثانيًا: أفعال تدل على الحكمة، والعدل، والإنصاف[3].

الضابط الأول: هي الصفات التي تقومُ بِذاته، بِمَشيئته، وقدرته، وإرادته، في كلِّ وقتٍ، وآن، وزَمان، فتحدث إذا شاء، عند وجود أسبابِها، كاستوائه على عرشِه، ونزوله كل ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا،

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/١٦٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (١/١٢٥، ٤١٧)، و«شرح النونية» للهراس (٢/٤٥٦) بتصرف.

والخلق، والمحبَّة، والرِّضا، والغضب، والسخط، وهي تنفكُّ عن الله تعالى؛ أي: إنَّ الله تعالى رُبَّما اتصف بها في حالٍ دون حالٍ، بمعنى: إن شاء سبحانه فعلها، وإن شاء لم يفعلها[1].

الضابط الثاني: أن «صفات أفعالِه متصفة بها الذّات، ومتعلقة بما ينشأ عنها من الأقوال، والأفعال»[2] التي لا حصرَ لها.

القاعدة الثانية: (الصفات الفعلية أزلية النوع، حادثة الآحاد).

أي: إن صفات الله تعالى الفعلية أزلية كالصفات الذاتية، كما أنَّ ذاته العلية كانت قبل الخَليقة، فكذلك أفعاله تحذو حذوها.

ومعنى (حادثة الآحاد)؛ أي: أنَّها تتجدَّد وتحدث أفرادها شيئًا فشيئًا، تبعًا لحِكمة رَبِّنا جَلَّ وَعَلَا، مثل: صفة (الخلق): تحصل أفرادها شيئًا فشيئًا، فخلق العرش مثلًا وقته متقدم على خلق السموات والأرض، وهكذا خلقهما متقدمٌ على خلق آدم، ونحو ذلك، فهو تعالى لم يتصف بصفة لم يكن موصوفًا بها في الأزل، بل هو لم يزل ولا يزال متصفًا بها[3].

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما زالَ بصِفاته قديمًا قبل خلقه» «وكما كان

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٩، ٢١٧)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و«الحق الواضح» (١٥٠)، و«الكواشف الجليلة» (٢٥٨)، و«الصفات الإلّهية» للجامي (٢٠٦)، و«شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨)، ولابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/٣٢٧)، و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٢٥١).

(٢) «الحق الواضح» (١٠١).

(٣) قال الإمام العالم عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله: «اسمه كأسمائه سواء، لم يزل كذلك، ولا يزال، لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن، كذلك قبل الخلق كان خالقًا قبل المخلوقين، ورازقًا قبل المرزوقين، وعالمًا قبل المعلومين، وسميعًا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيرًا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة». «نقض عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي» (١٠٢).




بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا، ليس بعد الخلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداث البريَّة استفادَ اسم الباري»[1].

فهو تعالى لم يزل ولا يزال يقول، ويتكلَّم، ويخلق، ويدبِّرُ الأمور، وإن أفعالَه الجَليلة تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لِحِكمته، وإرادته، فإنَّ شرائعه وأوامره، ونواهيه الشرعية لا تزال تقعُ شيئًا فشيئًا[2].

۞ القاعدة الثالثة: (صفات الأفعال كلها متعلِّقَة وصادِرَة عن ثلاث صفات).

ثبت باستقراء أدلة الكتاب والسنة: «أن صِفات الأفعال كلها متعلقة، وصادرة، عن هذه الصفات الثلاثة: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامَّة، وهي كلُّها قائمة بالله تعالى، والله متَّصِف بها، وآثارها، ومقتضياتها جميع ما يصدرُ عنها في الكون كله من التقديم، والتأخير، والنفع والضّرّ، والعطاء والحِرْمان، والخفض والرَّفع، لا فرق بين محسوسِها، ومعقولِها، ولا بين دِينِها ودُنْياها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال»[3].

❊ الضابط الثالث: «كلُّ صفةٍ علقت على سَبَبٍ فهي من الصِّفات الفعلية».

الصفات الفعليَّة كلُّها تتعلَّق بالمَشيئة، ووجه كونِها تتعلَّق بالمَشيئة أنَّها مربوطة أو معلَّقة بالسَّبَب، إذ إن السبب واقع بِمَشيئته، والسبب هو الذي علقت به الصفة، فتكون الصفةُ إذن واقعة بِمَشيئته، وعلى هذا

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧، ١٣٧).
(٢) «شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨).
(٣) «توضيح الكافية» (١٣١).



فنقول: الرِّضا من الصفات الفعلية لأنَّ لها سببًا معلومًا، فمتى وجد سببُ الرِّضا (من الأقوال، والأفعال، والأشخاص، والأحوال) وجدَ الرِّضا، وهكذا صفة الغَضَب، والسُّخْط، والمحبَّة، (والمقت، والانتقام، والبطش، والأخذ) فهي كلُّها من الصِّفات الفعلية، لأنَّها توجَد بوجود ذلك السَّبَب، وتَنتفي بانْتِفائه[1].

* **الضابط الرابع:** «كلُّ فعلٍ عَلَّقه الله تعالى بالمَشيئَة فإنَّه مقرونٌ بالحِكمة».

الله سبحانه فَعّال لِما يُريد، كيف يريد، ومتى يُريد، وفي أي وقتٍ يُريد، وهذا من كَماله الذي لا مُنْتَهى له سبحانه، ومع أنه الفَعّال لِما يُريد، فلا يُريد إلّا ما اقتضَتْهُ حكمتُه، وحمده، فجميعُ أفعاله تابعةٌ لِحِكمتِه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠][2].

۞ القاعدة الرابعة: (الله تعالى موصوفٌ بالفعل اللازم، وموصوف بالفعل المتعدِّي).

صفاتُ الأفعال من جهة تعلُّقها بمتعلّقها (ثلاثة أنواع):

* **النوع الأول:** صفات مُتعدِّية، وهي ما تعَدَّت لِمَفعولِها بلا حرف جَرٍّ، أي: ما كان قائمًا بذات الله، ولها تعلق وأثر على المخلوق، مثل: الخلق، والرِّزْق، والهداية، والإضلال، والمنع، والعَطاء، والإحياء،

---

(١) انظر: «شرح الواسطية» (١/١٨٤)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/١٠٥)، و«تفسير سورة النساء» (٢/١٨٩)، و«سورة فاطر» (٨/١٥٠)، و«سورة الصافات» (٤٢) لابن عثيمين.

(٢) «فتح الرحيم الملك» (٢٧)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (١/١٦١).




والإماتة، والقَبْض، والبسط، والنَّصر، وأنواع التدابير الكونية، والشرعية، وغيرها مِمّا لا يُحْصى، وهذا النوع متعلِّق بالمخلوقات.

* **النوع الثاني**: اللازمة؛ أي: غير مُتعدِّية، أي: قائمة بالفاعل، وهي: ما تتعدَّى لِمَفعولِها بحرف جَرٍّ، كالاستواء، والمَجيء، والإتيان، والنُّزول، والفرح، والعَجَب، فهذه الصفات الجَليلة لازمة لم يفعلْها سبحانه في غيره، فهي متعلِّقة بِذاتِهِ المقدسة العَظيمة.

(**النوع الثالث**: ما يجمع النوعين السابقين، أي: صفات فعلية متعدية، وفعلية لازمة مثل صفة (الضحك): قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣]، "فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة، أضحك في الدنيا، وفي الآخرة من شاء من عباده"[١]. وعلى هذا التعلق من الأفعال المتعدية، وأنه تعالى هو يَضْحك متى وجدت أسبابه كما سيأتي، فهو من الأفعال اللازمة، فربنا سبحانه يَضْحَك ويُضْحِك كما يليق بجلاله.

ومن الصفات كذلك صفة (المحبة)[٢]، و(الكره)[٣]، و(الرضا)[٤]، و(البغض)[٥] و(الصبر)[٦])[٧].

---

(١) «شفاء العليل» (٢/٤٩١)، وتفسير سورة النجم» (٢٤٨) لابن عثيمين.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧].

(٣) قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

(٤) كما في الحديث «فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمد وقل له: **إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» مسلم (٢٠٢).

(٥) قال ﷺ: «**وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل.. الحديث**» مسلم (٢٦٣٧)

(٦) قال ﷺ: «... ومن يتصبَّر يصبِّره الله...» البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٧) ما بين المعقوفين من كلامي واجتهادي والله أعلم.



وإنما قسمت كذلك: نظرًا للاستعمال القرآني والسنة من جهةٍ، ولِكَوْنِها في اللغة كذلك، وقد جمعَ هذَيْن النوعين سبحانه في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤][1]، فـ(خلقُ السموات والأرض) من الأفعال المتعدِّية لتعلقها بالمخلوقين، (ثم استوى على العرش) من الأفعال اللازمة القائمة بذاتِه العَلِيَّة، لا يتعدى إلى غيره.

وينبغي أن يُعلَم أن صِفات الله تعالى المقيَّدة على وجه المُقابلَة بالجَزاء كما سيأتي كلها صِفات مُتعدِّية، والله سبحانه أعلم.

* **الضابط الخامس**: «وجوه الاختلاف بين صفات الذّات، وصِفات الفعل».

«**الأول**: إنَّ الصفات الذاتِيَّة تعتبر من لوازِم الذّات، لا تنفكُّ عنها بأيِّ حالٍ.

أما الصفات الفعلية ليست من لوازم الذّات، ويمكن أن تنفكَّ عنها، بمعنى: أن الله تعالى إن شاء فعلَها، وإن شاء امتنعَ عنها.

الثاني: إنَّ الصفات الذاتيَّة لا تتعلَّق بالمَشيئة، والإرادة، والقُدرة، أما الصفات الفعليَّة تتعلَّق بالمَشيئة، والإرادة، والقُدرة، متضمِّنَة للحكمة في كلِّ أوجهِها.

الثالث: إنَّ صفات الذّات لا ضِدَّ لها ولا مُقابل، أما صفات الفعل

---

(١) انظر: «مجموع الفَتاوى» (٦/٢٣٣)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٢٩) (٢/٢٥٤)، و«توضيح الكافية» (١٣٢)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/٢٥١) لابن عثيمين، و«اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِصالح آل الشيخ (٢/٣٩).





فلها ضدّ ومُقابل، فالذات مثل: (الحيّ)، والفعل مثل: (المُحْيي).

الرابع: إنَّ صفات الذّات ليس متعلّقة بِسَبب، أما صِفات الأفعال فهي مقترنة ومتعلِّقة بالأسباب.

الخامس: إنَّ مرجعَ صِفات الذّات إلى اسمه (الحيّ)، وأما صفات الفعل فهي ترجع إلى اسمه (القَيُّوم).

السادس: إنَّ الصفات الذّاتية متعلِّقة بالذّات، والصفات الفعلية متصفة بها الذّات، ومتعلِّقة بما ينشأ عنها من الأقوال، والأفعال.

السابع: إنَّ صفات الذّات ثابتة بالشَّرْع والعقل، أما صِفات الأفعال فمنها: ما هو ثابت بالعقل والشرع، كالخلق، والرِّزْق، (والإحسان، والإكرام، والرَّحمة، والحكم، والانتقام، والسُّرعة، والشفاء، وغيرها)، ومنها ما هو بالشرع، وإن كان العقل لا يدلُّ على خِلاف ما دلَّ عليه الشرع، كالاستواء، والنُّزول إلى سماء الدنيا»[1]، والحَياء، والبَشْبَشَة، والعَجَب، واستطابة الرَّوائح، والمسح، وغيرها.

والمقصود وجه الاختلاف بين صِفات الذات، والفعل هنا: هو الصفات الذاتيَّة المَحْضَة، الذي ليس لها تعلق بالمَشيئة أبدًا، كما سيأتي في القسم الثالث من ذكر «الصفات الذاتية والفعلية» بالتفصيل أن هناك صفات متضمنة لِنوعَي الصفات الجَليلة الثبوتية الذاتية والفعلية.

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧) و«الحق الواضح» (١٠١) و«الكواشف الجليلة» (٧٤) و«القواعد الكلية للأسماء والصِّفات» (٩١- ٩٢)، و«المفسرون بين التفويض والإثبات» د.المغراوي (١١٧/١-١١٨)، و«الصفات الإلّهية» للتميمي (٦٥).




❋ **الضابط السادس: «وجه التَّشابه بين صِفات الذّات والفعل».**

الأول: إنَّ كِلا النوعَيْن يجتمعان في أَنَّهما صفات لله تعالى، موصوف بهما سبحانه أزلًا، وأبدًا، لم يتصف بصفة لم يكن متصفًا بها قبل.

الثاني: إنَّ كِلا النوعَيْن يرجِعان إلى أسمائه الحُسنى، بمعنى: أنه كما سبق يرجع أحدُهما وهو صفات الذات إلى اسمه (الحيّ)، والفعل إلى اسمه (القيُّوم).

❋❋ ❋❋ ❋❋




أقسام الصِّفات الفِعْلِيَّة

تنقسم صِفات رَبِّنا العظيم الفعلية كما تقدم إلى قسمين:

القسم الثاني: صفات فعلية مطلقة[1].

القسم الأول: صفات فعلية مقيدة[2].

الصفات الفعلية المطلقة

هذا القسم الأول من صِفات رَبِّنا تعالى الفعلية، وهي أوسع من الصِّفات المُقَيَّدة[3].

القواعد

۞ **القاعدة الأولى: (الفعل المُضاف إلى الله تعالى ثلاثة أنواع: جنس، ونوع، وآحاد).**

المقصود من هذه القاعدة بيان أنواع الصفات الفعلية المطلقة، من

---

(١) هي الصفات التي جاءت غير مقيدة على جهة الجزاء، سواء كان الجزاء: بالعقوبة، أو بالمثوبة، مثل: الخلق، والإبداع، والإحياء، والإماتة، والتدبير، والرزق، والاستواء على العرش، والنزول إلى سماء الدنيا، والخط، والكتابة، والزراع، والكلام، وغيرها الكثير.

(٢) وهي قسمان كذلك: الأول: على جهة المقابلة بالجزاء الحسن والمثوبة، مثل: التجاوز والتيسير والتنفيس والإقالة والإيواء، وغيرها الكثير، والثاني: صفات مقيدة على جهة المقابلة بالجزاء في العقوبة، مثل: الكيد والمكر والفضح، والاحتجاب والإهانة وغيرها الكثير.

(٣) بأضعاف مضاعفة بل لا تحد، ولا تعد.

حيث أصلها ؛ أي: ملازمتها للذّات، ومن حيث ما ينشأ عنها من أنواع، وأفراد من الأفعال.

الأول: الجنس، وهو صفة أزليَّة أبدية ؛ أي: إنَّ الله تعالى لم يزل ولا يَزال فعالًا، فهو فعّال في الأزل، كما فعال في الأبد، فمثلًا الفعل جنس، يدخل فيه: الكلام، والنزول، والاستواء، والرزق، والإحياء، والإماتة، فهو جنس يشمل كلَّ فعل يصدر من الله عَزَّوَجَلَّ، (فالله تعالى موصوف بهذه الصِّفات أزَلًا، كما هو موصوف بها أبدًا، لم يتصف ولم تحدث له صفات لم يكن متَّصِفًا بها تعالى قبل).

الثاني: نوعي، وهو حادث متجدد، فمثلًا صفة «الكلام» كما تقدم أصلها أزلي، ولكن الكلام أنواع منه: خبر، استخبار، أمر، نهي، وهذه كلها أنواع لِصفة الكلام، فعليه تتجدَّد حسب مشيئته وحكمته سبحانه. ومثل: «الاستواء على العرش» مِمّا حدث نوعه، فإنَّ الله تعالى لم يستو على العرش قبل خلقِه، لأنَّنا لم نعلم فعلًا هو «الاستواء» إلّا ما كان خاصًّا بالعرش، وكذلك «النزول إلى السماء الدنيا كلّ ليلةٍ».

الثالث: آحادي أو ضروري، فقد تقدم أن صفة «الكلام» لها أنواع: كالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، وهذه الأنواع لها أيضًا آحاد، مثل قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ كلاهما أمر، فهما داخِلان في آحاد النوع «الأمر».

ومثل: صفة «النزول» كما تقدم، فهو حادث النوع، وحادث الآحاد أيضًا، لأنَّ الله تعالى ينزل كلَّ ليلةٍ، والاستواء على العرش مطلَق عام،

ليس له حدّ (بزَمَن) بليلة، ولا بيوم، ولا بأسبوع، أو شهر، لكن النزولَ متجدِّد، لأنه ينزلُ كلَّ ليلةٍ.

ومثل: «المجيء لِلفصل بين العِباد»، و(النزول إلى السماء الدنيا عشية عرفة» و«الغضب» عند وجود سَبَبِه، و«الرِّضا» عند وجود سَببِه، و«العَجَب» كذلك عند وجود سَببِه، وغيرها.

والله جَلَّ جَلَالُهُ يقوم به من الأفعال والأقوال التي لا يُحيطها أحدٌ، إلّا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

القاعدة الثانية: (الصفات الفعلية [من حيث تعلقُّها بالأسباب] نوعان).

تقدَّم مِرارًا أن صفات الله تعالى الفعلية متعلِّقة بِمَشيئته[2]، وكونها متعلِّقة بالمَشيئة أنها مربوطة بِسبب، ومعلوم أنَّ الأسبابَ منها ما هو معلوم، ومنها ما هو مجهول، وعلى هذا فإنَّ صفات الأفعال من حيث هذا التعلُّق «نوعان:

الأول: صِفات لها سبب معلوم، مثل: الرِّضا، فالله عَزَّوَجَلَّ إذا وجد سبب الرِّضى: رَضِي، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

النوع الثاني: صفات ليس لها سبب معلوم، مثل: النُّزول إلى الدُّنيا

---

(١) انظر: «شرح عقيدة أهل السنة» والجماعة» (١٩٠)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/١٢٩)، و«تفسير سورة النساء» (١/١٢٨) (٢/٢٢١)، و«شرح القواعد المثلى» (١٢٣) لابن عثيمين.

(٢) تقدَّم في الضابط الثالث في (ص ٨٣) أنَّ «كل فعل علقه الله تعالى بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة».




حين يبقى ثلث الليل الآخر»[١].

والنوع الأخير لا ينافي الحكمة في أفعاله كالأول، لأنه من اعتقاد أهل السُّنَّة والجَماعة أنَّ أفعالَه تعالى مُعَلَّلَة؛ أي: معلقة كلها بالحكمِ الباهِرة، والغايات الحميدة، فبعض أحكام الله يُعلَم سببُها، وقد يكون نسبي متفاوت بين العِباد، وبعضُها لا يعلم الحكمة فيها.

وهذا هو الاعتقاد الراسخ الصحيح في أفعاله سبحانه[٢]. والله تعالى أعلم.

۞ القاعدة الثالثة: (صفات الأفعال تتفاوت وتتفاضل على قدر الأسباب المتعلقة بها)[٣].

من الاستقراء في أدلة الكتاب وسنة خير العباد أن أفعال الله تعالى تتباين على قدر ما تقتضيه أسباب التعلق بها، فمثلاً محبته تعالى لأوليائه تتفاوت كما في الحديث: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»**[٤]، وكذلك "غضبه تعالى الذي سيكون في عرصات القيامة غير مسبوق بمثله، وغير ملحوق بمثله"[٥].

**　**　**

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١/١٨٣).

(٢) للاستزادة انظر «الحكمة والتعديل في أفعال الله تعالى»، د. محمد بن ربيع المدخلي (٤٣).

(٣) تقدم في القاعدة العاشرة: (أن صفات الله تعالى تتفاضل فيما بينها). والمقصود هناك: التفاضل بين الصفة والأخرى، أما هنا فالتفاضل في الصفة نفسها.

(٤) مسلم (٢٦٦٣).

(٥) «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» (١/٣٦٩).




(١) صفة الكمال (الاِسْتِوَاءُ عَلَى العَرْشِ) الجليلة

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال عزَّ شأنُه: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][(١)].

❁ السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: ١) قال ﷺ: **«يا أبا هريرة، إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش اليوم السابع..»**[(٢)].

٢) وقال ﷺ: **«لَمّا فرغَ الله مِنْ خلقِه، استوى على عرشِه»**[(٣)].

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: **الاستواء في اللغة: له أربع معانٍ: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود.**

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبَنا الله عَزَّوَجَلَّ بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق، ومقيد، فالمطلق: ما لم يوصَل معناه بحرف، مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كَمُلَ، وتمَّ..، وأما المقيد: فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بـ(إلى)، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهذا بمعنى العلو، والارتفاع بإجماع السلف.

---

(١) امتدح الله تبارك وتَعالى نفسه بالاستواء على العرش، في سبع مواضع في القرآن الكريم: الأعراف (٥٤)، يونس (٣)، الرعد (٢)، طه (٥)، الفرقان (٥٩)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٤١٢)، وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَعليقه على مختصر العلو للذهبي: «إسناده جيد» (ص١١٢).

(٣) رواه الخلال في كتاب «السُّنَّة» وقال: «هذا حديث إسناده كلهم ثِقات، وهم مع ثِقَتِهم شرط الصحيحين مسلم والبخاري، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٠٧ - ١٠٨). انظر: كتاب العلو للعلي العظيم للذهبي رقم (١١٠) تحقيق ودراسة عبد الله بن صالح البراك (٥٢٤/١).




الثاني: مقيد بـ(على)، كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] وكقوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وهذا معناه أيضًا: العلو، والارتفاع، والاعتدال، بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بِواو المعية، التي تعدى الفعل إلى المفعول معه، نحو: «استوى الماء والخشبة» بمعنى: ساواها»[(١)].

وقد ورد في تفسير معنى الاستواء عن كِبار التابعين، فعن مُجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: «علا على العرش»[(٢)].

وعن أبي العالية الرياحي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، يقول: ارتفع[(٣)]، وكذلك عن الربيع بن أنس[(٤)].

العرش: في اللغة له معنيان:

الأول: سرير الملك، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

الثاني: سقفُ البيت، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩][(٥)].

---

(١) «مختصر الصواعق» (٣٢٠)، و«الرد على الجهمية» لابن قتيبة (٩٠)، وانظر شرح النونية للهراس (٢١٥/١).

(٢) البخاري (٤١٣/١٣).

(٣) «التفسير الصحيح» (١٣٢/١).

(٤) «تفسير الطبري» (٤٢٩/١)، وانظر: أقوال التابعين في التوحيد (٩٧٤/٣).

(٥) «تهذيب اللغة» (٤١٣/١).

فدلَّ مما ذكره أهلُ اللغة: أن العرش اسم للسرير المرتفع، الذي يجلس عليه الملك، ويطلق على السَّقف، وعرش الله جلَّ وعلا له المَعْنَيان: فهو محلّ استوائه تعالى، وهو سقف المخلوقات[1].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف رَبّنا العظيم نفسه بصِفة الاستواء على العرش في سبع مواضع، وهي من الأفعال اللازمة، لأنه كما تقدم «أن أقسام الصفات الفعلية من جهة التعلق قِسمان: الأول: متعدية: كالخلق، والرِّزق، والإعطاء، والثاني: اللازمة: كالنزول، والاستواء..»[2]، ومعنى متعدية: أنها تتعدَّى إلى المخلوقات، والاستواء هو: العلوّ والارتفاع؛ أي: علا على عرشه كما يَليق بِجَلاله، وكَماله، ولِحكمته، فهو سبحانه «استوى على العرش ليس لِحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، فهو الغنيُّ عن كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فهو تَعالى فوق العرش، مع حمله بقدرته للعرش، وحملته، وغِناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره العرش، وعدم حصر العرش إليه»[3]، كما قال الطحاوي في نظمه المشهور الذي تلقته الأمة بالثَّناء والقَبول، «وهو مستغن عن العرش وما دونَه، محيط بكلِّ شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»[4].

فهو سبحانه استوى على عرشه، الذي هو سرير مُلْكه، وسقف

---

(١) «الرد على الجهمية» لابن قتيبة (٨٧)، و«شرح كتاب التوحيد» لعبد الله الغنيمان (٢٥٦/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤٤/٦).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (٣١٣).

(٤) المصدر السابق.



مخلوقاته جميعها من السموات والأرضين، وما فيهما، وما بينهما تحت العرش، مقهورون بقدرته ﷻ، وهو - أي العرش - ذو قوائم، أمر الله عَزَّوَجَلَّ ملائكته بحمله، وتعبَّدَهم بتعظيمه، والطواف به، كما خلق في الأرض بيتًا، وأمر بني آدم بالطَّواف به، واستقباله في الصلاة[1].

عظم العرش وحملته

العرش أعظم المخلوقات التي خلقها الله تعالى على الإطلاق، فلا يعلم أحد عظمَته إلا الله رب العالمين[2]، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ مُلْقاة بأرض فَلاة، وفضل العرش على الكُرْسي، كفضل تلك الفَلاة على تلك الحلقة»**[3]. وقال ﷺ: **«أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من حَمَلَة العرش، ما بينَ شحمة أذُنِهِ إلى عاتقِه مسيرة سبعمائة سنة»**[4].

لما كان العرش أعظم وأوسع المَخْلوقات، المحيط بها من جميع الجِهات، فقد شرف بأن يستوي عليه تعالى بأوسع الصِّفات، وهي الرحمة والتي وسعت من في الأرض والسموات، فاستوى على أوسع

---

(١) انظر: ابن كثير (٤/١٧٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (٣٩٢).

(٢) فإذا كان الكرسي الذي قال عنه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فما بالك بعرشه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحدٌ قدرَه»، رواه الحاكم (٢/٢٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «مختصر العلو» للذهبي (١٥٢). وهذا له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه من الغَيْبِيّات التي لا تعلم إلّا من الشارع الحكيم.

(٣) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩).

(٤) صححه الألباني في «مختصر العلو» (١١٤).




المخلوقات، وهو عرشه، بأوسع الصِّفات، وهي رحمته. قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1].

(٢) صفة الكمال (النُّزُول، وَالهُبُوط، وَالتَّدَلِّي)[1] إلى السماء

﴿ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: ١) حديث النزول المشهور قال ﷺ: «ينزلُ رَبُّنا تبارك وتَعالى كلَّ ليلةٍ إلى السَّماء الدُّنيا حين يَبْقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له»[2].

٢) وقال ﷺ: «ينزل الله تعالى في السماء الدنيا لشطر الليل، أو ثلث الليل الآخر...، ثم يبسط يديه تبارك وتَعالى يقول: مَن يُقرض غير عدوم، ولا ظلوم»[3].

٣) وقال ﷺ: «لولا أنْ أشُقَّ على أمَّتي لأَمَرْتُهم بالسِّواك مع الوُضوء، ولأَخَّرْتُ العِشاءَ إلى ثلث الليل الأول، فإنه إذا مَضى ثلثُ الليل الأول، وهبطَ الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا، فلم يزَلْ هناك حتى يطلعَ الفجرُ...»[4].

٤) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «... مَن الذي يستكشف الضُّرَّ أكشفه، من ذا الذي يسترزقني أرزقه، حتى ينفجر الفجر»[5].

٥) وجاء عنه ﷺ: «... إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يتدلَّى في جوفِ الليل الآخر،

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/٣٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/١٢١).

(٢) البُخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) مسلم (٧٥٨).

(٤) رواه أحمد في المسند (٩٦٧، ٩٦٨)، وصحح إسنادَه أحمد شاكر (٢/٢٥ ـ ٢٦)، والألباني في إرواء الغليل (٢/١٩٧).

(٥) رواه أحمد في المسند (٧٥٠٩)، وصحح إسنادَه أحمد شاكر (٣/٢٥٠)، ومُحققو المسند (١٦/٤٤٠).

فيغفر إلّا ما كان من الشِّرْك والبغي...»[1].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: من الأصول العَقَدية عند أهل السنة والجماعة إثبات صِفات الله تعالى كُلّها، على الوجه الذي يَليق بِرَبِّنا، فلا يفرقون بين صفة وأخرى، إذ إنَّها من جنس واحد صفات حقيقية تَليق بالله ﷻ. ومن هذه الصفات: الصفات الاختيارية، والتي منها: النزول

وصفة النزول لِرَبِّنا الجليلة كل ليلة، صفة حقيقية تليقُ بكماله، وعليائه، وجَلاله، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنزوله سبحانه لا يماثل ولا يُشابه، ولا يُقارب بحال نزول المخلوقين، وحركاتِهم، وانتقالهم، فالمخلوق إذا نزلَ من علو إلى سفل زالَ عنه وصفه بالعُلُوِّ، وتبدلَ وصفُه بالسفول، وصار غيره أعلى منه.

والرَّبُّ العظيم ﷻ لا يكون شيء أعلى منه قط، فهو تعالى العلي الأعلى، وهو مستوٍ على عرشه فوق السموات العُلا، وينزلُ متى شاء، وكيف شاء إلى السماء الدنيا، وهو العلي الذي لا أعلى منه، ولا شيء فوقه[2].

۞ أنواع النزول الإلهي ۞

۞ النوع الأول: النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة في شهر رمضان:

قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى ليمهل في شهر رمضان كل ليلة، حتى إذا ذهبَ ثلثُ الليل الأول هبطَ إلى السَّماء، ثم قال: هل من سائلٍ**

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٨٥/٤)، وصحح الرواية عبد القادر الغامدي. انظر: صفة النزول الإلهي (١٠٢).

(٢) انظر: نقض الإمام الدارمي على المريسي (٣٥٨/١)، و«مجموع الفتاوى» (٤٢٤/١٦)، و«شرح حديث النزول» (١٥٣، ٢٣٢)، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني شيخ الإسلام (٢٦، ٤٨).




يُعطَى، هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يُتابُ عليه»[1].

النوع الثاني: النزول إلى سماء الدنيا عشية عرفة:

قال ﷺ: **«ما من يومٍ أكثر من أن يعتقَ الله تعالى فيه عبداً من النّار من يوم عرفة، وإنه لَيَدنو، ثم يُباهي الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء»**[2].

قوله: «ليدنو»: «التعبير عن النزول بالدُّنُو لأنه يتضمنه»[3]، والحديث بلفظ (النزول) شاهد له، قال ﷺ: **«إذا كان يوم عرفة، فإن الله** عَزَّوَجَلَّ **ينزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيباهي بهم الملائكة»**[4].

النوع الثالث: النزول إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان:

قال ﷺ: **«ينزلُ الله تبارك وتَعالى ليلةَ النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لكلِّ نفس، إلّا إنسان في قلبه شحناء، أو مشرك بالله** عَزَّوَجَلَّ**»**[5].

النوع الرابع: النُّزول إلى السماء الدُّنيا بين يدي السّاعة:

عن ابن عَبّاس ب أنه قال: **«يُنادي منادٍ بين يدي السّاعة: أَتَتْكم السّاعة، فيسمعه الأحياءُ والأموات»**، وفي لفظ: **«كل حي ومَيِّت، ثم ينزل الله تعالى**

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٣)، وصححه الألباني وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين (ص٢٢٤).

(٢) مسلم (١٣٤٨).

(٣) «صفة النزول الإلهي» (ص١٥٦).

(٤) رواه البزار في مسنده (١١٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٤٠)، والحديث إسنادُه صحيح لولا عنعنة ابن الزُّبير، انظر: السلسلة الضعيفة (١٢٥/٢). وصحح الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله: «كما وصف نفسَه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة، وبعضها في صحيح مسلم»«مجموع الفتاوى» (٣٧٣/٥)، ثم ذكر الروايات.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٩)، وصححه الألباني (ص ٢٢٢).




إلى السماء الدنيا، فيُنادي: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»[١].

۞ النوع الخامس: النزول إلى الأرض يوم القيامة[٢]:

قال ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القِيامة، ينزل إلى العِباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول ما يدعو به رجل جمع القرآن...»[٣].

۞ النوع السادس: النزول من العرش إلى الكرسي يوم القيامة:

قال ﷺ: «يجمعُ الله الأولين والآخرين لِميقات يوم معلوم، وينزل الله في ظُلَلٍ من الغَمام من العرش إلى الكرسي...»[٤].

۞ النوع السابع: النزول لأهل الجنة:

قال ﷺ: «أتاني جبريل وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذا الجمعة...» وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتَعالى من عليين على كرسيه، ثم حفَّ المنابر بكراسي من ذهب...»[٥].

وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «سارعوا إلى الجمعة فإن الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة»[٦].

---

(١) رواه الدارمي في الرَّد على الجهمية (١٤٠)، والعلو للذهبي، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وهذا الحديث حكمُه حكم الرفع لأنه لا يقال بالرَّأي.

(٢) «صفة النزول الإلهي» (١٣٤).

(٣) رواه ابن حِبّان في صحيحه (٤٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٢٠/٢) (١٢٠٤)، وصححه الألباني في العُلُوِّ (١١٠)، وفي الترغيب والترهيب برقم (٣٥٩١).

(٥) صححه الألباني في الترغيب والترهيب برقم (٣٧٦١) (٥٢٥/٣).

(٦) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٦)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٦٠٢)، والذهبي في «العلو» (١٤٣) وقال: موقوف حسن، وقال: أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» بإسناد جيد اهـ. وهو في

فوائد مهمة في صفة النزول

(١) وقت النزول الإلهي:

إنَّ لِنُزول رَبِّنا تبارك وتَعالى شأنًا عظيمًا، ليس شأنه كشأن غيره، فإن قدوم ملك السموات إلى هذه السماء التي تَلينا، ولا ريبَ أن للسموات وأفلاكها عند نُزول الرَّبّ تعالى إلى السماء الدنيا شأنًا وحالًا(١)، ولهذا تَرى خواصّ المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجَليل لألطافِ رَبِّهم ومَواهبه، فيقومون لِعُبوديته خاضعين خاشِعين داعين متضرعين، يرجون منه حصولَ مطالِبهم التي وعدهم بها على لِسان رسوله ﷺ.

ولَمّا كانت الروايات مختلفةً في ألفاظها، متنوعة في أنواعِها، في الدلالة على وقت النزول، كان لِلعُلَماء فيها أقوال في التوفيق بينها، وتنحصر هذه الأقوال في ستة أقوال(٢):

الأول: وهو النزول حين يبقى ثلثُ الليل الآخر.

الثاني: إذا مضى ثلثُ الليل الأول.

الثالث: إذا مضى ثلثُ الأول، أو نصف الليل.

الرابع: إذا مضى نصف الليل.

الخامس: النصف أو الثلث الأخير.

السادس: الإطلاق.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (٤٣١).

(٢) انظر تفصيل أقوال أهل العلم في: «صفة النزول الإلهي» (١٥٧ - ١٦٨).




وأقوى هذه الأقوال وأرجحُها والله عَزَّوَجَلَّ أعلم هو القول الثالث[(١)]: وهو أن النزول أنواع ثلاثة: ففي بعض الليالي يكون النزول في أول الثلث الثاني، وبعضها في النصف، وبعضها في أول الثلث الآخر، وسبب ترجيح هذا القول أنه يجمع بين الرِّوايات، ويرفع التعارض بينها[(٢)]، كما هو عند أهل الأصول معلوم، فإعمال الأدلة جميعها أولى من إهمال بعضها وإعمال بعضها، فإن هذا هو الأصل الذي ينبغي أن يصار إليه.

(٢) نزول الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ لا يُنافي علوَّه:

فإن هذه الأخبار التي جاءت عن المصطفى ﷺ في نُزول الرَّبِّ جلَّ وعلا لا تُنافي علوَّه فوق عرشه، إذ لا يكون الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ إلا فوق كل شيء، ولا يكون شيء أعلى منه قط، بل هو العليُّ الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عبادِه، ويدنو منهم، وينزل حيث شاء، فعُلُوُّه من لوازم ذاتِه، فلا تناقض بين نزوله وعلوه[(٣)]، وذلك مما هو معلوم بالضرورة أن صفاتِه تعالى ليست كصِفات خلقه، ومن ذلك صفة النزول «فالمخلوق إذا نزل من علو إلى أسفل، زال وصفُه بالعُلُوّ، وتبدل إلى وصفِه بالسّفول، وصار غيره أعلى منه»[(٤)]، فلا تستلزم لوازم الخلق لوازم الرَّبِّ تعالى، وفي قوله ﷺ: «**... حتى ينفجر الفجر ثم يصعد**»[(٥)]، وفي لفظ: «**... حتى ينشق الفجر ثم يرتفع**»[(٦)]، فصعوده

---

(١) المصدر السابق (١٦٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٢٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤).

(٥) رواه ابن عوانة في مسنده (٢/٢٨٨) من طريقين، أحدهما صحيح والآخر حسن إن شاء الله، من كلام عبد القادر الغامدي في كتابه النفيس «صفة النزول الإلهي» (٦٨، ١٨٠).

(٦) رواه ابن العاصم في «السنة» (٥٠٠ ـ ٥٠١)، قال الألباني: إسناده جيد (ص ٢٢٠).




تبارك وتعالى وارتفاعه إلى السماء من جنس نزوله، وإذا كان في نزوله لم يصر شيءٌ من المخلوقات فوقه، فهو سبحانه يصعد، وإن لم يكن منها شيء فوقه[1].

(٣) إن الدعاء والاستغفار وغيرهما من العبادات يختلف فضلها بحسب الزَّمان والمكان[2].

(٤) إن النزول الإلهي يشمل جميع ليالي العام.

(٥) إنَّ نزوله عَزَّوَجَلَّ إلى أقرب السموات إلى الأرض، دل من قوله: «**إلى السماء الدنيا**» والسموات سبع[3].

(٦) إنَّ الاستجابة غير العَطاء، لقوله: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه**»[4].

** ** **

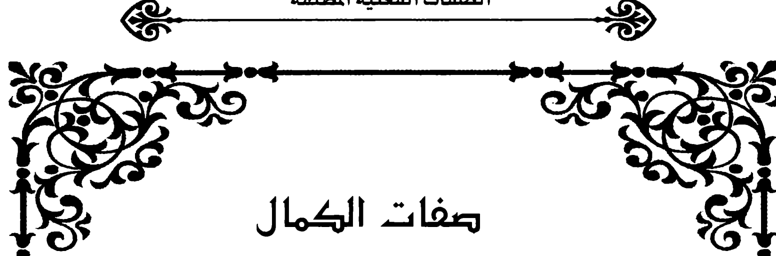
---

(١) «شرح حديث النزول» (٣٩٤).

(٢) «شرح الواسطية» عبد العزيز السلمان (٢/٣٤٩).

(٣) «شرح الواسطية» ابن عثيمين (٢/٣٥٤).

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٣٨).



صفات الكمال

(المَحَبَّةُ، الرِّضا، الفَرَحُ، الضَّحِكُ، وَالعُجْبُ، وَالبَشْبَشَةُ) الجليلة

۞ تمهيد:

قبل الكلام عن كلِّ صفة بمفردها، من المهم أن نذكرَ أهمية هذه الصفات الجليلة، الجميلة، الحبيبة إلى نُفوس أنبياء الله، ورسله، وأوليائه، فإن هذه الصفات الجليلة، من الصفات الفعليَّة، التي تتعلق بمشيئته وإرادته كما سبق، قد وصف بها الله تعالى نفسه، ووصفه بها رسله صلوات الله وسلامه عليهم، حيث اتفقت كلمتُهم وتواطأ خبرُهم على تعريف الرَّبِّ عز شأنُه المدعو إليه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، تعريفًا مفصَّلًا، حتى كأن العبادَ يُشاهدونه ﷻ، وينظرون إليه، وكان من جملة ما عرفوه: أنَّ لِرَبِّهم صفات الكمال، وأنه يُحِبُّ ويُحَبُّ، ويفرح بتوبة عباده وطاعتهم، ويضحك منها، ويرضى بها، ويثني عليهم بها، فهذا من جملة مطالب الإيمان المشتركة بين أهل المِلَل كلهم، والعبد متى ما تدبرَ كتابَ الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، أشهده هذا التدبُّر، أنهما مملوءان بوصف الرَّبِّ تبارك وتعالى، بالمحبة، والرضا، والفرح، والضحك، وأنَّ نصوصهما محكمةٌ غاية الإحكام، مبينةٌ بأقصى غاية البَيان.

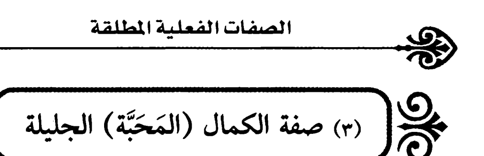
ولا ريب أن العلم الضروريَّ حاصلٌ بأن هذه الصفات من أعظم

صِفات الكمال، وأنه فرض على الأمة التصديق بها فرضًا لا يتم أصل الإيمان إلا به، فيقوى القلب بهذا الإيمان، حتى يصير الغيب بمنزلة المشاهد بالعين، فينشأ من كمال الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته: مشهد الإحسان، وأن للعبد رَبًّا وإلهًا ومَلِكًا: خالِقًا حَيًّا، يُحِبُّ ويرضى، ويفرح ويضحك، وإن الكون بجملة ما فيه: آيات وشَواهد وأدلة، دَعا الله ﷻ عبادَه إلى النَّظَر فيها، والاستدلال بها على هذه الصفات، ومَنْ له خبرة بِمَذاهب الناس وأقوال السَّلَف: يعلم قطعًا أن سلفنا قد اجتمعوا على القول بِدِلالة الوحي والعقل على إثبات هذه الصفات، حتى إن أحدهم إذا روى لغيرِه حديثًا عن رسول الله ﷺ في ذِكْر صفة من هذه الصفات، تلقاه بالقبول واعتقد ثبوتَ تلك الصفة على القطع واليَقين، واعتقد ثُبوتَ مقتضاها بمجرد سَماعها من العدل الصادق، ولم يرتَبْ فيها، فإذا سُئِلَ عن معنى هذه الصفات، أجاب بقوله: معانيها كلها مفهومة، وأما كيفيتها فغير معقولة، إذ تعقُّل الكيفية: فرع العلم بكيفية الذّات وكُنْهها، وإخبار العبد عن رَبِّه تبارك وتعالى بهذه الصفات الكريمة، هو أحد نوعي ذِكْر أسماء الرَّبّ تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عَمّا لا يليق به تبارك وتعالى[(١)].

وإذا أراد رَبُّنا جلَّ وعلا أن يكرمَ العبد، وينعم عليه بأجلِّ نِعمه وآلائه، دَلَّه عليها، وفتح له من مقتضاياها، وثمراتها، ويَسَّرَ له أسبابَها، وموجباتها، وأعانه على ذلك، فيمتلئ الفؤاد حُبًّا وشوقًا، ورجاءً إلى رَبِّه عَزَّوَجَلَّ. وهذا أجل الغايات، وأعلى الأمنيات.

---

(١) انظر: «جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات» د. وليد العلي (١٧٧٤/٣).



(٣) صفة الكمال (المَحَبَّة) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥](١).

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي، الغنيّ، الخَفِيّ**»(٢).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: صفة المحبة(٣) من أعظم الصفات التي يتعلق بها أولياءُ الله تعالى وأصفِياؤه، فهذه الصفة الجليلة هي التي تسابقَ إليها الأنبياء، وشمَّر إليها الأولياء، «فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيِّبة، والعقول الزاكية، أحلى ولا ألَذّ ولا أطيب ولا أنعم من محبته تعالى»(٤)، ولهذا «فإن الشأن كل الشأن في أن الله تعالى يحبّك، فإن محبته لك أعلى من أن تحبَّه أنت»(٥).

فصفة المحبَّة متعلقة بمحبوباته وبمن قام بها، ولهذا فهو تعالى يحبُّ أولياءه ويُحبونه، فهو الذي أحبَّهم، وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبُّوه أحبَّهم حُبًّا آخر، جزاء لهم على حبهم، وهذا هو الإحسان المحض على الحَقيقة، إذ منه السَّبب ومنه المسبب(٦).

---

(١) وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٤٥].

(٢) مسلم (٢٩٦٥). وقال ﷺيوم خيبر: «**لأعطينَّ الرّاية غداً رجلًا يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه..**» البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٥).

(٣) هذه أول الصفات الفعلية التي تجمع بين أفعاله تعالى: المتعدية، واللازمة، فهو تعالى يحب من يشاء، ويحبب إلى الخلق ما شاء من الأعمال، والأقوال، والتي أجلها الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

(٤) «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (٢/٢٨٠).

(٥) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٤٣١/١).

(٦) انظر: «جلاء الأفهام» (٢٤٣)، و« بهجة قلوب الأبرار» (٤١)، و«فتح الرحيم الملك» (٤٠).




وقد دَلَّ الكتابُ والسنةُ أنَّ الله تعالى قد علّق وصفَ المحبَّة بأعمال، وأقوال، وأفعال، وأخلاق، وأوصاف، وأماكن، وأنَّ محبته لذلك تتفاضل في هذه المحبوبات، بحسب كَمالِها[1].

فمن الأوصاف:

أنه تعالى يحب: المتقين، والمحسنين، والمؤمنين، قال ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيف**»[2]، وفي الحديث «دليل على أنَّ محبَّته تعالى تتفاوتُ، فمحبته للمؤمن القوي، أعظم من محبَّتِه للضَّعيف»[3].

ومن الأماكن:

المساجد، قال ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها...**»[4]، ومحبته تعالى للمساجد الثلاثة أكثر من دونِها من المَساجد.

واعلم رعاكَ الله تعالى أن أعظمَ ما يحبه الله هو الثَّناء عليه، بِصِفاته، وأسمائه، وأفعاله.

قال ﷺ: «**... ولا شيء أحبّ إليه من المدح من الله عَزَّوَجَلَّ، من أجل ذلك مدحَ نفسَه**»[5].

يقول ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو تعالى يحبّ نفسَه، ومن أجل ذلك يُثني على نفسِه، ويحمد نفسَه، ويقدِّس نفسَه، ويحب من يحبه، ويحمده، ويُثني عليه، بل كلما كانت محبة عبده له أقوى، كانت محبة

---

(١) «شفاء العليل» (١/٢٣٠)، و«مفتاح دار السعادة» (٣/٤١٢) بتصرف يسير.
(٢) مسلم (٢٦٦٣).
(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (٤١) لابن سعدي، و«شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢/٥٨٣).
(٤) مسلم (٦٧١).
(٥) البخاري (٧٤٠) (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

الله تعالى له أكمل وأتمّ، فلا أحبّ ممن يُحبه ويحمده، ويُثني عليه»[1].

فقد دَلَّك رسولك الرؤوف الرحيم ﷺ على أحبّ الأعمال إلى الله تعالى على الإطلاق، وهو كما تقدَّم الثَّناء عليه سبحانه وحمده، ولا يكون كذلك إلّا بأسمائه، وصفاته، وجلاله، فشمِّر عن ساعِدِ الجِد، وادفع بخيول الذكر في ميدان السبق، وأنت خبيرٌ، بما نحن بصدده من هذه الدراسة يُعدُّ ذكرًا لصفاته جلَّ وعزَّ العلية، التي لا أجلَّ، ولا أجمل، ولا أعلى منها، على الإطلاق. فاحتسب.

(٤) صفة الكمال (الخُلَّة) الجليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**إنَّ الله اتَّخَذَني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»[2].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الخلة**: أصفى المودَّة وأصحها[3].

والخليل: المحب الذي ليس في محبَّتِه خلل، وسمي إبراهيم خليل الله بأنه الذي أحبه الله، واصطفاه، محبة تامَّة كاملة[4].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الخلة، «هي أعلى أنواع المَحَبَّة، وليس فوق الخلّة شيء من أنواع المحبة أبدًا، وهي لم تثبت لأحد من البشر إلّا

(١) «طريق الهجرتين» (٤٣٠).

(٢) مسلم (٥٣٢).

(٣) «المفردات» (٢٩٠)، و«القاموس المحيط» (٣٩٢).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج (١١٢/٢).




لاثنين هما: إبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسَّلام»(١).

وقد تقدم في صفة المحبَّة أنها تتفاضل بحسب كمالها، ولهذا «سمي خليل الله لِشِدَّة محبة رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، لِما قام له من الطاعة التي يُحِبُّها ويَرضاها»(٢).

(٥) صفة الكمال (الرِّضا) الجليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩](٣).

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**رِضَى الله في رِضى الوالد، وسخط الله في سخط الوالد**»(٤).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: الرِّضا: خلاف السخط، ويقال: أرضاه إذا أعطاه ما يرضى به(٥).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: رِضا رَبِّ العالمين هو مطلب كلِّ عابدٍ، وغاية كل سالك، فهو «الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوَها المُحِبُّون»(٦).

والرِّضا صفة عَلِيَّة لله عَزَّوَجَلَّ، من الصفات الفعلية الكَماليَّة، الحقيقية، (المتعدية واللازمة)، المتعلقة بمشيئته سبحانه، فهو سبحانه يَرضى عن أُناس، ولا يرضى عن أناس، وهو يرضى أعمالًا، ولا يرضى أعمالًا،

(١) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٤١).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٧٦٥).
(٣) وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].
(٤) «صحيح الترمذي» (١٨٩٩).
(٥) «معجم مقاييس اللغة» (٢/٤٠٢).
(٦) «تفسير السعدي» (٣٤٤).



فهو تعالى يرضى عن المؤمنين، وعن المقسطين، وعن الشاكرين، ولا يرضى عن الكافرين، والفاسقين، والظالمين، والثواب دليل على ثبوت الرِّضا، فهو تَعالى يُثيب الطائعين، ويجزيهم على أعمالهم وطاعتهم(١).

فصفة الرِّضا العظيمة تستلزم جميع خيرات ومَسَرّات الحياة الدُّنيوية، والأخروية، وهذا غاية أمنيات البرية.

وقد دَلَّت النصوص «أنه تعالى يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل»(٢).

أما العمل فهو نوعان:

إما بالقول: كالشُّكر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧]، وكما في الحديث: «**إنَّ الله يَرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»(٣).

«ففي هذا دليل على أنَّ رِضى الله عَزَّوَجَلَّ قد ينال بأدنى سبَب، قد ينال بهذا السبب اليسير...»(٤)، وهذا والله غاية الفضل من ربنا الجليل.

وبالفعل: المجاهدة بالطاعة ابتغاء الرِّضى من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. «ويتعلق بالعامل، مثل قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]»(٥).

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧)، و«المُحاضرات السنية» (١/٢٠٨).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧٣٤).

(٤) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (١/٤١٥).

(٥) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧). وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].




رضى الرب هو أعظم ما يُدركه المؤمنون في جنات النعيم

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فقوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: «أي: رضى الله عنهم أكبر، وأجلُّ، وأعظم، مِمّا هم فيه من النَّعيم»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبَّيْكَ رَبَّنا وسعدَيْك، والخير في يدَيْك، فيقول: هل رَضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رَبَّنا وقد أعطيتَنا ما لم تُعط أحدًا من خلقِك، فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رِضْواني فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبدًا**»[(٢)].

وفي رواية: «**هل تشتهون شيئًا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربَّنا ما خير مِمّا أعطيتَنا! قال: رضواني أكبر**»[(٣)].

فانظر رَعاكَ الله تعالى إلى كَمال وعِظم رِضاه سبحانه، إذ إن يسير اليَسير من رِضوانه أكبر من الجِنان وما فيها، لأنَّ رِضاه صفة من صِفات الله تبارك وتَعالى، والجنةُ خلقُه وثَوابُه، وهذا الرِّضى جزاء على رِضاهم عنه في الدُّنيا، ولَمّا كان هذا الجزاء، أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال[(٤)].

---

(١) «تفسر ابن كثير» (٢/٥٠٢).

(٢) البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذَّهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا. «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٦).

(٤) انظر: «مدارج السالكين» (٢/٢٢٦)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٣٤٨).




(٦) صفة الكمال (الفَرَح) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عبدِه حين يتوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلتِه بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيِسَ منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظِلِّها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخَذَ بخِطامِها، ثم قال من شدَّة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا رَبُّك، أخطأ من شِدَّةِ الفَرَح**»(١).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الفرح:** خلاف الحزن وهو: السرور، يقال: فرح يفرح فرحًا، فهو فَرِحٌ؛ أي: مسرور.

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الفرح من أوصاف الله تعالى الكَمالية، لأنَّ رَبَّنا لا يوصَف ولا يقوم به من الأفعال إلا الأكمل، والأحسن، والأطيب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، «وهذه الصفة الجَليلة تدلُّ بالتضمُّن على لطف الله تعالى بِعِباده، ورحمته لهم، حيث يوفق من يَشاء من عبادِه لِيَتوبوا، فإذا تابوا تقبلَ توبتَهم، وفرح بها فرحًا شديدًا ولطيفًا في وقتٍ واحد، إذ يرد إليه عباده الشاردين من طاعته لِئَلّا يضيعوا، وهو الذي لا تضرُّه معصيتُهم، ولا تنفعه طاعتُهم»(٢).

وقد وصف نبينا ﷺ فرحَ رَبِّنا العظيم كما تقدم بأعظم فرح يخطرُ على البال، أو يدور في الخيال، فلو كان في الوجود فرح أعظم، وأكمل من هذا الفرح لَبَيَّنَه ﷺ، فهو «فرح لا يشبه فرحَ أحد من خلقه، لا في ذاتِه،

---

(١) البخاري (٦٠٣٨) (٦٠٣٩)، ومسلم (٢٧٤٤) (٢٧٤٦).

(٢) «الصفات الإلَهية» لمحمد بن أمان الجامي (٢٩٧).



ولا في أسبابِه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمتِه وإحسانه، التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائب المُنيب»[(١)].

ففرحه سبحانه لا مثيل ولا عديل له، وذلك أن فرحه تعالى: «فرحة إحسان، وبرٍّ، ولطف، لا فرحة مُحتاج إلى شيء، أو منتفع به»[(٢)]، خلاف فرح في المخلوق الذي هو على أنواع، فقد يكون فرحه خفة، وسرور، وطرب، وقد يكون فرح أَشَرٍ، وبَطَرٍ، فالله عَزَّوَجَلَّ منزَّه عن ذلك كلِّه[(٣)].

فينبغي للعبدِ أن يتأمَّل عظم شأن فرح الرَّبِّ، يقول ابن القيم رحمه الله: «فإن هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله، والإعراض عنه، ولا يطلع عليه إلّا من له معرفة خاصة بالله تعالى، وبأسمائه، وصِفاته، وما يَليق بعزِّ جَلالِه»[(٤)]، فهو تعالى ليس بمحتاج إلى توبتنا، بل نحن مفتقِرون إليه في كل أحوالِنا، لكن لِكَرمه جلَّ وعلا، ومحبته للإحسان، والإعطاء، والبِرِّ، والإنعام، والإفضال، يفرح هذا الفرح الذي لا نظير له بتوبة الإنسان، إذا تابَ إليه[(٥)].

(٧) صفة الكمال (الضَّحِك) الجليلة

۞ السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: ١) قال ﷺ: **«يضحكُ الله إلى رجلين يقتل أحدُهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة»**[(٦)].

---

(١) «شرح الواسطية» للسعدي (٢/٣٥٩)، و«شرح الواسطية» للهراس (٣٦٠).

(٢) «مدارج السالكين» (١/١٩٥) بتصرف يسير.

(٣) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٦٠).

(٤) «المدارج» (١/٢٣١).

(٥) انظر: «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٦٣).

(٦) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).




٢) قال ﷺ: «**يتجلَّى رَبُّنا ضاحِكًا يومَ القِيامة**»(١).

٣) عن أبي رزين رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ضحكَ رَبُّنا عزَّ وجلَّ من قُنوط عباده، وقرب غيره**»، فقال أبو رزين: أوَيضحك الرَّبُّ عزَّ وجلَّ؟! قال: «**نعم**»، فقال: لن نعدم من رَبٍّ يضحك خيرًا(٢).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الضحك**: أصله انبساط الوجه، وقد يستعمل في السرور المجرَّد، ومنه قوله تعالى: ﴿مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]، واستعير أيضًا لِمُجرد التعجب، لأنه مسبب عنه غالبًا، كما حكى تعالى عن سارة: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ [هود: ٧١]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢](٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف رَبّنا تبارك وتَعالى بصفة الضحك الجَليلة، فهو ضحك حقيقي ليس له مثيل ولا شبيه من ضحك المخلوقين، عندما يستخفهم الفرح، أو الطرب، أما ضحك رَبِّ العالمين فهو نوع آخر، ضحك يليق بكمالِه(٤)، وجَلاله، وعظمته.

«وهو سبحانه يضحك كما يشاء، ويقصد بضحكه أولياءه عندما يعجبه أفعالهم، ويصرفه عن أعدائِه بما يسخطه من أفعالِهم، فهو يضحكُ إلى قوم، ويصرفه عن قومٍ، ولا يضحك إلّا عن رِضا بما يأتونه من عبوديته»(٥)، فهو يضحك سبحانه إلى عباده الذين قد أتوا بأعظم أنواع

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١١١).

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٠).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٢/٣٧٠)، ورجح شيخ المفسرين ابن جرير الضحك في الآية بمعنى: التعجب، «تفسير الطبري» (٤/٢٩٣).

(٤) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٦٨).

(٥) انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٢/٥٦٣)، و«رد الدارمي على بشر المريسي» (١٧٥)، و«التبصير في معالم الدين» للطبري (١٤٢)، و«مجموع الفتاوى» (٥/٦١).

محابه، من جهاد في سَبيله، ومن بيع النفس له، ومن المُناجاة إلى تفضل الله بها عليهم، وهكذا تجده سبحانه يوفق من شاءَ من عباده ليأتي بِمَرْضاته فيتقبل منه، ثم يفرح به حتى يضحك إليه رضًا، ومحبة، سبحانك ما أعظم شانك..!![1] إذ منه السبب، ومنه المسبب.

وقوله ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين**»[2]، "فهذان الرجلان قتل أحدهما الآخر، (فـ)قيض الله لكلٍّ منهما من فضله وكرمه سببًا أوصله إلى الجنة، فالأول قَاتَل في سبيله، وأكرمه الله على يد الرجل الآخر - الذي لم يسلم بعد - بالشهادة التي هي أعلى المراتب بعد مرتبة الصديقين... وأما الآخر: أسلم وتاب محا الله عنه الكفر وآثاره ثم منَّ الله عليه بالشهادة فدخل الجنة... فهذا الضحك من الباري يدلُّ على غاية كرمه وجوده وتنوع برِّه"[3].

وفي حديث أبي رزين: أَوَيضحك الرب عز وجل؟ قال: «**نعم**»، فقال: لن نعدم[4] من رب يضحك خيرًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فجعل الأعرابي العاقل - بصحة فطرته - ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه، فدلَّ هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال"[5].

---

(١) «الصفات الإلَهية» للشيخ محمد أمان الجامي (٢٩٣).

(٢) يقول العلامة بن سعدي رحمه الله: «هذا الحديث يدلُّ على تنوع كرم الكريم، وأن كرمه وفضله متنوع من وجوه لا تُعدُّ ولا تحصى، ولا يدخل في عقول الخلق وخواطرهم». «بهجة قلوب الأبرار» (٢٤٧).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (٢٤٧ - ٢٤٨).

(٤) أي: أن الرب من صفاته الضحك لا يفقد خيره، بل كلما احتجنا إلى خير وجدناه، فإنا إذا أظهرنا الفاقة لديه يضحك فيعطي. «حاشية السندي على سنن ابن ماجه بواسطة السلسلة الصحيحة» (٧٣٧/٦).

(٥) «مجموع الفتاوى (١٢١/٦).



ومما تدلُّ هذه الصفةالكريمة على غاية الكرم والإحسان، ما أخبر به ﷺ أنَّ من ضحك له سبحانه فقد أمن الحساب والعقاب، وهذا غاية مطالب أولي الألباب: قال ﷺ: «...**وإذا ضحك ربك إلى قومٍ فلا حساب عليهم**»(١).

وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم في تحقيق هذه الصفة، وفي بيانِها لِغيرهم، بأجمل ما يكون من البَيان، ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ عن آخر أهل الجنة دخولًا: «... **فيقول الله تعالى له: اذهبْ فادخل الجنةَ، فإن لكَ مثل الدنيا وعشرة أمثالِها، أو إنَّ لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي، أوَ تَضحك بي، وأنت الملك؟!**»، فضحكَ ابنُ مسعودٍ، فقال: ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مِمَّ تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسولُ الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟! فقال: «**من ضَحِكِ ربِّ العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رَبُّ العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكنِّي على ما أشاء قادر**»(٢).

فانظر رحمك الله تعالى كيف كان اقتداءَ وتأسي الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ، قولًا، وفعلًا، وتقريرًا، في باب تحقيق صِفات الرَّبِّ

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٢) (١٣٨/٢).

(٢) انظر الروايات: البخاري (٦٥٧١، ٧٥١١)، ومسلم (١٨٦، ١٨٧).

وعن علي بن ربيعة قال: رأيتُ عليًّا أتي بدابَّة ليركبها، فلمّا وضعَ رجلَه في الرِّكاب قال: بسم الله...، ثم قال: (**سبحانك لا إله إلا أنت، قد ظلمتُ نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذُّنوبَ إلى أنت**)، ثم ضحك، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ ردفًا لرسول الله ﷺ، ففعل كالذي رأيتني فعلت، ثم ضحك، قلت: يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: عجبٌ لعبدي، يعلمُ أنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري**». رواه أحمد في المسند (٧٥٣، ٩٣٠، ١٠٥٦)، وصحح هذه الروايات العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ (٤٩٢/١، ٧/٢، ٥٥).




ﷻ، وتأمل في ضحك النبي، ثم الصحابة، فإن فيه فيه حسنُ البَيان في تقرير وتحقيق المَعاني للصفة، وتعليمها لغيرهم، وهذا من أجَلِّ الأساليب في التعليم وأيسرها في تثبيت المَفاهيم، وهذه سنة عظيمة قد هُجرت، فرحم الله تعالى من أحياها، فتشبَّثْ رعاكَ الله تعالى بهذا الهُدى القويم.

(٨) صفة الكمال (العُجْب) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ**﴾ [الصافات: ١٢].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال ﷺ: «**لقد عجبَ الله عَزَّوَجَلَّ - أو ضحك - من فلان وفلانَةٍ**»[١].

وفي لفظ: «**قد عجبَ الله من صَنيعكما بضيفكما الليلة**»[٢].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: العجب، والتعجب:** هو استغراب الشيء، ويكون بسببَيْن:

السبب الأول: خفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه، بحيث يأتيه بغتة بدون توقُّع، وهذا مستحيل على الله تعالى، لأن الله بكل شيء عليمٌ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه.

السبب الثاني: عظم ذلك عندَه، وكبره لديه لخروج الشيء عن نظائرِه، وعما ينبغي له أن يكون عليه، فهو استعظامٌ للمتعجَّب منه، لِخُروجه عن نظائره، تعظيمًا له، والله تعالى يُعظم ما هو عظيم، إما لعظمة

---

(١) البخاري (٣٧٩٨)، (٤٨٨٩).

(٢) مسلم (٢٠٥٤). وقال رسول الله ﷺ: «عجبَ الله من قومٍ يدخلونَ الجنَّةَ في سَلاسل». البخاري (٣٠١٠). وقال ﷺ : «إنَّ الله لَيعجب من الصَّلاة في جمع». «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (٢١٠/٤) رقم (١٦٥٢).




سَببِه، أو لعظمته، وهذا ثابت لله تعالى، لأنه ليس عن نقصٍ من المتعجِّب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف ربنا ﷻ بالعجب، وهي صفة جليلة كاملة من جميع الوُجوه على الإطلاق، كسائر صِفاته، الذاتية، أو الفعلية، «وصفة التعجب قد تدلُّ على محبة الله تعالى للفعل الذي هو محل التَّعجُّب، وهي في هذه الصورة قريبة من معنى الفَرَح»[2]، وقد تقدم ذِكْرُ الأحاديث التي في السنة الدالَّة على هذه المعاني السامية، وقد تبين في المعاني اللغوية للعجب أن الله تعالى متصِفٌ بالكمال من هذه المعاني الجليلة.

«فليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خَفاء في الأسباب، أو جهل بِحَقائق الأمور، كما هو الحال في عجب المخلوقين، لأن التعجب في حَقِّ الإنسان منشأه غرابة الفعل، وأنه حدث على شكل يُثير العجب والغَرابة، لأن الإنسانَ فوجِئَ بالفعل الذي هو محلّ التعجب، إذا كان هذا هو مثار التعجب عند المخلوق فإن الله تبارك وتَعالى مُنَزَّهٌ عن هذه المعاني، لأنه سبحانه هو الذي قَدَّرَ ذلك الفعل الذي هو محلّ التعجُّب، فلا ترد في حَقِّه سبحانه هذه المَعاني، وتلك اللوازم لتعجب الإنسان»[3]، «فعجبه ﷻ هو معنًى (يليق بكماله وجَلالِه) يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمتِه، وعند وجود مقتضيه (من الأسباب)، وهو

---

(١) انظر: «النهاية» (٥٩٣)، و«مجموع الفتاوى» (١٢٣/٦)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٣٧٨/٢).

(٢) «الصفات الإلَهية» للجامي (٢٩٤).

(٣) «شرح الواسطية» للهراس (٣٧٤/٢)، و«الصفات الإلَهية» للجامي (٢٩٤ ـ ٢٩٥).




الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه»[1].

قال الفَرّاء رَحِمَهُ اللَّهُ: «العجب إن أُسندَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ فليس معناه من الله تعالى كمعناه من العِباد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]، ليس ذلك من الله تعالى كمعناه من العِباد»[2]. وهذا من حسن اعتقاده رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد يدلُّ التعجب على بُغْضِ الله تعالى للفِعل الذي هو محل التعجب، ومن أمثلة هذا النوع: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد: ٥]، وقوله: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢][3] على قراءة الضم، وهو عجبٌ من كفرهم مع وضوح الدّلالة[4]. وهذه القراءة؛ أي: بالضم (عجبتُ) هي قراءة عامة الكوفة، بمعنى: بل عظم عندي، وكبر اتخاذهم لي شريكًا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قرَّاء الكوفة: ﴿عَجِبۡتَ﴾ بفتح التاء، بمعنى: بل عجبت يا محمد، ويسخرون من القرآن، وهاتان القراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب[5]، لأن القاعدة في القرآن أن «تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات»[6]؛ أي: إذا كان لكلِّ قراءةٍ معنًى يُغايِرُ معنى القراءة الأخرى في آية واحدة، لهما

---

(١) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٧٤).

(٢) «معاني القرآن» (٢/٣٨٤).

(٣) «الصفات الإلّهية» لأمان الجامي (٢٩٦).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٦/١٢٣).

(٥) «تفسير الطبري» (٦/٢٩٧).

(٦) انظر هذه القاعدة في: البرهان للزركشي (١/٣٢٦)، و«مجموع الفتاوى» (١٣/٣٩١ - ٣٩٢)، و«أضواء البيان» للشنقيطي (٢/٨، ١٢٠).




حكم الآيتَيْن[١]، فـ(قراءة الفتح) يكون العجب راجع للنبي ﷺ؛ أي: «قد عجب محمد مما أعطاه الله تعالى من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، و(القراءة بالضمّ): وقد عجب ربُّنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه»[٢].

(٩) صفة الكمال (البَشَاشَة) الجليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«ما توطَّنَ رجلٌ مسلم المَساجِدَ للصَّلاة، والذِّكْر، إلا تَبَشْبَشَ الله له، كما يَتَبَشْبَشُ أهلُ الغائِبِ بِغائِبِهِمْ إذا قدموا»**[٣].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: توطَّنَ**؛ أي: التزمَ وداومَ على حُضورها.

البَشّ: فرح الصديق بالصَّديق، واللطف في المسألة، والإقبال عليه، وقد بششت به أبش، وهذا مثل ضربه لتلقيه إياه ببرِّه، وتقريبه، وإكرامِه[٤].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** أخبر نبيُّنا محمد ﷺ أن رَبَّنا تبارك وتَعالى موصوف بالبشاشة، وقد علقها بسببٍ، وهو ملازمة العبدِ لِلمساجد، وقد تقدم بيان: أن كلَّ صفة علقت بسبب فهي فعليَّة، فمتى وُجِدَ سببَ التبشبش منه تعالى تبشبش بعبده المصلي كما يَليقُ بِجَلاله، وعليائِه.

وهذه الصفة الجميلة معناها «يقرب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيتُ لِفلان بشاشة، وهشاشَةً، وفرحًا، ويقولون: فلان هَشٌّ بَشٌّ فرحٌ،

---

(١) انظر: «أضواء البيان» (٢/٨).

(٢) تفسر الطبري (٦/٢٩٧).

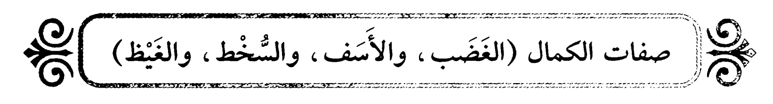
(٣) صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٨٠٠)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥).

(٤) «النهاية» (٧٨).

إذا كان منطلقًا»[١].

وهذه الصفة الكريمة كغيرِها يعلم أصلُ معناها، ويُجْهَل كيفيتها وكنهها، وهذه القاعدة تقع على كلِّ الصِّفات، كما نَصَّ على ذلك أئمةُ الدُّنيا. جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الضحك أنه قال: «يضحكُ الله، ولا نعلم كيفَ ذلك، إلا بتصديقها الرسول ﷺ، والقرآن»[٢].

وقوله: (ولا نعلم كيف ذلك): لأنَّ الكيفيَّة لا تدرك ولا تعلم إلا بمعرفة حقيقة الشيء وأصله، وهذا منتفٍ في حَقِّنا في حَقِّ رَبِّنا جَلَّ جَلَالُهُ.



صفات الكمال (الغَضَب، والأَسَف، والسُّخْط، والغَيْظ)

تمهيد:

لَمّا كانت الصفات التي تقدمَ شرحُها وبيانُها صفات حبيبة إلى النفوس، موقدة إلى شد الهمم والرجاء والأمل، ناسب أن يعقبها ذكر صِفات تقابلها، تتضمَّن معاني القهر والانتقام، مع كمال العدل، تستوجب الخوف، والرهبة، حتى يُجمع بين الرجاء والخوف، وهي طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب، وهكذا ينبغي للسالك إلى الله تبارك وتعالى في هذه الدّار، أن يكون الخوف والرجاء له كجناحي الطير، يجمع بين الرغبة والرَّهبة، فلا يغلب واحدًا على الآخر، فلا يغلب الرجاء فيقع في الغُرور وطُول الأمل، ولا يغلب الخوف فيقع في القنوط واليأس.

---

(١) «إبطال التأويلات» (١/٢٤٣).

(٢) المصدر السابق (١/٢١٧).

«وهذه الصفات إنما تقع بأسباب تناقض موجب ما يُحِبُّه الله تعالى ويَرْضاه، فهو سبحانه كما يحبّ أسماءه وصفاته، ويحب آثارَها وموجبها: فهو يكره ما يُضادها، ووجود هذه الصفات مستلزم لِما يحبه الله تعالى ويَرْضاه، لِذا لم تبق هذه الصفات مقصودة بعدما يحصل عنها من الآثار والمُوجِبات التي يُحبُّها الله ﷻ ويَرْضاها، لا لِنفسها، ولا لغيرها، فتزول ويخلفها أضدادُها، التي هي أحبّ إلى الله تعالى منها، وهي موجب أسمائه وصِفاته.

وهذه الصفات لها أعظم الأثَر على أولياء الله تعالى المُتَّقين، لأنهم إذا شاهدوا أحوالَ أعداء الله تعالى ورسله من العُصاة والظَّلَمَة وما نزلَ بهم من البَطْش والانتقام والعُقوبة والإهانَة والإبعاد والخُذْلان، ازدادوا خُضوعًا، وذُلًّا، وافتقارًا، وانكسارًا، وله عبادة، وبه استعانة، وإليه إنابة، وعليه توكُّلًا، وفيه رغبة، ومنه رهبة، فالعبد إذا علمَ أنَّ الله ﷻ متَّصِفٌ بهذه الصِّفات: تفكَّرَ في أوصافِه المُخالِفة لأمره، فاستحى من رَبِّه تعالى أن يَراه، أو يسمع منه ما لا يحبُّه، ولا يَرضاه من قبيح أفعاله وأقواله، وأعماله الدالَّة على هوانه ونُقصانه.

فالله تعالى مع اتِّصافه بهذه الصِّفات القهرية: إلّا أنه لا يخرجُ عن عَدْلِه، فهو يُجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف في الدُّنيا، ويخفف به عنه يوم القِيامة، فالله تعالى لا يُضيع على العبد بما يعمله من الإحسان، ولو كان عند رَبِّه من أبغض بني الإنسان، بل شرٌّ وأضل سَبيلًا من الحيوان»[1].

---

(١) «جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصِّفات» (٣/١٨١١ - ١٨١٤).




(١٠) صفة الكمال (الغَضَبُ) الجليلة

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٢][١].

۞ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: «لَمّا خلقَ الله الخلقَ كتبَ في كِتابِه فهو عندَه فوق العَرْش: إنَّ رَحمَتي سَبَقَتْ غَضَبي»[٢].

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الغضب: نقيضُ الرِّضا، وأصله: ثوران دَمِ القلب، إرادة الانتقام، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحَقِّ، والمحمود ما كانَ في جانب الدِّين والحَقِّ[٣].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف رَبّنا نفسَه ورسولُه الأمين ﷺ بصفة الكمال العليَّة الجليلة (الغضب)، قلنا صفة كَمال لأنَّ غضبَه تبارك وتَعالى «خِلاف غضب خلقِه، فإن غضبَ المخلوق هو غليان دَمِ قلبِه، طلبًا للانتقام، والله يتعالى عن ذلك»[٤]، وغضب الرَّبِّ ليس له مثيل، ولا شبيه من الخلق أجمعين، لا في أسبابه، ولا في غاياته، ولا في موجِباته، وآثاره، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: «والله يغضب ويرْضَى لا كأحدٍ من الوَرَى»[٥].

---

(١) وقال عزَّ شأنُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]. وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

(٢) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١). وفي حديث الشَّفاعة العظيم في اعتذار الأنبياء حين يطلب الناس منهم الشفاعةَ عند الله تعالى، فكان كلُّ واحد منهم يقول: «إنَّ ربِّ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يَغضبَ بعدَه مثله...». البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٣/١٦٥)، و«اللسان» (٦/٦٣٢).

(٤) «شفاء العليل» (٢/٥٩٦).

(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٢٤).




فغضب المخلوق غالِبًا ما يكون عن سَفَهٍ، وجهل، وظلم، وطيش، وهذه المقتضيات واللوازم لا تلزم صفةَ الخالِق، إذْ لا مُناسبة بين صفات الخالق وصِفات المخلوق من كل وجهٍ، حتى تُقاس صفاتُه سبحانه على صِفاتهم.

وغضب رَبِّنا تبارك وتَعالى له شأن عظيم، وخطرٍ جسيم، حيث يترتَّب عليه العَذاب والهلاك، وإحلالُ أنواع العُقوبات، وصنوف المثلات في أي وقت شاء، للأمم المشركة بالله تعالى، المستكبرة عن عِبادته[1].

وينبغي أن يفرق بين صفة الغضب القائمة بالرَّبّ، وبين أثر وموجِب الغضب، فإن «القرآن مملوءٌ بذِكْر سخطه وغضبه على أعدائه، وذلك صفة قائمةٌ به، ويترتَّبُ عليها العذابُ واللعنةُ، لا أن السّخط هو نفس العَذاب واللعنة، بل هما أثر السّخط والغضب، وموجبهما، ولهذا يفرِّق بينهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ففرَّق سبحانه بين عَذابه وغضبه ولعنته، وجعلَ كلَّ واحدٍ غيرَ الآخر»[2].

---

(١) يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العذاب إنما ينشأ من صِفَةِ غضبه، وما سُعِّرَت النارُ إلا بغضبه...، فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوقٌ من الرَّحمة وبالرحمة، ونوع مخلوقٌ من الغضب وبالغضب، فإنه ﷻ له الكَمالُ المطلق من جميع الوجوه، الذي يتنزَّهُ عن خلافه، ومنها: أنه يرضى ويغضبُ، ويُثيب ويُعاقبُ...، فإذا زالَ غضبُه سبحانه، وتبدَّلَ بِرِضاه: زالت عقوبتُه، وتبدَّلَت برحمته، فانقلبت العقوبةُ إلى رحمة».
ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهم ـ أي: الكافرين والمجرمين ـ لَمّا أغضبُوا الرَّبَّ تعالى وقابلوه بِما لا يَليق أن يُقابل به، وعاملوه أقبح المُعامَلَة، وكذَّبوه، وكَذَّبوا رُسُلَه، وجعلوا أقلَّ خلقِه وأخبثهم وأمقتَهم نِدًّا له، وآلهةً معه،...: اشتدَّ مقتُه لهم، وغضبه عليهم، وذلك يُوجِبُ كمالَ أسمائه، وصِفاته، التي يَستحيل عليه تقدير خلافها، ويستحيل عليه تخلف آثارها، ومقتضاها عنها». حادي الأرواح» (٤٥٣ ـ ٤٥٤).

(٢) «مدارج السالكين» (١/٢٧٨).

فالانتقام والهَلاك والعذاب نتيجةُ الغضب، وأثرُه، ومقتضياته، وهذا باب عظيم ينبغي أن يعلمَه الموحدون في حَقِّ رَبِّ العالمين، فهو طريق الرّاسخين في العلم بالله تعالى، السالكين طريق الأنبياء والمرسلين، في أعظم وأجلِّ أبواب الدِّين.

وقد تقدم بيانه: أنَّ صِفات الرَّبِّ تعالى الفعلية تتفاوت على قدر ما تقتضيه أسبابُها، ولهذا فإنها تحدث في وقتٍ دون وقت، وغضبه سبحانه كذلك، فإن أشد ما يكون في يوم الدِّين، ولهذا فإن «غضبه تعالى الذي سيكون في عرصات القيامة غير مسبوقٍ بمثلِه، وغير ملحوقٍ بمثلِه»[(١)]، كما تقدم (ذكر حديث الشفاعة الطويل)، وهو يخبر عما يقوله الأنبياء اعتذارًا للناس عندما يتقدمون إليهم لِطَلب الشَّفاعة منهم، بدئاً بآدم أبو البشر، ثم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، كما أخبر بذلك سيد البشر عليه الصلاة والسلام أنَّ كلَّ واحد منهم يقول: «**إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، اذهبوا إلى غيري**»[(٢)] إلى آخر الحديث.

والحديث يدلُّ دلالة واضحة على أن إثبات صِفة الغضب من دِين الرُّسُل جميعًا، لأن الشرائعَ كلها متفقة في الأصول، بَيْد أنَّ الله جعل لكلِّ واحدٍ منهم شِرْعةً ومنهاجًا[(٣)].

* * *

---

(١) «اللآلئ البهية» (١/٣٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الصفات الإلَهية» (٢٩٩).




(١١) صفة الكمال (الأَسَف) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تبارك وتَعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الأسف:** يطلق على المُبالغة في الحزن، والغضب معًا، وقد يقال لكلٍّ واحدٍ منهما على الانفراد(١).

فمن الأول: وهو شدة الحزن، قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

والثاني: شدة الغضب، كما في الآية السابقة، فيُقال: أسف عليه يأسف، بمعنى: غضب عليه، والمعنى الأول ممتنعٌ بالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ، والثاني مثبت لله تعالى، لأنَّ الله وصف به نفسَه(٢).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الأسف من صفات الله الفِعليَّة، وهو من جنس الغضب، وينبغي هنا أن يعلم: أنَّ الصفة قد يكون لها أصل، وبعض الصِّفات تكون متنوعة اللفظ، ولكنها مشتركة في الأصل، فالغضب منه الأسف (وهو أشدّه)، وقد يكون منه أشياء أخرى، وكذلك صفة البغض، ومنه: المقت، الذي هو أشد البغض، إذ البغض جنس منه الكراهية، ومنه المقت...إلى آخره، فإثبات أصل الصفة لا يعني أنَّ الصفات الأُخَر مردّها إلى هذا الأصل، يعني لا نقول: المقت هو البغض، أو الكراهية، لأنَّ كلَّ صفةٍ من صفات الله تثبت على ما دَلَّ

---

(١) «المفردات» (٧٥).

(٢) «لسان العرب» (١/١٥٠)، «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٩٩)، و«شرح الواسطية» للهراس (١/٤٨١).




عليه النَّصُّ، لكن لها أصل، ولها جنس، فالمقت من جنس البُغض، ولذلك فسَّروه بأنه أشدّ البغض؛ أي: ليس هو البغض فقط، بل البغض الشَّديد، والبغض له مراتب متعددة.

وخلاصة الأمر:

أنَّ هذه الصفات وإن كانت عند التفسير يقرب بعضُها من بعضٍ، لكن لا يُقال: إن معنى صفة أثبتها الله تعالى لِنَفْسِه هو معنى صفةٍ أخرى بالتَّرادُف المطلق[1]، ودلَّ قوله سبحانه ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أن الانتقامَ نتيجة الغضب[2].

(١٢) صفة الكمال (السُّخْط) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك وسعديك... فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأي شيءٍ أفضلُ من ذلك؟** (أي من النعيم الذي هم فيه) **فيقول: أحِلُّ عليكم رِضْواني، فلا أسخط عليكم بعدَه أبدًا**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: السخط:** نقيض الرِّضا، وهو الكراهية للشيء، وعدم الرضا بعد، يقال: تسخط، وسخط الشيء سخطًا إذا كرهه[4].

---

(١) «اللآلئ البهية» (١/٣٨١).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٩٩).

(٣) البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩). وقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه، ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فِراشِها فتأبى عليه، إلا كانَ الذي في السَّماء ساخِطًا عليها حتى يَرضى عنها**». مسلم (١٤٣٦).

(٤) «كتاب العين» (٢/٢٢٦)، و«النهاية» (٤٢٢).



۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: السخط قريبٌ من معنى الغَضَب، فهو من الأفعال الاختياريَّة، ومعنى الاختيارية أنها تقع باختياره ومَشيئته، فتكون في وقتٍ دون وقتٍ، وفي حالٍ دون حالٍ، على مقتضى حكمتِه.

وهذا النوع من الصفات أي: السخط، والفرح، والضحك[1]، والعجب، والغضب... من الصفات الفعليَّة اللازمة، يعني: أنها غير متعدية، لم يفعلها في غيره؛ أي: لم تتعدَّى فيهم، فالفرح لم يفعله تعالى في غيره، وكذلك العجب لم يفعله في غيره[2]».

وعلى هذا فإن سخط رَبِّنا الجَليل يقع منه عند وجود مقتضيه من الأسباب، سواء كانت هذه الأسباب قولية، أو أسباب فعليَّة، فمن الأول: كما جاء في قول النبي ﷺ: «**لا تقولوا لِلْمُنافِق: سيد، فإنه إنْ يك سيداً، فقد أسخطتم رَبَّكم** عَزَّوَجَلَّ»[3].

والفعلية: كما تقدمَ في الحديث الثاني عن نُشوز الزوجة في حَقِّ زوجها.

(١٣) صفة الكمال (الغيظ) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه، وأغيظه عليه، رجل كان يسمي ملك الأملاك، لا ملك إلا الله**»[4].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الغيظ**: أشد الغضب، ومنه تغيظت الهاجرة:

---

(١) الضحك كما تقدم من الصفات الفعلية اللازمة والمتعدية.

(٢) انظر: «اللآلئ البهية» (٢/٣٩).

(٣) «صحيح أبي داود» (٤٩٧٧).

(٤) مسلم (٢١٤٣).

اشتدَّ حميمها[1].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: صفة الغيظ من الصفات الكمالية التي أثبتها أهل السنة على ما يليق بكمال ربنا، وعليائه، قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل شيخ رحمه الله: "قوله: (أغيظ رجل) هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس بشيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا وجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل...، والباب كله واحد، وهذا هو قول أهل السنة من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم"[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "(أغيظ): من الغيظ وهو الغضب، أي: إن أغضب شيء عند الله وأخبثه هو هذا الاسم (ثم قال): فيه إثبات الغيظ لله عز وجل، فهي صفة تليق بالله كغيرها من الصفات، والظاهر: أنها أشد الغضب"[3].

صفات الكمال (الكُرْه، والبُغْض، والمَقْت، والعَتْبُ) الجليلة

تمهيد:

هذه الصفات الفعلية معانيها مُتَقاربة، لكنَّها تختلف أحيانًا بالنوع لا بالحقيقة، فتخلف في أنواعِها شدة، وخفة، في هذا المعنى العام[4].

وقد تقدَّم بيان أن بعضَ الصفات يرجعُ معناها إلى جنسِ الصِّفات

---

(١) «المفردات» (٦١٩)، و«القاموس المحيط» (٩٦٨) و«اللسان» (٧/٤٥).

(٢) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (٣٨٧).

(٣) «القول المفيد» (٣/٩).

(٤) «المُحاضرات السنية» (١/٢٢٤).

الأخرى، إلا أنَّها ليس فيها ترادُف محض، بل لكلِّ صفةٍ خاصية غير الصفة الأخرى، وإن كان اشتقاقهما واحداً.

وهذا ينطبِق كذلك على أسمائه الحسنى فـ (القادر، والقدير، والمقتدر) و(الرحمن، والرحيم) و(الملك، والمالك، والمليك) كلها من جنسٍ واحد، إلّا أن كلَّ واحد منها له معنًى ومزية غير الآخر.

وهذا يدلُّ على كَمال رَبِّنا ﷻ، إذ إنه تعالى ما مِن وصف كمال إلّا اتصف به سبحانه، على الوجه الأقصى «وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، بحيث لا يكون وراءه كمال أصلاً»[1] الذي لا تستطيع كلُّ الخلائق من أوَّلهم إلى آخرهم أنْ يُحيطوا بصفة واحدة منها، فما ظَنُّكَ بها كلّها؟!

(١٤) صفة الكمال (الكُرْه) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**إنَّ الله حرَّمَ عليكم عُقوقَ الأمَّهات، ومنعًا وهات، ووأد البَنات، وكره لكم: قيلَ وقال، وكثرة السُّؤال، وإضاعةَ المالِ**»[2].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف رَبّنا أ بأنه يكره، «وكراهة اللهِ ـ للشيء تكون للعمل كما في الآية ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، وكما في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسراء: ٣٨]، وتكون

(١) «شرح النونية» للهراس (٢/٦٨).

(٢) البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (١٧١٥). وقال ﷺ في تفسير «من أحبَّ لقاءَ الله»: «**وإن الكافرَ إذا بُشِّر بِعَذاب الله وسَخطه، كره لِقاء الله، وكرهَ اللهُ لِقاءَه**» مسلم (٢٦٨٤).




كراهتُه سبحانه أيضًا للعامل، كما في الحديث: «**إنَّ الله تعالى إذا أبغضَ عبدًا نادى جبريل: إنِّي أبغض فلانًا فأبغِضْه**[1]»[2].

وتكون كذلك في الوصف: كما قال ﷺ: «... **وإنَّ الكافر إذا بُشِّرَ بعذابِ الله، وسخطه، كرِهَ لِقاءَ الله، وكرِهَ اللهُ لِقاءَه**»[3].

وكراهته تتعلق كذلك بالمَكان:

قال ﷺ: «**أحبُّ البِلاد إلى الله تعالى مَساجِدُها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها**»[4].

(١٥) صفة الكمال (البُغْض) الجليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا...، وإذا أبغضَ عبدًا دعا جبريل فيقول: إنِّي أبغِضُ فلانًا فأبْغِضْهُ، فيُبغِضُه جبريل، ثم يُنادي في أهل السماء، ثم توضع له البَغْضاءُ في الأرضِ**»[5].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **البُغض**: خلاف الحب، ويقال: بغض الرجل؛ أي: صارَ بغيضًا[6].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: البغض صفة كماليَّة لله سبحانه تعالى كَسائر صفاته الجليلة العليَّة، «وبغضُه سبحانه من الكمال الذي لا تُدركه الخلائق، وفوق الكمال، إذ كلّ الكَمال فمن كماله يستفاد، وله الثَّناء

---

(١) البخاري (٣٢٠٩، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٠١).

(٣) مسلم (٢٦٨٤). وفيه بيان: أن الله تعالى يُعامل عبادَه بحسب مُعاملتهم له، عدلًا وقسطًا.

(٤) مسلم (٦٧١).

(٥) مسلم (٢٦٣٧). وقال ﷺ: « وأبغضُ البِلاد إلى الله أسواقُها» مسلم (٦٧١).

(٦) «الصحاح» (٩٩).




الحسن، الذي لا تُحصيه العباد، وإنما هو كما أثنى على نفسِه، (فإن) من الكَمال أنه يفعل ما يفعله بعد أن لم يكن فاعله، وأنه إذا كان كامِلًا في ذاتِه، وصِفاته، وأفعاله، لم يكن كاملًا بغيره، ولا مفتقرًا إلى سِواه، بل هو الغني، ونحن الفقراء»[١]، فإن إثبات هذا الكمال يمكن إثباتُه، وإدراكه في العقل في غاية البَيان، وذلك أنه «إذا قدر اثنان: أحدهما يبغض المتصف بضد الكمال، كالجهل، والظُّلم، والكذب، ويغضب على من يفعل ذلك، والآخر لا فرق عنده بين الجاهل، والكاذب، الظالم، وبين العالم الصادق، العالم، لا يبغض لا هذا، ولا هذا، ولا يغضب لا على هذا، ولا على هذا، كان الأول أكمل، (وكذلك): الغضب مع الرِّضا، والبغض مع الحُبّ: فهو أكمل مِمَّن لا يكون منه إلّا الرِّضا، والحب، دون البغض، والغضب للأمور المذمومة التي تستحق أن تُذَم، وتبغض.

ولهذا كان اتصافه تعالى بأنه يُعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويُذِلّ، أكمل من اتصافه بمجرَّد العَطاء، والإعزاز، والرفع، لأن الفعل الآخر حيث تقتضي الحكمة ذلك، أكمل مِمّا لا يفعل إلا أحد النوعَيْن، ويخل بالآخر في المحلِّ المناسب له، ومن اعتبر هذا الباب، وجده على قانون الصَّواب، والله الهادي لأولي الألباب»[٢].

(١٦) صفة الكمال (المَقْت) الجليلة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٣٦١).

(٢) المصدر السابق (٦/٩٢، ٩٤).




۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: «... **وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمَهم، إلّا بَقايا من أهل الكتاب...**»[1].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **المقت**: البغض الشديد[2]، قال الزَّجّاج: المقت: أشد البغض[3].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: المقت من جنس البغض، فهو أشد البغض؛ أي: ليس هو البغض فقط، بل هو أشده[4].

ومَقتُ الله عَزَّوَجَلَّ كَباقي صفاته الفعلية، تتجدد حسب مشيئته الحكيمة، «فالله تعالى يمقتُ الفعل، ويمقت صاحبَه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وذلك أنَّ الكافرين إذا حقت الحَقائق يعودون على أنفسهم بالمقت، لأنَّهم قد تمكنوا من الإيمان، وكثرت آيات الله أمامَهم، وأصبحوا يكفرون على عمد، فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، والسبب أنكم قد دُعيتُم إلى الإيمان فكفرتُم، وهذه الآية يقول العلماء: إنَّها تدلُّ على وجوب الوفاء بالوعد، لأن الله تعالى يمقت على إخلافِه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، فهذا الوعد، وكون الإنسان

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «المفردات» (٧٧٢).

(٣) «معاني القرآن» (٢/٣٢).

(٤) لأنَّ البغضَ جنس، منه الكراهية، ومنه المقت...، فإثبات أصل الصفة لا يعني أن الصفات الأخر مردُّها إلى هذا الأصل، يعني: لا نقول: المقت هو البغض أو الكراهية، لأنَّ كل صفةٍ من صفاته عَزَّوَجَلَّ تثبت على ما دلَّ عليه النص، لكن لها أصل، ولها جنس «اللآلئ البهية» (١/٣٨١). ـ وقد تقدَّم ذكر ذلك ـ.




يعد الشيء ثم لا يفي به، فإنه يجبُ عليه أن يفيَ، كي لا يقع في مقت الله جل وعلا»[١].

فدلَّت الآيات السابقة على أن «مقت الله تبارك وتعالى يتفاوت»[٢] لقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾، وأنه يكون بالفعل: كعدم مطابقة القول بالعمل، ويكون بالعامل، وبالوصف المُصاحب للشخص كالكفر، والعِياذ بالله تعالى.

(١٧) صفة الكمال (العَتْب) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«قامَ موسى خَطيبًا في بني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أي النّاس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ، فعتبَ الله عليه إذْ لم يَرُدَّ العلمَ إليه...»**[٣].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** العتب: الموجِدَة، عتبت على فلانٍ عتبًا ومعتبة؛ أي: وجدتُ عليه، والعِتاب: مخاطبة الإدْلال، ومذاكرة الموجدة. وأعتبني فلان إذا عاد إلى مسرَّتي، واستعتب: طلب أن يَرضى، والعتب: أدنى الغضب، وبالجملة يُطلق على: الموجِدة، والسخط، والغضب، واللَّوْم[٤].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** هذه الصفة الكريمة ثابتة في حق أحبابه

---

(١) «السبائك الذهبية بشرح العقيدة الواسطية» للعلامة عبد الله بن الغنيمان حفظه الله (١٤٥).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٠٢).

(٣) البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠). وفي حديث عمر رضي الله عنه، وهو يقصُّ ما جرى بين النبي ﷺ وزوجاتِه: فاعتزل النبي ﷺ من أجلِ ذلك الحديث حين أفشَتْهُ حفصةُ إلى عائشة، وكان قد قال: «ما أنا بِداخِلٍ عليهنَّ شهرًا، من شدة موجدته عليهنَّ حينَ عاتَبَهُ الله...» البخاري (٢٤٦٨).

(٤) «كتاب العين» (٣/٩٠)، «الصحاح» (٦٦٧)، و«القاموس المحيط» (٨٣٥)، «المجموع المغيث» (٢/٤٠٠).



وأصفيائه، أي: في مقابلتهم، فإنها تتضمَّن الرحمة واللطف، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عِتابه لأحبابِه ألطفُ عِتاب، وإنه مع ذلك مقيل عَثَراتهم، وغافر زَلّاتهم، ومُقيم أعذارِهم، ومُصلح فسادهم، والدافع عنهم، والحامي عنهم، والناصر لهم، والكفيل بِمَصالحهم، والمنجي لهم من كُلِّ كربٍ، والموفي لهم بوعدِه، وإنه وليّهم الذي لا ولي لهم سِواه، فهو مولاهم الحق، ونصيرُهم على عدوِّهم، فنعم المولى ونعم النصير»(١).

والعتب وهو من الله تعالى، فإنه المحسن العادل، فلا يتصور أن يعتب عليه عبده، وإلّا والعبد ظالم، فإعْتاب الله تعالى عبده: إزالة عتب نفسه عن عبده، وإعتاب العبد ربه: إزالة عتب الله عليه(٢).

(١٨) صفة الكمال (الغَيْرَة) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى يَغار، وغيرةُ الله تعالى أن يأتيَ المرءُ ما حرَّمَ الله عليه»**(٣).

٢) وقال ﷺ: **«يا أمَّة محمَّد، ما أحد أغيرُ من الله أن يزنيَ عبدُه، أو تزنيَ أمتُه...»**(٤).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الغيرة: تدلُّ على صلاح، وإصلاح، ومنفعة، ومنه: غارهم الله بالغَيْث؛ أي: أصلحَ شأنَهم، ونفعهم به. وتطلق الغيرة

---

(١) «الفوائد» (٣٧).

(٢) والعبد لا قدرة له على ذلك إلا بتعاطي الأسباب التي يزول بها عتب الله. «بدائع الفوائد» (٤/١٥٢).

(٣) البخاري (٥٢٢٩)، ومسلم (٢٧٦١). وقال ﷺ: «لا شيء أغيرُ من الله» البخاري (٥٢٢٢). وقال ﷺ: «أتعجَبون من غَيْرَة سعد؟! فوالله لأنا أغير منه، والله أغيرُ مِنِّي، من أجل غيرةِ الله حرَّم الفَواحشَ ما ظهر منها وما بطن، ولا أشخص أغير من الله...» البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٤) البخاري (١٠٤٤) (٥٢٢١).




على: الحميَّة والأنَفَة، إذ إن أصلها: المنع، والرجل غيور على أهله؛ أي: يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر، أو حديث، أو غيره[(١)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الغيرة من صِفات الله تعالى الفعلية، لأنها مربوطةٌ بسبَب، وكل صفة مربوطة بسبب فإنها من الصفات الفعلية[(٢)].

وقد تقدَّمَ ذِكْر الأدلة السنية والتي جاءت في وصف غيرةِ رَبِّنا العظيم، وكلها جاء فيها «وصف النبي ﷺ رَبَّه بالأكمليَّة في ذلك»[(٣)]، فنفى وجود من هو أغير من الله تعالى، كما في "الصحيح: «**يا أمة محمد، ما أحدٌ أغيرُ من الله، أن يزنيَ عبده أو تزني أمتُه...**» فلم يصفه ﷺ بمطلق الغيرة، بل بيَّن أنه لا أحد أغيرُ منه، وأن رسول الله ﷺ أغيرُ من المؤمنين، وقد قدَّمْنا غير مرَّة أن الله سبحانه لا يُساوي في شيء من صِفاته، وأسمائه، بل ما كان من صِفات الكَمال فهو أكمل فيه، وما كان من سَلْب النَّقائص فهو أنزَهُ منه، إذ له المَثَل الأعلى ﷻ، فوصفه بأنه أغير من العباد، وأنه لا أغير منه"[(٤)].

ولقد جاءَ في تحقيق هذه الصفة على لِسان نبيه الأمين ﷺ في أحسن البَيان من أساليب التعليم في تحقيق صِفات رَبِّ العالمين، كما في حديث سعد، حيث قدَّمَ ﷺ كلامَه في صيغة الاستفهام «**أتعجبون من غيرةِ سعد؟**» **ثم تدرجَ في بَيان تفاضلها بينه وبينَ سعد بالقسم،**

---

(١) «النهاية» (٦٨٥)، و«اللسان» (١٠٣٦/٢)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤٠٣/٤).

(٢) لأنَّ السببَ واقع بمشيئة الله تعالى، والمترتب عليه واقع على ما وقع بالمَشيئة، وهي صفة حقيقية لله عَزَّوَجَلَّ، وهي بإضافَتِها إلى الله تعالى لا يمكن أن يعتريَها نقصٌ، وأما إذا أُضيفت للآدمي فقد يعتريها نقصٌ «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (١٨٧/٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١٩/٦).

(٤) «بيان تلبيس الجهمية» (٤١٠/٧).

وصيغة التفضيل «**فوالله لأنا أغيرُ**»، ثم أصّل المعنى في هذا الوصف على وجه المفاضلة المطلَقة في حَقِّه تعالى «**والله أغيرُ مني**»، وهذا أسلوب الحكيم أن يضربَ الأمثالَ في الأمور المشاهدة على الأمور الغيبية، وإن معاني الأسماء والصفات وإن اشتركت بين العبد وبين الرَّبِّ، فإنَّ هذا لا يدلُّ على التَّساوي، فإذا كان التفاضل متفاوتًا بين الخلق، فمن باب أولى أن يكون على وجه الأقصى الأكمل المطلق في حَقِّ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ.

«وغيرة الله تعالى تتضمَّن البغض، والكراهةَ لِما يَغار منه»[1]، وإن من مقتضاها وآثارها أنه تعالى حرَّمَ الفواحشَ[2]، ولهذا جمعَ النبي ﷺ في الحديث الآتي «بين وصفِه سبحانه بأكمل المحبَّة للمَدائح، وأكمل البُغْض للمَحارم»[3] كما قال ﷺ: «**ما أحدٌ أغيرُ من الله تعالى... وما أحدٌ أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرِين**»[4]، فالغيرة أصلُها كراهة القبائح وبغضها. وبَيَّنَ محبةَ العُذْر الذي يوجب كَمالَ العدل والرَّحمة والإحسان، والله سبحانه مع شدَّة غيرته يُحبُّ أن يعتذرَ إليه عبدُه، ويقبل عذرَ من اعتذرَ إليه، وأنه لا يُؤاخذ عبدَه بارتكاب ما يغار من ارتكابه، حتى يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسلَ رسلَه، وأنزل كتبَه، إعذارًا وإنْذارًا، وهذا غاية المجد، والإحسان، ونهاية الكمال[5].

---

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٩٧).

(٢) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٣٤٠).

(٣) «الاستقامة» (٢/٣) لابن تيمية.

(٤) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) (٢٧٦٠).

(٥) «الداء والدواء» لابن القيم (١٠٨).



والنصوص الدالَّة على ثُبوت صفة الغيرة لِرَبِّنا ﷻ تدلُّ على أن غيرته تعالى نوعان: إما خاصَّة، وإما عامَّة، فالخاصَّة: وهي أن يأتيَ المؤمنُ ما حرم عليه. والعامة: وهي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهذه الغيرة أخص من مطلق البُغض، والمقت، والسخط[1].

فالله تبارك وتَعالى يَغار على إمائه وعبيده من المفسدين شرعًا وقدرًا، ومن أجلِ ذلك: حرم الفواحشَ، وشرع عليها أعظمَ العُقوبات، وأشنع القتلات، لِشِدَّة غيرته على إمائه وعبيده، فإن عطلت هذه العقوبات شرعًا أجراها سبحانه قدرًا[2]، وهذا يدلُّك رعاكَ الله على كَمال غيرتِه، من كل وجه، لأنها كاملة في: أسبابها، ونتائجها، وآثارها، ولوازمها، فهي مقارنة لحكمته، متضمنة لغاية الرأفة، وسنن الهدى والخير للعباد، بخلاف المخلوق فإن غيرته قد تودي به إلى البغي والطغيان، فسبحان ربنا العظيم ما أكمله: يغار علينا، وهو غنيٌّ عنا، فأي كماله يسمو إلى كماله سبحانه؟.

(١٩ ـ ٢٠) صفتا الكمال (الإتْيَان) و(المَجِيء) الجليلتين

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١) قال تبارك وتَعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [البقرة: ٢١٠][3].

٢) وقال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا

---

(١) انظر: «الاستقامة» (٢/٩، ١١، ١٣).

(٢) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم (٣١٠).

(٣) وقال عزَّ شأنُه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].




صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: ١) قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يَذْكُرني...، وإن تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هروَلَةً**»(١).

٢) حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في حديث رؤية المؤمنين رَبَّهم في الآخرة: «... **فيأتيهم الجَبَّارُ في صورةٍ غير صورَتِه التي رآه فيها أولَ مَرَّةٍ، فيقول: أنا رَبُّكم...**»(٢).

﴿ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الإتيان**: مجيء بِسُهولة، ومنه قيل لِلسَّيْل المارّ على وجهه: أتيٌّ وأتاويٌّ، والإتيان يقال لِلمَجيء بالذَّات، وبالأمر، وبالتدبير، ويقال في الخير والشَّرِّ، وفي الأعيان والأعراض(٣).

ويُسند الإتيان لِلباري تعالى، كما أسنِدَ إليه المجيءُ على معنًى يليقُ بِجَلاله، ويُعبّر بالإتيان عن الهَلاك، قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢](٤).

﴿ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف رَبّنا تبارك وتَعالى بصفتي الإتيان والمَجيء الفعليتان، على الحَقيقة كما يَليق بِكَمال رَبِّنا وجَلاله، وقد «تَلَقَّاها علماءُ السَّلَف بالقبول، ونقلوها من بعدهم كما فهموها، ودرج على الإيمان بها من بعدهم وإقرارها، وإمْرارها كما جاءت وكما تَلَقَّوْها، وهم خير

---

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥). وفي رواية: «... وإذا تلقاني بِباعٍ جئته أتيتُه بأسرع» مسلم (٢٦٧٥).

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣). وفي لفظ: «أتاهم رَبُّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» مسلم (١٨٣).

(٣) والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم. «المفردات» (٦٠) (٢١٢).

(٤) «عمدة الحفاظ» (١/٥٤ - ٥٥).




القرون، بل هم الناس الذين يسألون عن فهمهم للنُّصوص كيف فَهِموها، وكيف عملوا بها، لِيقتدى بهم، ولا سيما باب «الأسماء والصفات»، فالخير والهُدى والاطمئنان في اتِّباعهم، والتأَسِّي بهم»(١).

وقد تقدمَ ذِكْر الأدلة على هاتين الصِفَتين، فالآية الأولى يُخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه «يأتي يومَ القِيامة لِفَصْل القَضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كلَّ عاملٍ بعمَلِه، إنْ خيرًا فخير، وإن شَرًّا فشر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾»(٢).

وفي قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

يقول شيخ المفسرين في وشرحها بَيانِها على منهَج أهل السنة والجَماعة: «يقول جلَّ ثَناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادِلون بِرَبِّهم الأوثان والأصنام ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالموت فتقبِض أرواحَهم، أو أن يأتيهم ربُّك يا محمد، بين خلقه في موقف القِيامة...»(٣).

وقد نَبَّه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن: الإتيانَ والمَجيء من الله تعالى نوعان: مطلق، ومقيَّد، فإذا كان مجيء رحمته، أو عذابه، كان مقيَّدًا، كما في الحديث «**حتى إذا جاء الله بالرَّحمة والخير**»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وفي الأثر: (لا يأتي بالحَسنات إلا الله).

---

(١) «الصفات الإلَهية» (٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) «تفسر ابن كثير» (٢٤٨/١).

(٣) «تفسير الطبري» (٣٨٧/٣).

النوع الثاني: المَجيء والإتيان المُطْلَق، كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه، هذا إذا كان مُطْلَقًا، فكيف إذا قُيِّد بما يجعله صَريحًا في مَجيئه بنفسِه، كقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فعطفَ مَجيئَه على مَجيء الملائكة، ثم عطف مجيء آياتِه على مَجيئه.

ومن المَجيء المُقَيَّد قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، فلمّا قيَّدَه بالمفعول وهو البُنْيان، وبالمجرور وهو القواعد: دَلَّ ذلك على مَجيء ما بينه، إذ من المعلوم أنَّ الله سبحانه إذا جاءَ بنفسِه لا يَجيء من أساس الحِيطان وأسفلها، وهذا يُشبه قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢]، فهذا مَجيءٌ مقيَّد لقومٍ مخصوصين، قد أوقع بهم بأسه(١).

(٢١) صفة الكمال (العَدْل) الجَليلة

هذه الصفة الكريمة قد أقرَّ بها جميعُ المخلوقات إنسها وجِنّها، مؤمنها وكافِرها، فالخلق جميعًا مفطورون على الإيمان بها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد اتَّفقَ أهلُ الأرضِ والسموات على أنَّ الله تعالى (عدلٌ) لا يظلم أحدًا، حتى أعداءه المشركين الجاحدين لِصفات كَماله، فإنَّهم مُقِرون له بالعَدْل، ومنزِّهون له عن الظُّلْم، حتى إنَّهم

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٢٧)، وانظر: (٢/٣٣٩).

ليدخلون النار وهم معترفون بعَدْلِه، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ﴾ [الملك: ١١]، وقال تعالى: ﴿قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]»(١).

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: والله إنَّ هذه قسمةٌ ما عدل فيها، فقال النبي ﷺ: **«فمَنْ يعدِل إذا لم يعدِل الله ورسولُه»**(٢).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **العدل**: ضد الجَوْر، وهو ما قامَ في النُّفوس أنه مستقيم، والعدل: هو الذي لا يميل به الهَوى، فيجور في الحكم، والعدل: الحكم بالاستواء؛ أي: بالحَقِّ(٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله تبارك وتَعالى هو العَدْل، الذي لا أعدل منه على الإطلاق، «الذي كُلُّ أفعاله، وأحكامه سَداد، وصَواب، وحقٌّ، وهو سبحانه قد أوضح السّبل، وأرسل الرُّسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهِداية، والطاعة، بالأسماع، والأبصار، والعقول، وهذا عَدْلُه»(٤).

فهو تعالى الحكم العدل الذي تمتْ كلماتُه صدقًا في الأخبار، وعدْلًا في الأوامر والنَّواهي، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فأوامره كلُّها عدل، لأنَّها منافع ومَصالح، فهي عدل ممزوجة بالرَّحمة، ونواهيه كلُّها عدل، لكونِه لا ينهى إلا عن

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (١/٢٢١).

(٢) البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) «اللسان» (٥/٢٨٣٨)، و«النهاية» (٥٩٦)، و«القاموس المحيط» (٨٤٧).

(٤) الفوائد (٣٣).



الشُّرور والأضرار، وهي أيضًا مقرونة برحمته وحكمتِه، ومُجازاته لِلعِباد بأعمالهم عدل، لا يهضم من حَسَناتهم، ولا يَزيد في سَيِّئاتهم، أو يعذبهم بغير جُرم اجترحوه، فعدلُه سبحانه شامل للخليقة كلِّها، حتى من قضي عليهم العَذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مِثْقال ذَرَّة، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

بل إنَّ عدلَه شمل الحيوانات والبهائم، فإنه يقتص لِلشاة الجَمّاء من الشاة القَرْناء[١]، كما قال ﷺ: **«يُحْشَرُ الخلائقُ كلُّهم يوم القِيامة، والبهائم والدّواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عَدْلِ الله تعالى أن يأخذَ للجَمّاء من القَرْناء»**[٢]، بل حتى النملة من النَّمْلة، قال ﷺ: **«يقتص الخلقُ بعضُهم من بعضٍ، حتى الجَمّاء من القَرْناء، وحتى الذَّرَّة من الذَّرَّة»**[٣].

(٢٢) صفة الكمال (الغَلَبَة) الجليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١][٤]

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يَقول: **«لا إله إلا الله وحده، أعزَّ جُنْدَه، ونصرَ عبدَه، وغلبَ الأحزابَ وحدَه، فلا شيء بعدَه»**[٥].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الغَلَبة**: القهر؛ أي: القوي القادر، يقال: تغلَّب على بلَد كذا: استولى عليه قهرًا[٦].

---

(١) «فتح الرحيم الملك» (٣٢)، وتوضيح الكافية (١٢٧).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٦).

(٣) المصدر السابق (٤/٦١٢).

(٤) وقال جلَّ جلالُه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

(٥) البخاري (٤١١٤).

(٦) «عمدة الحفاظ» (٣/١٦٨)، و«الصحاح» (٧٨٠).



❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتَعالى هو الغالب الذي لا يُغْلَب «بل هو الغالب البالغ مراده من خلقِه، أحبُّوا أو كرهوا، وهذه إشارة أيضًا إلى كَمال القُدرة، والحكمة، (والعِزَّة، والمنعة)، وأنه تعالى لا يُقهَر ولا يُخدع ولا يُغْلَب»(١) بحالٍ من الأحوال، فهو تعالى «من يتمسَّك به فهو الغالِب، ولو أن كلَّ مَنْ في الأرض له طالب»(٢) وهذا الوعد منه تَعالى «قد حكم وكتب في كتابه الأول، وقدره (قبل خلق الخلائق) الذي لا يخالف، ولا يبدّل، ولا يُمانع، قال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلَة: ٢١]؛ أي: كتب القوي العزيزُ أنه الغالِب لأعدائه، وهذا قدر محكم، وأمر مُبْرَم، أن النصرةَ له، ولِكتابه، ورسله، وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة»(٣).

(٢٣) صفة الكمال (اسْتِطَابَةُ الرَّوَائِح) الجَلِيلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**ولَخَلُوفُ فَمِ الصّائم أطيبُ عندَ الله مِن رِيحِ المِسْكِ**»(٤).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الطِّيب:** ضدّ الخَبيث، فعله طاب يَطيب طيبًا فما أطيبه، يعني: ما أجمله، وما أزْكاه، وما أنفسَه. ويأتي بمعنى: الطاهر، والطيب من كلِّ شيء أفضله، والطيب يكونُ في المَحسوسات وغيرها، فالطِّيب من المَحسوسات هو ما لَذّ، وزكا من خِيار المَطْعومات والمَلْبوسات، وفي غير المحسوسات: كالطيب من القول، والكلمات،

---

(١) «المنهاج» (١/١٩٨)، و«الأسنى» (٣١٨).

(٢) «الأسنى» (٣١٨).

(٣) «تفسر ابن كثير» (٤/٤٣٢).

(٤) البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١).

أو الباقِيات الصالحات[١].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: من أوصاف رَبّنا ﷻ أنه يستطيب ما يَشاء من الرَّوائح، وأخبر ﷺ أنَّ ريحَ فَمِ الصائم عند الله سبحانه أطيب ما يكون من الطِّيب، وهذا يدلُّ على كَمال صِفاته، وأنها لا تشبه، ولا تُماثِل، ولا تقارب صِفات أحدٍ من خَلقِه، فإنه من المعلوم أن أيَّ أحدٍ من الخلق لا يستطيب رائحة الفم، خاصة عند خُلُوِّ المعدة، والتي تظهر جليةً عند الصوم، ولكن لِكَمال الله تبارك وتَعالى من جميع الوُجوه، يستطيب هذه الرائحة بأطيب ما علمه الخلق من الطِّيب.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من المعلوم أن أطيبَ ما عند الناس من الرائحة رائحة المِسك، فمثَّل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بِطيب رائحة المسك عندنا، وأعظم، ونسبة استطابة ذلك إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كنِسْبة سائر صِفاته، وأفعاله إليه، فإنها استطابةٌ لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أنَّ رِضاه وغضبة وفرحه وكراهيته وحُبّه وبغضه لا تماثل ما لِلمَخلوق من ذلك، كما أن ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تُشبه ذَوات خلقه، وصفاته لا تُشبه صِفاتهم وأفعالهم، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستطيبُ الكلمَ الطيبَ فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا[٢].

(٢٤) صفة الكمال (الصَّبْر) الجَليلة

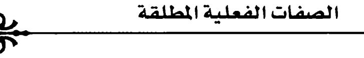
❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله** عَزَّ وَجَلَّ، **إنه يُشرَكُ به، ويُجعَلُ له الولدُ، ثم هو يُعافيهم، ويَرْزُقُهم**»[٣].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٤٣٥)، و«لسان العرب» (١/٥٦٣)، و«كتاب العين» (٧/٤٦١).

(٢) «الوابل الصيب» (١/٥٢).

(٣) وفي رواية: «ما أحدٌ أصبر على أذًى يسمعه من الله تعالى، إنَّهم يجعلونَ له نِدًّا، ويجعلون له وَلَدًا،=



❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الصبر**: الحَبْس، وهو نقيض الجزع[1]، والصبر أعالي الشيء[2].

الأذى: هو ما خفّ أمره، وضعف أثرُه من الشر والمكروه، بِخلاف الضّرر، فقد أخبر سبحانه أن العِبادَ لا يضرُّونه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عمران: ١٧٦][3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله تبارك وتعالى هو الصبور[4] الذي لا أصبر منه على الإطلاق، كما وصف بذلك أعرف الخلق به ﷺ، وجاء وصفُه بأكمل وأفضل وأعلى صيغ الثَّناء عليه: «**لا أحد أصبر**» «**ما أحد أصبر**» «**ليس أحد أصبر**» «بصيغة التفضل من الصَّبْر»[5]، وكذلك النكرة في سِياق النفي، والتي تفيد العموم كما هو معلوم، فصبر رَبِّنا تعالى أكمل صبر، وأجمله، وأحسنه، لأنه عن كَمال القُوَّة، والاقتدار، وعن كَمال الغِنى عن كل الورى، مع إنعامِه عليهم بالليل والنَّهار، وفي السِّرِّ والجهار، مع الفُجار أو الكفّار، فضلاً على الأبرار، فإنَّ العِباد يتبغضون إليه بالمَعاصي، ويُبارزونه بالذُّنوب العِظام، وهم مُضطرُّون إليه في كل الأحوال، فيتحبَّب إليهم بالآلاء والنِّعَم، ويصرف عنهم الآفات والنِّقَم، كأنَّهم لم يعصوه في أي ساعةٍ ولا آن، يَتمادَوْنَ في الطغيان، والله تعالى لا يَزيده ذلك إلّا صبرًا، وحلمًا، وكرمًا بالأنام[6].

= وهو مع ذلك يَرزُقُهم، ويُعافيهم، ويُعْطيهم». البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم واللفظ له (٢٨٠٤).

(١) «القاموس المحيط» (٧٢٥).

(٢) «اللسان» (٥/٢٦٧).

(٣) من كلام شيخ الإسلام بواسطة «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٧٣).

(٤) الصبر من أفعال الله تعالى اللازمة، والمتعدية كما تقدم بيانه، انظر (ص ٨٤).

(٥) «فتح الباري» (١٣/٤٤١).

(٦) «توضيح الكافية» (١٢١)، و«الحق الواضح» (٥٧)، و«فتح الرحيم» (٤٣) بتصرف.




ومن كمال صبر رَبِّنا الذي ليس له فيه شبيه، ولا عديل، أن الكُفّار والمُعاندين يَسبونَه بأشدّ السّباب، ويجعلون معه الشُّرَكاء والأنداد، «فلا يُزعجه ذلك كله إلى تَعجيل العِقاب، بل يصبر على عبده ويمهله، ويستصلحه، ويرفق به، ويحلم عنه، إذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال، والرِّفْق، والحلم، من باب البَلاء والنِّقَم، أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، بعد غاية الإعذار إليه، وبذل النَّصيحة إليه، ودُعائه مع كل باب[1].

فأيُّ صبرٍ أكمل من هذا، بل أي صبر يقرب من هذا الصبر، وهو العزيز الجَبّار المتكبِّر، ألا يزيدُك هذا يا عبد الله حُبًّا وشوقًا، وإخباتًا إلى ربك العظيم الصبُور سبحانه؟!

(٢٥) صفة الكمال (الحَثْو) الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ قال: **«وعدَني رَبِّي أن يدخلَ الجَنَّة من أمَّتي سبعين ألفًا، لا حِسابَ عليهم، ولا عَذاب، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاث حَثَيات من حَثَيات رَبِّي عز وجل»**[2].

---

(١) «عدة الصابرين» (٢٨٢).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٣٧)، وفي صحيح ابن ماجه (٤٢٨٦). وفي لفظ: «وزادَني ثلاثَ حَثَيات» صححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٥٨٨). وقال ﷺ: «إنَّ رَبِّي وعدَني أن يدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفًا بغير حِساب، ثم يتبع كل ألف سبعين ألفًا، ثم يحثي بِكَفِّه ثلاثَ حَثَيات» فكبر عمر... رواه الدارمي في «رده على بشر المريسي» (١/٢٧٧، ٢٨٠)، وقال الحافظ ابن حجر: سنده جيد، الفتح (١١/٤١٨)، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢٢٣٤). وقال ﷺ: «إنَّ ربي وعدَني أن يدخلَ الجنةَ من أمَّتي سبعين ألفًا بغير حِساب، ويشفع لِكُلِّ سبعين ألفًا، ثم يحثي ربِّي ثلاثَ حَثَيات بِكَفَّيْه». (فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربع مائة ألف وتسع مائة ألف)، فقال ﷺ: «إنَّ ذلك يستوعبُ إنْ شاء الله مُهاجري أمتي، ويوفينا الله بشيءٍ من أعرابِنا» رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٥)، وصححه محقق الكتاب أ.د باسم الحبوري (١/٥٥٥).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الحثو**: الإهالة، يقال: حثا عليه التراب حثوًا: هال، والحثية والحثوة: يستعمل فيما يعطيه الإنسان بِكَفَّيه دفعة واحدة من غير وزنٍ ولا تقدير[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: صفة الحثو من الأوصاف الكمالية، لأنها تقومُ به سبحانه، ولا يقوم به إلا «الأطيب، والأحسن، والأجمل، والأفضل»[2] من وصف كمالٍ على الإطلاق، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وقوله ﷺ: «**وثلاث حَثَيات**[3] **من حَثَيات ربي**»؛ أي: ثلاث غرف يغرفها سبحانه بكَفَّيه الكريمتين، والله تعالى أعلم بكيفية الحثو، لكن نؤمنُ بذلك ونُصدِّقه، هذا هو الواجب على المؤمن، لأن رَبَّنا لم يأمرنا بالبحث عن الكيفيَّة، لأنه تعالى أعظم وأجلُّ أن يُحاطَ به، قال رب العالمين: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(٢٦ - ٢٧) صفتا الكمال (الإِرَادَة) و(المَشِيئَة) الجليلتان

۞ **الكِتَابُ الحَكِيمُ**: ١) قال عز شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٢) وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) «لسان العرب» (٢/٣٢٤). وقوله ﷺ: «وثلاث حثيات» بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية «تحفة الأحوذي» (٦/٣١١).

(٢) «تفسير الطبري» (٤/٥٣٠).

(٣) ذكر ثلاث حثيات لعل في ذلك تشريفًا للأمة، وإلا حثية واحدة تكفي لتمام الأمة، ومثله قوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] والله أعلم بالحكمة. «إنجاز الحاجة لشرح سنن ابن ماجه» (٩/٣٣٠).



۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال ﷺ: «**وكَّل اللهُ بالرَّحِم مَلَكًا، فيقول: أي رب نطفة...، فإذا أرادَ الله أن يقضي خلقها قال...**»(١).

٢) وقال ﷺ: «**احتجَّت النار والجنة...، فقال الله** عَزَّوَجَلَّ **لهذه** ـ أي النار ـ: **أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَنْ أشاء، وقال لهذه** ـ أي: الجنة ـ: **أنتِ رحمتي أرحمُ بكِ مَنْ أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما مِلْؤُها**»(٢).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** من أصول أهل السنة والجماعة إثباتُ مشيئة الرَّبِّ العامَّة، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، كما أنَّ من أصولهم الثابتة إثباتُ صِفة الإرادة، وهي قسمان:

إرادة كونيَّة قدريَّة: كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مُرادِها شيء، كالمشيئة، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالظلمات والمَعاصي والأرزاق كلُّها بِمَشيئة الرَّبّ، وإرادته الكونية.

وقد ذكر سبحانه هذه الإرادة في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

القسم الثاني من الإرادة: **الإرادة الشرعية الدينية**، وتتضمَّن محبةَ الرَّبّ للمُراد، ورِضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مُرادها، بل قد يوجد، وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عبادِه شرعًا أن يعبدوه ويُطيعوه، فمنهم مَنْ عبده وأطاعَه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

---

(١) البخاري (٣١٨، ٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) مسلم (٢٨٤٦).

وبهذا يعلم أن الإرادتَيْن تجتمعان في حقِّ المُطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، لأنَّ الله تعالى لم يُرد منه المعصية شرعًا، بل قد نَهاه عنها، وقد ذكر الله هذه الإرادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][1].

الفرق بين الإرادتَيْن:

(١) الإرادة الكونيَّة قد يُحبُّها الله تعالى ويَرضاها، وقد لا يُحبها ولا يَرْضاها، والإرادة الشرعية لا بُدَّ أن يحبَّها ويرضاها، فالله تعالى أراد المعصية كونًا، فقد أذن لبعض المعاصي أن توجد في الأرض، لكنه لا يرضاها شرعًا.

(٢) الإرادة الكونية مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشُّرور، لتحصل بسبب ذلك المُجاهدة والتوبة والاستغفار، وغير ذلك من المحاب، والإرادة الشرعية مقصودة لِذاتِها، فالله أراد الطاعةَ كونًا وشرعًا، وأحبَّها ورضيَها.

(٣) الإرادة الكونيَّة لا بُدَّ من وقوعِها، والإرادة الشرعية لا يلزم وقوعُها، فقد تقع، وقد لا تقع[2].

وينبغي أن «نؤمن بأنَّ مُراده الكوني والشرعي تابعٌ لحِكمته، فكلُّ ما قَضاه كونًا، أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لِحِكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تَقاصرت عقولُنا عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فوصف

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لِعلامة الزمان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/٣٧٦ - ٣٧٧).

(٢) «شرح الواسطية» للعلامة الفوزان (١/٤٠٩).




الله نفسَه بالعِلْم، والحكمة، فدلَّ ذلك على أن الله تعالى لا يَشاء شيئًا إلا مبنيًّا على علمٍ، وحكمةٍ»(١).

(٢٨) صفة الكمال (الرُّشْدُ) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**الإمام ضامِنٌ، والمؤذن مؤتَمَنٌ، اللهم أَرْشِدِ الأئمةَ، واغفر للمؤذِّنين**»(٢).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الرشد: الرشاد، والرشد**: نقيض الغي والضلال، فالرشد: الهداية، والغي: الضَّلال، يقال: رشد الرجلُ فهو راشد، إذا أصاب وجه الأمر والطريق، وأرشده الله: هداهُ(٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله تبارك وتعالى هو الرشيد، الذي لا أكمل، ولا أرفع منه في هذا الوصف على الإطلاق، «فهو سبحانه قوله رشد، وفعله كله رشد»(٤)، الذي أسعد من شاء بإرشاده، وأشقى من شاء بإبعاده، وهو الذي لا يوجد سهو في تدبيره، ولا لهو في تقديره(٥)، وهو سبحانه الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها، على سنن السداد، من غير إشارة مشير، ولا تسديد مسدد، وإشارة مرشد(٦) من أحدٍ من العَبيد، وهو الذي أرشد الخلق كلَّهم إلى مَصالِحهم وما فيه منافعهم، فيما يحتاجونه بما يُقيم حَياتَهم، وأرشد أولياءه خاصة إلى الجنة، وهو مرشد الحائرين في الطريق

---

(١) «شرح عقيدة أهل السنة» للعلامة ابن عثيمين (١١٧ - ١١٨، ١٩٦ - ١٩٧).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٠٧).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٢/٩٣)، و«النهاية» (٣٥٩).

(٤) «الحق الواضح» (٧٨).

(٥) «شرح الأسماء» للرازي (٣٣٨).

(٦) «النهاية» (٣٥٩).




الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيهديهم إلى الصراط المستقيم بيانًا وتعليمًا وتوفيقًا، فيما يشرعه لِعباده من الشَّرائع، التي هي رشد وهدًى، ونور وحكمة، ويرشد عبدَه المؤمن إذا خضع له وأخلص عملَه، أرشده إلى جميع مصالحه[1]، ولهذا سأل الفتية المؤمنة أصحابُ الكهف منه الرَّشاد ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

(٢٩) صفة الكمال (الطَّيّ) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][2].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: **«يقبض الله تبارك وتَعالى الأرضَ يومَ القيامة، ويطوي السماءَ بيَمينه، ثم يقول: أنا المَلِك، أين ملوكُ الأرض؟»**[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الطي**: نقيض النشر وهو لَفُّ الشيء بعضه على بعضٍ، كطيِّ الدرج، ويقال: طويت الصحيفة أطويها طيًّا، فالطي مصدر، وطويتها طية واحدة؛ أي: مرَّة واحدة، وإنه لحسنُ الطِّيَّة، لا يراد به المرة الواحدة، ولكن ضربٌ من الطيِّ، مثل: الجلسة، والمشية، يراد: نوعٌ منه[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الطي صفة من صِفات رَبِّنا ﷻ الفعلية

---

(١) توضيح الكافية (١٢٧)، و«فتح الرحيم» (٥٠ ـ ٥١)، و«الحق الواضح» (٧٨ ـ ٧٩).

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

(٣) البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٢/٤٢٨)، و«اللسان» (٥/٦٧٢)، و«كتاب العين» (٣/٦٨).



الاختيارية؛ أي: التي تقع باختياره، بمعنى: بِمَشيئته وإرادته، المقترنة بحِكمته، والطي: هو ملاقاة الشيء بعضه على بعضٍ، وجمعه، وهو قريب من القبض، الذي هو: أخذ الشيء باليد، وجمعه، (كما سيأتي عند صفة القبض).

وهذه الصفة الجليلة مما يجب الإيمان بها، لأنها داخلة في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات المتعدية التي تتعدَّى آثارها، فحدوث ما يحدثه تعالى من المخلوقات تابع لِما يفعله من أفعالِه الاختيارية القائمة به تعالى[1].

وهذا الطي حقيقي للسَّماء، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ الطيَّ للسموات لا القبض، لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم، وطيُّها أبلغ في القدرة، وقد شبَّه الله تعالى هذا الطيَّ بقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2] يخبر الله تعالى أنه يوم القيامة يطوي السموات على عِظَمِها واتِّساعها، كما يطوي الكاتب السِّجل؛ أي: الورقة المكتوب فيها، فتنتثر نجومُها، وتكور شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها[3]، فلا إله إلا الله، فهذه السموات العظيمة يطويها بيَمينه كطي السجل للكتب، ثم يقول: «**أنا المَلِك، أين مُلوكُ الأرض؟**» الله أكبر، أين ملوك الأرض، وهل أحدٌ منهم يرفع أصبعه؟ الجواب: لا، لأنه لا يوجَد مِلكٌ يوم القيامة، فالناس سواءٌ، أصغر الخدم وأقوى الملوك، فكلهم حُفاة، وكلهم عُراة، وكلهم غُرْل، فالمُلْكُ لله عَزَّوَجَلَّ[4].

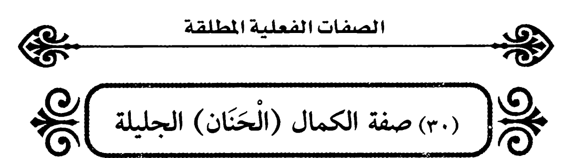
---

(١) انظر: «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/١٤٠) ببعض التصرف.

(٢) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).

(٣) «تفسير السعدي» (٥٣١).

(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).



(٣٠) صفة الكمال (الْحَنَان) الجليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٢ - ١٣].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**يوضَعُ الصِّراطُ ظهراني جهنَّم، عليه حَسَك**[١] **كحَسَك السعدان... ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهدُ أن لا إله إلا الله مُخْلِصًا، فيُخرجونَهم منها، قال: ثم يتحنَّنُ الله برحمتِه على مَنْ فيها**»[٢].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الحَنان**: الرحمة والعطف، والفعل: التحنُّن، وحنانيك يا فلان افعل كذا، ولا تفعل كذا تذكره، تذكره بالرحمة والبِرّ. والحنان: البركة والرِّزق، وحنانيك؛ أي: تحنُّنًا بعد تحنن، ولما كان الحَنين متضمِّنًا للشفَقَة، والإشفاق لا ينفك عن الرَّحمة، عبر عن الرحمة به، في نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾[٣][٤].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف رَبّنا الجليل بصفة الحنان الكريمة، وهي خاصة بأنبيائه وأصفيائه في حياتهم الدنيوية، وفي الأخروية، كما دلَّت على ذلك الأدلة السنية، وحنانُ رَبِّنا ليس كحَنان خلقِه، لا في

---

(١) (عليه حسك) بفتحتين، قيل: هو جمع حسكة، وهي شوكة صلبة. و(السعدان): نبت ذو شوك. «حاشية السندي على مسند أحمد» (١٧/١٤٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (١١٠٨١)، وحسن إسنادَه شعيب الأرنؤوط (١٧/١٤٣).

(٣) انظر: «كتاب العين» (١/٣٦٧)، و«لسان العرب» (٢/١٠٢٩)، و«عمدة الحفاظ» (١/٤٦٠)، و«شأن الدعاء» (١٠٥).

(٤) صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر (الحنان) بالرحمة ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يقول: ورحمة من عندنا. «التفسير الصحيح» (٣/٣٣٤).




ذاته ولا في أسبابِه، ولا في غاياته[1]، ومتعلقاته، فجنس حَنانِه سبحانه خِلاف المخلوق من كلِّ وجهٍ، فالعبد يحنُّ لِضعفه، ونقصِه، واحتياجِه، وهوانه، أما حَنان الرَّبّ فليس له مثيل، وذلك أنه يحنو وهو الغني، العزيز، المنيع، الذي لا ينتفع بحنانه من أحد من خلقه، ولا يتضرَّر بخِلافه، ومع ذلك فهو سبحانه الحَنّان الذي «يقبلُ على من أعرض عنه»[2] وهو الغني عنه من كلِّ وجهٍ.

ويتجلَّى حَنانُه سبحانه في يوم موعوده، حين يتحنَّن على من في النار من أهل الإسلام: «**فما يتركُ فيها عبدًا في قلبِه مثقال حَبَّة من إيمانٍ إلّا أخرجَه منها**» الحديث.

وأجلُّ ما يكون حنانه سبحانه عند دُخول أوليائه جناته «لأنَّ من حنَّ إلى غيره من الناس أكرمَه عند لِقائه، وكلف به عند قُدومِه»[3]. ولله المثل الأعلى، فهو تعالى أولى بذلك من خلقه.

(٣١) صفة الكمال (السُّرْعَة) الجَليلة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٢، النور: ٣٩][4].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: ١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنتُ أغارُ من اللاتي وهبْنَ أنفسَهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أتَهَبُ المرأةُ نفسَها؟! فلما أنزلَ الله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا

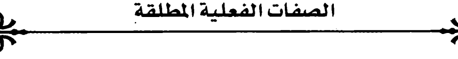
---

(١) فسببه: كمال عطفه بعبده، وغايته: إتمام نعمته بإنجائه.

(٢) «شرح حديث النزول» لابن تيمية (١٨٤).

(٣) «المنهاج» للحليمي (١/٢٠٧).

(٤) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١].



جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، قلتُ: يا رسول الله! ما أرى ربك إلّا يُسارعُ في هَواكَ)[1].

٢) وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل قال: إذا تَلَقّاني عبدي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُه بِذِراعٍ، وإذا تَلَقّاني بِذِراعٍ تَلَقَّيْتُه بِباعٍ، وإذا تَلَقّاني بباعٍ جِئْتُه أتيتُه بأسرع**»[2].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: السُّرعة**: في الأصل ضدّ البُطْء، ويستعمل في الأجسام والأفعال، يقال: سرع فهو سريع، وأسرع فهو مسرع، وسرعان القوم: أوائلهم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فمعنى سرعة حِسابِه تعالى أنه لا يشغله حساب زيدٍ عن حساب عمرٍو مثلًا، وإذ لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ فهو أسرعُ الحاسبين، وقيل: هو عبارة عن وقوعه لا مَحالة[3].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف رَبّنا تبارك وتعالى بصفة الكمال (السُّرْعَة) الاختيارية، وجاءت هذه الصفةُ الفعلية في كتاب الله مُضافة إليه في سِياق الجَزاء والمُقابلة، إمّا للعُقوبة، وإما للمَثُوبة، وقد مَجَّد نفسَه تعالى بهذا الوصف في مواضع عديدة في كتابه، «ومعنى السريع في صِفات الله جلَّ وعلا أنه سريع الحِساب لِعِباده، وأن أفعاله تسرع، فلا يُبطئ منها شيء عما أراد، لأنه بغير مباشرة، ولا علاج، ولا كلفة، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له (كن فيكون)، فهذا معنى السَّريع على توجيه اللغة، والله أعلم وأحكم»[4].

---

(١) البخاري (٤٧٨٨، ٥١٣)، ومسلم (١٤٦٤).

(٢) مسلم (٢٦٧٥).

(٣) «المفردات» (٤٠٧)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٩٢ - ١٩٣).

(٤) «اشتقاق أسماء الله» (١٢٧).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّما وصف جلَّ ثناؤه نفسه بسرعة الحساب، لأنه جلَّ ذِكْرُه يُحصى ما يحصي من أعمال عباده بغير عقد أصابع، ولا فكر، ولا روية، فِعلَ العجزة الضعفة من الخَلْق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذَرَّة فيهما، ثم هو مجازٍ عباده على كلِّ ذلك، فلذلك امتدحَ نفسَه جلَّ ذِكْرُه بسرعة الحساب، وأخبر خلقَه أنه ليس لهم بمثلٍ، فيحتاج في حسابه إلى عقدِ كَفٍّ، أو وعي صدر، ولا روية، ولا فكر»[1]، فهو سبحانه وصف نفسه بسرعة حِسابِه الخلائق على كثرة عددهم، وأنه لا يشغله شأن عن شأن[2]، فهو تعالى يُحاسب كلَّ الخلق في وقتٍ واحد، كما كان يرزقهم في الدنيا في وقتٍ واحد.

يقول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السرعة عدم التباطؤ في الشيء، فالله تعالى سريع الحِساب، هذه جملة خبرية يُقصد بها التهديد، والسرعة قد تكون سرعة الزمن، بمعنى: أن حساب الله قريب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، فإن الدنيا مهما طالت فهي سريعة الزَّوال، وأما السرعة في التقرير، أن سرعة محاسبة الله؛ أي: أن نفسَ حسابه سريع، والثاني أبلغ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحاسب الخلائق كلها في نصف يوم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والقيلولة تكون في نصف نهار، حتى إن كل واحدٍ يقيل في منزلِه ومستقره، وهذه سرعة الحساب»[3].

---

(١) «تفسير الطبري» (١/٥٥٤ ـ ٥٥٥)، وانظر: «تفسير البغوي» (١/٢٣٣).
(٢) «تفسير الشوكاني» (١٥٨).
(٣) انظر: «تفسير سورة البقرة» (٢/٤٣٦)، وآل عمران (١/١٢٧) (٢/٥٩٧).




وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ ومعنى وصفه بالأسرعية أنه تعالى قضى بعِقابهم قبل تدبيرهم ومَكايدهم، و(أسرع) أفعل التفضيل[1]، وقد دلَّ على أن مكرهم كان سريعًا، ولكن مكر الله تعالى أسرع منه[2].

(٣٢) صفة الكمال (الوِقَايَة) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾ [غافر: ٩][3].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** دعاء النبي ﷺ: «**اللهم رَبَّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[4].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الوقاية:** حفظ الشيء مِمّا يُؤذيه ويَضره، ويقال: وَقاه الله؛ أي: صانَه، ووقيت الشيء؛ إذا صنته، وسترته عن الأذى[5].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف رَبّنا العظيم نفسه بالصِّفة الفعلية (الوِقَاية)، وهي من الصفات التي تتعلق بالمَخْلوقات، أي: يتعدَّى مفعولها إلى خلقه.

والله تبارك وتَعالى له الوقاية المُطْلَقة، وهي الوقاية العامَّة لكل

---

(١) البحر المحيط لابن حيان (٦/٣١).

(٢) «تفسير الشوكاني» (٧٢٧).

(٣) وقال سبحانه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨]. وقال ﷻ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [الإنسان: ١١].

(٤) البخاري (٦٣٨)، ومسلم (٢٩٠). ودعاء القنوت: «... وقِنِي شَرَّ ما قَضَيْتَ». «صحيح أبي داود» (١٢٦٣). ومِن دُعائه ﷺ: «اللهم قِني شَرَّ نَفْسِي». «صحيح موارد الظمآن» (٢/٤٥٠).

(٥) «عمدة الحفاظ» (٤/٣٣٤)، و«لسان العرب» (٨/٤٩٠١).




الخليقة: فهو تعالى يقيهم في حياتهم الدُّنيوية، بما خلق لهم من الأسباب الكونية، التي تقيهم الشرور والمَضار والمَساوئ، والتي تعود عليهم بالمَسارّ والمَنافع. والوقاية الخاصَّة: وهي الوقاية الشرعيَّة التي اختصَّها سبحانه لأوليائه، في حياتهم المعيشية، والمَعادية، فهو سبحانه سخَّر لهم الأسباب الكونيَّة التي تصونهم عن الأذى، والرَّدى، من الورى، كما قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٥]، وسخر لهم الأسباب الشرعية من الهُدى على ألسنة أنبيائه ورسله مما يقيهم من ناره الكبرى، حتى يتبوأ كل وليّ منهم مقعده في جناته العلا ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨].

(٣٣ ـ ٣٤) صفتا الكمال (الرَّفع) و(الخَفْض) الجليلتان

❁ **القُرآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١][(١)].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: **«يَدُ الله مَلأى لا يَغيضُها[(٢)] نفقة، سحَّاء[(٣)] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغُضْ ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع»**[(٤)].

---

(١) وقال عز شأنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]. وقال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

(٢) لا يُنقصها.

(٣) كثيرة العطاء بلا انتهاء.

(٤) البخاري (٤٦٨٤) (٧٤١١)، ومسلم (١٧٩). وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ: **«إنَّ الله لا ينامُ ولا ينبغي له أن ينامَ، يرفعُ القِسطَ ويخفِضُه، ويُرفَعُ إليه عملُ الليل قبل عملِ النَّهار...»**. وفي لفظ: **«ويخفضُ القسطَ ويرفعُه»**. مسلم (١٧٩). وعن=




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الرفع:** خِلاف الوَضْع، تقول: رفعتُ الشيء رَفْعًا، وهو خلاف الخفض.

والرفع تارة يكون في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها من مقرِّها، كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وتارة في الذِّكْر إذا نَوَّهته، وتارة في المنزلة إذا شرفتها، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف:٣٢][(١)]

والخفض والرفع يُستعملان عند العرب في المكان والمَكانة، والعِزّ والإهانة، وربما ترتَّب أحدهما على الآخر بزيادة الدَّرجات في المكان، بحسب الزيادة في المكان[(٢)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** «هذان[(٣)] (الوصفان)[(٤)] يدلّان على الارتفاع والانحطاط، ويتضمَّنان الإقبالَ والإعراض، والقرب والإبعاد، والعِزّ والإذلال، والموالاة والمُعاداة، وغير ذلك[(٥)]، والخفض والرفع يكونان

= أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قال: «**مِن شأنِه أن يغفرَ ذَنْبًا، ويُفرج كربًا، ويُجيب داعِيًا، ويرفع قومًا، ويخفِضُ آخَرين**». وفي لفظ: «**ويضعُ آخَرين**» رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، وصححه الألباني (ص١٣٠)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٢٠٢). وقال ﷺ: «**إنَّ الله يرفَعُ بهذا الكِتابِ أقوامًا، ويَضَعُ آخَرين**» صحيح مسلم (٨١٧).

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (٢/٤٢٣)، و«كتاب العين» (٢/١٣٧)، و«المفردات» (٣٦٠).

(٢) «الأسنى» (١/٣٦٤).

(٣) الوصفان الجَليلان ثبتَ أحدُهما وهو صفة **(الرفع)** في القرآن، وأما **(الخفض)** فقد تفرَّدَت السنة بإثباته مع (الرفع) في سِياق التَّقابل بينهما، ولهذا فإن الكمالَ يكون في كل واحدٍ منهما منفردًا، ويعلو كمالًا عند اقترانِهما مع بعضِهما.

(٤) في المصدر اسمان، والصحيح ما أثبتُّ لأن الحديثَ الذي جاء ذِكْرهما فيه ضعف بإجْماع أهل العلم، وإنما ذكرت الأسماء فيه من اجتهاد الراوي، وكذلك أنهما وردا بصيغة الفعل، لا بصيغة الاسم كما تقدم في ذكر أدلتهما، ومن الشُّروط «الصحيحة» في إثبات الأسماء: أن يرد ذكره بصيغة الاسم، لا بصيغة الفعل، لأن أسماء الله تعالى توقيفية ولا تشتق من الأفعال.

(٥) «الأسنى» (١/٣٦٥) بتصرف يسير.



في الدين، وهو من الإضلال والإرشاد، وأن كانا في الدُّنيا فهما للإعلاء والإسقاط[1]، فالله تبارك وتَعالى يرفع أولياءَه بالتَّقرب والإسعاد، ويخفض الكفار بالإشقاء والإبعاد، وكل ذلك حكمة منه وصَواب، وهو تعالى الذي يداول بين عباده، فيخفِض أقوامًا، ويذهب شأنهم وعزهم، ويرفع آخرين فيورثهم ملكهم ودِيارهم[2].

وهو الذي يرفع أولياءَه بالطاعة، فيعلي مراتبَهم، وبنصرهم على أعدائه وأعدائهم في الدِّين، ويخفض ويُهين الجَبّارين، ويُذل الفراعنة المتكبِّرين[3].

وقوله ﷺ: «...**وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**»: «يعني إحدى يديه لِلعَطاء، وهو فضل محض، والأخرى فيها العدل، و«يخفض ويرفع»: يخفض من اقتضت حكمتُه خفضَه، ويرفع من اقتضت حكمته رفعَه[4]».

وقوله: «القسط»؛ أي: العدل، يعني أنه تعالى يحكم بالعدل»[5].

(٣٥) صفة الكمال (المَسْح) الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**لَمّا خلقَ الله آدمَ ومسحَ على ظهره، فسقط من ظهرِه كلُّ نسمةٍ هو خالقُها من ذُرِّيَّتِه إلى يوم القيامة...**»[6].

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي (٢٢٥).

(٢) «شرح النونية» للهراس (١١١/٢).

(٣) انظر: «شأن الدعاء» (٥٨)، و«النهاية» (٢٧٤).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

(٥) «شرح صحيح البخاري» (٤٠٥/٨)، و«شرح صحيح مسلم» (٣٨١/١) لابن عثيمين.

(٦) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٠٧٦)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٥). وعن=




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: المَسْحُ**: إمرار اليَدِ على الشيء، وإزالة الأثر عنه[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: المَسْح من صِفات رَبِّنا الاختيارية المتعديَّة، والمَسْح الذي يوصَف به رَبُّنا الجَليل مسح حقيقي، لأن صِفات رَبِّنا كلها حقيقية تليقُ بِجَلاله، وكمالِه، وعظمته، إلا إننا لا نعرف كيفيةَ المسح، ولكن علينا الإيمان والتَّسليم والتصديق، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة، المقتفى من مشكاة الكتاب والسنة، في كلِّ القُرون، لا يختلفون بهذه الحقيقة العقدية الإيمانِيَّة.

والمَسْح يكون إمرار اليد بالشيء الذي يمسح عليه، وهو يدلُّ على صفة اليد العظيمة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وورد لفظُ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتّابعين في أكثر من مئة موضع ورودًا متنوِّعًا متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدلُّ على أنها يد حقيقية، من الإمساك، والطي، والقبض، والمسك... وأنه مسح ظهر آدم بيده...»[2].

والمسح هو الفعل لأنه حادِث بعد أن لم يكن، أما اليد فصفة ذاتِيَّة لا تتعلق بالمَشيئة، ولا تكون في زمنٍ وحال دون أخرى، أما الفعل فهو متعلِّق بالمَشيئة، مربوط بالسبب، يوجَد حيث وجد السبب، وينتفي بانتفائه، كما تقدَّم بيانُه، والله تعالى أعلم.

= ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمّا نزلت آيةُ الدَّيْن، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ من جحد آدم، إنَّ الله تعالى لَمّا خلقه، مسح ظهره، فأخرجَ منه ما هو ذارِئٌ إلى يوم القيامة، فعرضَهم عليه...**» رواه أحمد في المسند (٢٢٧٠)، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر (٤/٧١)، وصححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٤).

(١) «المفردات» (٧٦٧).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/١٧١).




(٣٦) صفة الكمال (الأَذَنُ) «بمعنى الاستماع» الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«ما أذِنَ الله لِشَيْءٍ كأَذَنِه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن يَجْهَرُ به»**[١].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الأذن: الاستماع، قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٢]. والأذن والأذان: لِما يُسمع، وأذن لكذا: استمعَ له، وفي الحديث: «ما أذنَ الله لشيءٍ» يريد: ما استمعَ الله لشيءٍ كاستِماعه، والله تعالى لا يشغلُه سمع عن سمعٍ[٢].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الأذن من أفعال الله تعالى الاختيارية، «والله تعالى يقومُ به من الأفعالِ ما لا يُحصيه إلّا هو سبحانه، كما أنه يقوم به من الأقوال ما لا يُحصيه إلّا هو»[٣].

والأذن هو من الأفعالِ اللازمة، وصفة الأذن هي أخصُّ من صفة السَّمْع المشتقَّة من اسمه الجَليل (السَّميع) فهو تعالى وسع سمعه كلَّ الأصوات في الأرض والسموات في كلِّ اللحظات، وعلى هذا المعنى فهو من أوصافِه الذاتية العليَّة، أما الأذن فهو من الصِّفات الفعليَّة التي تقع بِمَشيئته، لأنه يتعلق بسبب، فهو يتجدد على حسب الاستماع للقراءة، والذي يكون في وقت دون وقت آخر.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ومعناه: أن الله تعالى ما استمعَ لشيءٍ

---

(١) وفي لفظ: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ، ما أَذِنَ لنبيٍّ حَسَن الصوت، يتغنَّى بالقرآن». البخاري (٥٠٢٣) (٧٤٨٢)، ومسلم (٧٩٢) واللفظ له.

(٢) «عمدة الحفاظ» (١/٨٠)، و«شرح السنة» للبغوي (٤/٤٨٤).

(٣) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/١١١).



كاستِماعِه لِقِراءة نبيٍّ يجهر بِقِراءته، ويحسنُها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء أطيب الصَّوت، لِكمال خلقهم، وتمام الخَشْية، وهو الغاية في ذلك، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يسمعُ أصواتَ العِباد كلِّهم، بَرِّهم وفاجرِهم، كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (سبحان الذي وسعَ سمعه الأصوات)، ولكن استماعَه لِقراءة عبادِه المؤمنين أعظم..، ثم استماعُه لِقراءة أنبيائِه أبلغُ، كما دَلَّ عليه هذا الحديث العَظيم»[1].

وهذا يدلُّ كما تقدَّم: أن صفاتِ الله تبارك وتعالى الفعلية، تتفاوتُ حسب الأسباب المتعلقة بها، فاستماعه لقراءة أنبيائه أعظم وأبلغ عنده سبحانه من استماع دونهم من أوليائه، والله تعالى أعلم.

(٣٧) صفة الكمال (الدَّفْع) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨][2]

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال ﷺ: **«لا أحدَ أصبر على أذًى يسمعه من الله عز جلَّ، إنه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له ولدٌ، وهو يُعافيهم، ويَدْفَعُ عنهم، ويَرْزقُهم»**[3].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الدَّفع:** الإزالة بقوة، وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبِه.

---

(١) «فضائل القرآن» (١١٤).

(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

(٣) رواه أحمد في المسند (١٩٥٢٧) (١٩٦٣٣)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (٢٩٣/٣٢، ٤٠٦). وقال ﷺ: **«إذا كانَ يوم القِيامة، دفعَ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى كلِّ مسلمٍ يَهوديًّا أو نصرانِيًّا، فيقول: هذا فكاك من النّار»** مسلم (٢٧٦٧).

واستدفعت الله الأسواء؛ أي: طلبت منه أن يدفعَها عني، ودفعت عنه كذا؛ أي: منعت[1].

والدفع إن عدي بإلى، فمعناه: الإنالة، كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ [النساء: ٦].

وإن عُدِّيَ بعن، فمعناه: الحِماية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨].

وقرئ: ﴿يدفع الله﴾، ﴿دفاع الله﴾ تنبيهًا على المُبالغة في الدفع عن خلقه، فأبرزه في صورة المُفاعَلة[2].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصَف رَبّنا العظيم بالصفة الفعلية الاختيارية الدفع، وهذه الصفة الكريمة عزيزة عند أوليائه، مقوية لعزائمهم، لِما تتضمنه من معانٍ سامية: من النُّصرة، والتمكين، والحِماية.

ودَفْعُ الله ﷻ نوعان: دفع عام، ودفع خاص، ومنه ما يكون قدريًّا، ومنه ما يكون شرعيًّا.

الدِّفاع العام: هو ما يدفعه سبحانه بحكمته عن من يشاء من خلقه بصرفِ الشَّر، والسوء، والهلكات، والرزايا، والبلايا، وهذا الدفع العام لِلبَرِّ والفاجِر، وللمؤمن والكافر، كما في الحديث المتقدم: «**لا أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله** عَزَّوَجَلَّ، **إنه يشرك به، ويجعل له ولدًا، وهو يُعافيهم، ويدفع عنهم، ويرزقُهم**»، فكم دفعَ الله تعالى هذه البلايا عن البرايا، دفعًا قدريًا، بما لا يحصيه عدّ، ولا يحيطه أحد.

---

(١) «اللسان» (٣/٣٧٦)، و«كتاب العين» (٢/٣٤).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/١٨).

النوع الثاني: **الدفع الخاص**، وهو أشرف النوعين، وهو دفاعه جلَّ وعلا عن أهل الدِّيانات، ويكون شرعِيًّا، وقدريًّا، وهو نوعان كذلك:

الأول: الدِّفاع عن أهل الدّيانات، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]؛ «أي: لولا أنه تعالى يدفع بقومٍ عن قوم، ويكفُّ شرور أناسٍ عن غيرِهم، بِما يخلقه من الأسباب، لفسدت الأرض، ولأهلك القوي الضعيف»[١].

وقد تكون هذه الأسباب قدرية، كونية، وتكون شرعية، وهي أعظم هذه الأسباب، وأسماها: الجهاد، ولولا «ما شرعه الله سبحانه للأنبياء، والأولياء، من قِتال الأعداء، لاستولى أهلُ الشرك، وعطَّلُوا ما بنته أربابُ الدّيانات من مواضع العِبادات»[٢]، ولِهذا منَّ الله تعالى عليهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، «حيث شرعَ لهم الجِهاد الذي فيه سَعادتهم، والمدافعة عنهم، ومكنَهم من الأرض بأسبابٍ يعلمونها، وأسباب لا يَعلمونها»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾: «صوامع الرُّهْبان»[٤]، وهي: «المَعابد الصغار للرهبان»[٥]، وقيل: «صوامع الصابئين»[٦].

---

(١) «تفسر ابن كثير» (٣/٣١٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (٦/٣٨٤).

(٣) «تفسير السعدي» (١٠٩).

(٤) صح عن مُجاهد. انظر: «التفسير الصحيح» (٣/٤١٩).

(٥) انظر: «تفسر ابن كثير» (٣/٣١٢).

(٦) صح عن قتادة. انظر: «التفسير الصحيح» (٣/٤١٩).




﴿وَبِيَعٌ﴾: وهي أوسع منها، وأكثر العابدين فيها، وهي: للنصارى أيضًا[1]. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: «كنائس اليَهود»[2]. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾؛ أي: ولا للمسلمين مساجد. ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾؛ أي: في هذه المعابد. ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ تُقام فيه الصلوات، وتتلى فيها كتب الله[3].

وهذه المواضِع التي اتخذت قبل تحريفهم، وتبديلهم، وقبل نسخ تلك المِلَل بالإسلام، وإنما ذكرت لهذا المعنى؛ أي: لولا هذا الدفع في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع، وبيع، وفي زمن محمد المساجد، لهدمت[4].

ومن الأسباب القدرية التي قدرها الله تعالى في الدفاع عنهم: إهلاك أعدائهم، منهم بالغَرَق، والطوفان، والصيحة، والرِّيح، والخسف، والحصى، وغير ذلك مما لا يُحصى.

الثاني: دفع أخص الخاص: وهو دِفاع حِسِّيّ، ومعنوي، إضافة على ما تقدم قدري، وشرعي، وهو دِفاع الله تعالى عن أنبيائه، وأصفيائه في معاشهم، ودِينهم، وهو المقصود في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: فيه بِشارة وإخبار محقق من الله تبارك وتعالى في سِياق المبالغة في الدِّفاع عنهم، كما دلَّت القِراءات المتواترة، كقراءة: ﴿يدافع﴾ ﴿ولولا دفاع﴾ و﴿يدفع﴾ ﴿ولولا دفع﴾ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾[5].

---

(١) «تفسر ابن كثير» (٣/٣١٢).

(٢) صح عن قتادة. انظر: «التفسير الصحيح» (٣/٤١٩).

(٣) «تفسير السعدي» (٥٣٩)، وتفسير النسفي (٧٤١).

(٤) «تفسير القرطبي» (٦/٣٨٤).

(٥) انظر هذه القراءات وتوجيهها في: «التفسير المحيط» (٧/٥١٤)، و«تفسير الطبري» (٦/٣٨٢).




«ولم يذكر سبحانه ما يدفعه عنهم لِيكون أفخم، وأعظم، وأعم، فوعد سبحانه أنه يدفع عن المؤمنين السوء والشَّرّ، بِسبب إيمانهم به تعالى، من ذلك: الأول: أعداؤهم من الكفار وغيرهم، فيردُّ كيدهم في نحرهم. الثاني: شر وسوسة الشيطان. الثالث: شرور أنفسهم، وسيئات أعمالِهم»(١).

ومن دِفاعه سبحانه عن أوليائه أنه يكون بالقول، وبالفعل، بالقول: أنهم «إذا ذمّوا بالقول دافع الله عنهم بالقول، كما قال تعالى (عن المُنافقين): ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال جل شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني: هم السفهاء لا أنتم، فهذا من تحقيق دِفاع الله تبارك وتعالى عن المؤمنين.

أما دِفاعه عن المؤمنين، إذا اعتدي عليهم بالفعل، فاستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢]، فهذه مُدافعة فعلية، حيث تنزل جنودُ الله عَزَّوَجَلَّ من السماء لتقتل أعداءَ المؤمنين، فهذا تحقيق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾»(٢).

ومن دِفاعه سبحانه القدري الفعلي لهم: ما هيَّأه تعالى من الأسباب الكونية في إهلاك أعدائهم، كما أرسل الريح للأحزاب، وإدخال الرُّعب في قلوب الأعداء، وإنزال السكينة على الأولياء، بنُزول المطر، والجند

---

(١) انظر: «أضواء البيان» (٥/٤٧٧)، و«تفسير السعدي» (٥٣٩).

(٢) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٥١).

من السَّماء، وغيرها مِمّا نعلمه، ومِمّا لا يعلمه إلّا رَبّ الأرض والسماء.

(٣٨) صفة الكمال (الصَّلَاة) «بمعنى الثناء» الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

٢) وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «... **مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً، صَلَّى الله عليه بها عشرًا**»[١].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الصلاة:** أصل الصلاة: الدُّعاء والتبريك، والتمجيد، يُقال: صليتُ عليه؛ أي: دعوتُ له، وزكيت[٢].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** يوصَف رَبّنا الجَليل الذي لا أجل، ولا أكمل منه بالصَّلاة على أصفيائه.

ومعنى الصلاة من الله لِخَلقه: حُسن ثَنائه عليهم، وحُسن ذِكْره لهم[٣]؛ أي: إنَّ الله تعالى يُثني عليهم في الملأ الأعلى، ويشيع لهم الذكر الجميل في عباد الله، رَفعًا لِذِكرهم، وإعلاءً لِشأنهم[٤].

---

(١) مسلم (٣٨٤). وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قومٌ بِصدقتهم قال: «اللهم صَلِّ على فلانٍ»، فأتاه أبي بِصدقته فقال: «اللهم صَلِّ على آلِ أبي أوفى» البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨). ومن الأدلة: الصلاة الإبراهيمية التي جاءت بعدة صِيَغٍ، منها: «**اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صَلَّيْتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيم...**» البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٥).

(٢) كما في الحديث: «إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعامٍ، فَلْيُجِبْ، وإن كانَ صائمًا فَلْيُصَلِّ». مسلم (١٤٣١). أي: لِيَدْعُ لأهله. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]. «المفردات» (٤٩١).

(٣) «كتاب العين» (١/٤١٠)، و«القاموس المحيط» (٧٥١).

(٤) وقيل: إن معنى الصلاة: المغفرة، والرحمة، وهذان القولان ضَعيفان، لأن الله تعالى غاير بين=




وصلاة الله تعالى على عبده نوعان: عامة، وخاصَّة.

الأول: صلاته العامَّة: فهي صلاته على عبادِه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ومنه دُعاء النبي ﷺ لآحاد المؤمنين (كما تقدم في الأدلة).

النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه، ورسله، خُصوصًا على خاتمِهم، وخيرهم محمد ﷺ[(١)].

(٣٩) صفة الكَمال (التَّزْكِيَة) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩][(٢)].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** دُعاء النبي ﷺ الذي فيه: «... **اللهم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنت وليُّها ومولاها...**»[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الزّكاة:** النماء الحاصل عن بركة الله تعالى، ويقال: زَكا الزَّرْعُ يزكو: إذا حصل منه نمو وبركة.

= الصلاة، والرحمة، بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، لأن الرحمةَ أعمّ من الصلاة، ولهذا عطفهما على (الصلوات) من باب عطف العام على الخاص، لأنَّ الثَّناء عليهم في الملأ الأعلى من الرحمة. انظر: «تفسير الطبري» (٦/١٨٤)، و«تفسير سورة البقرة» (٢/١٨٢)، و«سورة الأحزاب» (٧/٤٦٩، ٥٤٥) لابن عثيمين.

وقد صحَّ في تفسير هذا المعنى الصحيح عن كبير التابعين أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «**صلاةُ الله على رَسولِه، ثناؤه عليه عند الملأ الأعلى**» رواه البخاري معلقًا في «كتاب التفسير» (٨/٥٣٣)، وحسنه الألباني في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٩٥).

(١) «جلاء الأفهام» (١٢١).

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

(٣) مسلم (٢٧٢٢).



والزَّكاة: الطَّهارة، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ أي: ما طهرَ، وينسب إلى الله تعالى، لِكونِه فاعِلًا لذلك في الحَقيقة[1].

والزَّكاة: الصَّلاح، يقال: زَكا الرجل يزكو إذا صلح.

وزَكاه الله تعالى وأزْكاه: صلح، وتنعمَ.

وقيل: أصلها: الثناء الجَميل، من ذلك زُكِّيَ فلانٌ عند القاضي؛ أي: أُثْنِيَ عليه[2].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله تباركَ وتَعالى هو الزكي من كل وجه واعتبار، «فلا يُقال لِموصوف زكي، حتى تجتمع فيه جِهات الخير وخِصالُها ظاهرًا وباطِنًا، وذلك لا يكون حقيقة إلا لله تعالى وحده، فهو سبحانه الزكي على الإطلاق، القدوس، السلام، الطاهر، الطَّيب[3] في جميع صِفاته، المحمود من كلِّ أسمائه»[4].

فهو سبحانه الذي يُزكي أولياءه، ويُطهرهم من الآفات والمَذام الظاهرة والباطنة، فيكونوا أهلاً لِلثَّناء، والحمد، على قَدْر قِيامهم بالأسباب الشرعية المقتضية له، فهو تعالى يُزكي من اسْتَقام «بالإيمان والعمل الصالح، بالتَّخلي عن الأخلاق الرَّذيلة، والتحلِّي بالصفات الجَميلة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ من يعلم منه أن

---

(١) «المفردات» (٣٨٠)، و«عمدة الحفاظ» (١٤٢/٢)، و«مقاييس اللغة» (٣٨٦).

(٢) «كتاب العين» (١٨٩/٢)، و«القاموس المحيط» (٥٦٧)، و«المصباح المنير» (١٤٩).

(٣) هذه الصفة فعلية، وليست من الصفات الذاتية أو المنفية كما جاءت بالأدلة السنية بالفعل المتعدي وليس بالفعل اللازم كما ذكر القرطبي، وعلى هذا فإنَّ إدخال هذه الصفة من جملة الصفات المنفية أو الذاتية، لم ينهض له دليل، وإن كانت المَعاني المذكورة صحيحة في حقه سبحانه، والله تعالى أعلم.

(٤) «الأسنى» (٢٨١).

يزكي بالتزكية، ولهذا قال تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»[1].

(٤٠) صفة الكَمال (المُعَافِي) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: «**ليسَ أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله** عَزَّوَجَلَّ، **إنه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له الوَلَدُ، ثم هو يُعافيهم، ويَرْزُقُهُمْ**»[2].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: العافية: هي دِفاع الله تعالى عن العبد بدفع المكاره، تقول: عافاه الله تعالى من المَكْروه عفاءً، ومُعافاة، وعافية: وهب له العافية من العِلَل، والبَلاء، وعافاه الله: مَحا عنه الأسْقام.

والمُعافاة: أن يُعافيَك الله من النّاس، ويُعافيهم منك؛ أي: أن يُغنيَك عنهم، ويُغنيَهم عنك، ويصرف آذاهم عنك، وآذاك عنهم[3].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله سبحانه هو المُعافي على الإطلاق: الذي يُعافي من يَشاء من العِباد، فيدفع عنهم البَلايا، والرَّزايا، والأمراض، والأسقام، والخَزايا، وهذه مُعافاته العامة لكلِّ الخليقة.

ويخصُّ أولياءَه الكِرام: بالتجاوز عن الذّنوب والآثام، ويدفع عنهم المحنَ، والنِّقَم، والفِتَن، ما ظهر منها وما بطن، ويُعافيهم من أشد

---

(١) «تفسير السعدي» (١٨٢، ٥٦٤).

(٢) البخاري (٦٠٩٩) (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٥). وفي لفظ: «**وهو مع ذلك يَرزقُهم، ويُعافيهم، ويُعطيهم**» مسلم (٢٨٠٥). ومن الأدلة: دعاء القُنوت الذي علَّمَه رسول الله ﷺ لِحفيدِه الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**اللهم اهْدِني فيمَنْ هدَيْت، وعافني فيمَنْ عافَيْت...**» «صحيح أبي داود» (١٤٢٤). والدعاء الذي علمه النبي ﷺ لشَكَل بن حميد: «**اللهم عافِني من شَرِّ سَمْعي، وبَصَري...**» «صحيح الأدب المفرد» (٥١٥). والدعاء بين السجدتين في الصلاة: «**اللهماغفِرْلي،وارْحَمْني،وعافِني**». «صحيح ابن ماجه» (٨٩٨).

(٣) «اللسان» (٥/٣٠١٨)، و«كتاب العين» (٣/١٩٢)، و«النهاية» (٦٢٧)، و«القاموس المحيط» (٨٩٢).




الأمراض المعنوية الدِّينية: كالكفر، والشرك: والنِّفاق، والعِصيان، لِيُقْبِلوا عليه يومَ الدِّين، سالمين مطهرين من الآثام، فيدخلوا دارَه دارَ السلام.

وبالجملة: إنه تعالى يُعافيهم من جميع الشرور، والأخطار، والأضرار الحسية، والمعنوية، المعاشية، والشرعية، والمعادية.

(٤١) صفة الكَمال (الهَادِي) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣][(١)].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: في الحديث القدسي يقول الله تعالى فيه: «**...يا عبادي كلكم ضال إلّا من هديته، فاسْتَهْدوني أَهْدِكم**»[(٢)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الهِداية**: هي الدلالة بلطف، وإرشاد، يقال: هديته الطريقَ والبيت هِداية؛ أي: عرفته، والهدى: خِلاف الضَّلالة، وهي الطاعة، والورع[(٣)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله ﷻ هو الهادي: الذي يهدي عبادَه إليه، ويدلّهم عليه، وعلى سبيل الخير، والأعمال المقربة منه عَزَّوَجَلَّ، فهو تعالى بصَّر عبادَه، وعرَّفَهم طريق معرفته، حتى أقرُّوا بِرُبوبِيَّتِه[(٤)].

وهذه الهداية الشرعية الفطرية، حيث أودعَ الله في النُّفوس الإقرار

---

(١) وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

(٢) مسلم (٢٥٧٧). وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:«قل اللهم اهْدِني، وسَدِّدْني» مسلم (٢٧٢٥).

(٣) «المفردات» (٨٣٥)، و«الصحاح» (١٠٩٢).

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨٧)، و«النهاية» (١٠٠٣)، وتفسير الأسماء (٦٤).




والتصديق بوحدانيته سبحانه من كل البرية.

أما الهداية الدنيوية العامة الفطرية: «أنه سبحانه خلق المخلوقات فهداها الهِداية العامة لِمَصالحها، وجعلَها متهيئة لِما خُلقت له، فأرشد عبادَه إلى جلب مَصالحها، ودفع مَضارِّها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣].

فقد هدى كلَّ مخلوقٍ إلى ما لا بُدَّ منه في قَضاء حاجته، فهدى الطفل إلى الْتِقام الثدي عند انفِصالِه، والفرخ إلى الْتِقاط الحَبِّ وقت خروجه... وشرح ذلك مِمّا يطول»[1].

وبالجملة: «إنَّ هداية الله تعالى للإنسان على أربعة ضروب:

الأول: الهداية العامَّة التي عم بجنسِها كل مكلَّف، من العقل، والفِطْنة، والمَعارف الضرورية، وهي المشتركة بين الخلق كلهم، كما تقدم من الآيات في سورة (طه)، و(العلق).

الثاني: هداية البَيان والدّلالة، والتعريف لِنَجدَي الخير والشَّرّ، وطريقي النَّجاة والهَلاك، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي: بَيَّنا لهم، وأرشدناهم، وهي التي يملكها الرسل وأتباعهم.

الضرب الثالث: هِداية التوفيق والإلْهام، (التي من وفق إليها لا يَزيغ، وهي التي اختصَّ بها سبحانه وحده)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا

(١) المقصد «الأسنى» (٩٣)، و«فتح الرحيم» (٥٠).

تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهِداية إلى الجنة، أو إلى النار، فأما الهداية إلى الجنة، فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وأما الهداية الثانية إلى النار - عافانا الله وإياكم منها - فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣].

والهداية المطلقة التامَّة هي الهداية التي يسألها المؤمنون إلى ربِّهم (في كل صلاة بل في كلِّ ركعةٍ) ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: اهدنا إليه، واهدنا فيه»[١].

(٤٢) صفة الكمال (المُغيث) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رجلًا دخل المسجدَ يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب.. (إلى أن قال): فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادعُ الله أن يُغيثَنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أَغِثْنا، اللهم أَغِثْنا، اللهم أَغِثْنا...**»[٢].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٣٦)، و«المفردات» (٨٣٥)، و«فتح الرحيم» (٥١).

(٢) البخاري (٩٣٣، ١٠١٣٥)، ومسلم واللفظ له (٨٩٧).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: المغيث**: مأخوذ من الإغاثة، وهي: الإعانة، والنصرة عند الشَّدائد، واستغاثَ: صاحَ وا غوثاه، واستغثته: طلبتُ الغوثَ، واستَغاثَني فلان فأغثته؛ أي: فرجت عنه.

وأغاثهم الله برحمته: كشف شِدَّتَهم، وأغاثَنا المطرُ من ذلك فهو مغيث أيضًا[(١)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصَف رَبّنا الجَليل بأنه هو المغيث، إذْ لا غِياث ولا مُغيث على الإطلاق إلّا هو عز شأنُه، وإن كل غوثٍ فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره، فالحقيقة له ﷻ وحده، ولِغيره مَجاز، فهو سبحانه مدرك عباده في الشَّدائد إذا دعوه، ومُجيبهم، ومخلصهم[(٢)].

فهو تعالى المُغيث إغاثة عامَّة، وخاصة، فإغاثته سبحانه نوعان:

الأول: الإغاثة العامة، فهو سبحانه مغيثُ العالَمين: «فهو المُغيث لِجَميع المخلوقات عندما تتعسر أمورَها، وتقع في الشدائد، والكربات، يطعم جائعَهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، وينزل الغيثَ عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يُجيب إغاثة اللهفان؛ أي: دعاء من دَعاه في حالة اللهف، والشِّدَّة، والإضرار، فمن استغاثه أغاثَه، (وبالجملة إنه تعالى) هو المنقذ من الشدائد الفادحة، والكروب.

وفي الكتاب والسنة من ذِكْر تفريجِه للكربات، وإزالته الشَّدائد، وتيسيره للعَسير، شيءٌ كثير جِدًّا معروف، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم

---

(١) «المفردات» (٦١٧)، و«لسان العرب» (٦/٦٩٢)، و«المصباح المنير» (٢٦٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/١١٠).




﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]»(١).

الثاني: الإغاثة الخاصة، فهو سبحانه مغيثُ المؤمنين: فهو تعالى أسرع لهم غَوْثًا، وعونًا، وتفريجًا للهموم، والكربات، يستجيب لهم عند الشدائد، والهلكات، ولا يردُّ منهم أحدًا عند طلب الحاجات، والتضرع بالدعوات، وبالجملة فهو تعالى مُغيث لهم في الدنيا في الملمات، ويوم القيامة من الكربات في العرصات.

(٤٣) صفة الكمال (الفَاطِر) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: ١) قال ﷻ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٢) وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

٣) وقال جلَّ ثَناؤه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: حديث عائشة ﵂ في افتتاح النبي ﷺ صلاته بالليل: «**اللهم رَبَّ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض...**»(٢).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **فطر**: أصله: الشق، فطر الشيء يفطره فطرًا فانفطر، وفَطَرَه: شَقَّه، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]؛ أي: يتشققن.

والفطر: الابتداء، والاختِراع، يقال: فطرت البئر: ابتدعتها، وحفرتها.

---

(١) «الحق الواضح» (٦٧)، و«توضيح الكافية الشافية» (١٢٤).

(٢) مسلم (٧٧٠)، وحديث علي ﵁ أن النبي ﷺ إذا قام من الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا..**» رواه مسلم (٧٧١).

ويقال للذي يحرث الأرض: فاطر، لأنه يشقُّها بالحِراثة[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف رَبُّنا العظيم نفسه بأنه هو الفاطِر على الإطلاق: الذي فطر كل الخَليقة، فما مِن شيء إلّا هو مفطور بفطرة الله تعالى، فأوجده بعد العدم، فكل مخلوق في عالم الملكوت، أوجده الله، بعد أن لم يكن موجودًا، فهو تعالى (**فاطر السموات والأرض**): «أي: إنه مبتدعهما، ومبتدئهما، وخالقهما[2] وحده على الإطلاق، من غير شيء، ولا مِثال سبق[3].

وهو سبحانه فاتق الرتق؛ أي: المتصل المتلاصق من السماء والأرض، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؛ أي: كان الجميع متصلًا بعضه ببعض متلاصقًا، متراكمًا بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماء سبعًا، والأرض سبعًا، وفل بينهما بالهواء، كما أنه فتقَ السماء بالمطر، والأرض بالنَّبات[4].

وكما أنه سبحانه فاطر للمحسوسات في الأرض والسموات، فهو تعالى فاطر للمَعْنويات الجِبِلّيات، فهو تعالى فطر الخلق على الإيمان به، وتوحيده، والإخلاص له بالعُبودية، كما قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]؛ أي: «فسدِّدْ وجهَك، واستمر على الدِّين الذي شرعه

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/٢٣٩)، و«لسان العرب» (٧/١٢٥).

(٢) «تفسير الطبري» (١١/٢٨٢)، و«شأن الدعاء» (١٠٣).

(٣) «الأسنى» (٤٢٣).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٠)، وابن كثير (٣/٢٤٥).




الله لك، من الحَنيفية ملة إبراهيم، الذي هَداك الله لها، وكملها لك غايةَ الكَمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلقَ عليها، فإنه تعالى فطرَ خلقَه على معرفته، وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما في الحديث: «**إنِّي خلقتُ عِبادي حُنَفاء، فاجْتالتهم الشياطينُ عن دِينهم**»[(١)]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُبدلوا خلقَ الله، فتُغيروا الناس عن فِطرتهم التي فطرهم الله عليها، فهو تعالى ساوى بين خلقه كلِّهم في الفِطْرة على الجِبِلَّة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك»[(٢)].

وهذا من كَمال عَدْلِه سبحانه، الذي لا مَثيل له.

(٤٤) صفة الكمال (الكِتَابَة وَالْخَطّ) الجَليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ:** قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١][(٣)].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**لَمّا قضى الله الخلقَ كتب في كِتابه، فهو عندَه فوقَ العرش: إنَّ رحمتي تَغْلِبُ غَضَبي**»[(٤)][(٥)].

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «تفسر ابن كثير» (٣/٥٨٥)، ثم سرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديث في ذلك، منها: «**ما مِنْ مولودٍ يولَدُ إلّا على الفِطْرَة، فأبواهُ يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه...**» البخاري (٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) وقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وقال عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

(٤) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٥) وفي رواية: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ حينَ خلقَ الخلقَ، كتبَ بيده على نفسه، إنَّ رحمتي تغلبُ غضبي**». صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٤٣)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٤٢٩٥). وفي حديث احتجاج موسى وآدم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وفيه قول آدم لِموسى: «**أنت موسى الذي اصطفاكَ الله بِرِسالته،**=




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الكتب**: ضم أديمٍ إلى أديم بالخِياطة، يقال: كتبت السِّقاء. وكتبت البغلة: جمعت بين شفريها[1] بحلقة. والأصل في الكتابة: النظم بالخط، وفي المَقال: النظم بالقول. وفي التعارف: ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط[2].

والخط: الكَتْبُ لأنه ذو خطوط، فعبر عن الكتابة بالخط، قال تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾؛ أي: لا تكتبه، والخط: المد، والخطُّ: كل ما له طول[3].

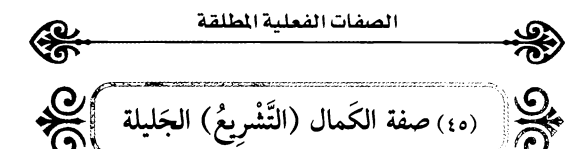
۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصَف رَبُّنا عز شأنُه بالكِتابة، وبالخط على الحَقيقة، كما يَليق بِجَلاله، وعظمة شأنه، فهو تعالى يكتب ويخط ما شاء، ولِمَن شاء، ومتى شاء، وكيف شاء سبحانه، على مقتضى حكمتِه، ولا نعلم كيفية هذه الأفعال، وإنما نؤمن بها كما جاءت، لأنها حق من عند رَبِّنا عز شأنُه، وقد تقدم ذِكْرُ الأدلة التي تُفيد أنه تعالى باشَر بنفسِه الكتابة والخط، لأن فعل الكتابة عُدِّيَ إلى اليد «وخطَّ بيدِه»، فلا يجوز صرفُه عن حقيقته، وقد تقدم عند صفة (اليد) أنه خلق أشياء بيده: (كالعرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن... ثم قال لِسائر الخلق: كن فكان)، وكتابته لها تدلُّ على تَشريفها على غيرِها، كما في قوله ﷺ: «**وكتبَ لكَ**» «**وخَطَّ**».. إلخ.

= وبِكلامه، وأعطاكَ الألواحَ فيه تِبيان كل شيء، وقرَّبَك نَجِيًّا، فبِكَم وجدت الله كتبَ التوراة قبل أن أخلق؟...». وفي رواية: «**وخَطَّ لك التوراة بيدِه**». وفي رواية: «**وكتبَ لك التوراة بيدِه**» البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(١) الشفر: جانب الفرج.

(٢) «المفردات» (٦٩٩)، و«عمدة الحفاظ» (٣/٣٧٠ ـ ٣٧١).

(٣) «عمدة الحفاظ» (١/٥١٢ ـ ٥١٣).



(٤٥) صفة الكَمال (التَّشْرِيعُ) الجَليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ:** قال ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى: ١٣].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سَرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً، فَلْيُحافِظْ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإنَّ الله شرع لِنَبِيكم ﷺ سُنَنَ الهُدى، وإنَّهُنَّ من سُنَنِ الهُدى...)(١).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: شرع: الشرع:** نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقًا. والشرع مصدر، ثم جُعِلَ اسمًا للطريق النهج، قيل له: شِرْع، وشَرْعٌ، وشِرعةٌ، واسْتُعير ذلك للطريقة الإلَهية من الدِّين، يقال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ﴾ [المائدة:٤٨](٢).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله رَبُّنا ﷻ هو المُشَرِّع وحده، لا شريك له، الذي انفرد بالأمر، والنهي، والحكم، والتشريع، وبهذا يُعلم أن التحليلَ والتحريمَ، والتشريع موصد الأبواب، مقطوع الأسباب، على كل الخلائق، ولو كان من الأنبياء فضلاً عن عُموم العباد، فالتشريع من خَصائص ألوهية الله سبحانه وتعالى(٣)، فهو سبحانه قد شرعَ لكل أنبيائه شريعة واحدة، وهي عِبادته وحده لا شريك له، فهذا الدين الذي جاءت به الرسل كلهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي الحديث: «**نحن معاشر**

---

(١) مسلم (١٠٤٦).

(٢) «المفردات» (٤٥٠).

(٣) انظر: «الشرك بالله أنواعه وأحكامه» ماجد محمد شبالة (٥٢٨، ٥٣١) بتصرف يسير.

الأنبياء أولاد علّات، دِينُنا واحد»[1]؛ أي: القدر المشترك بينهم هو عِبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومنهاجهم، كقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][2].

وبهذا يُعلم أن أحكامَه الشرعية سبحانه قد انتهت بانقطاع الوحي، بقبض النبي ﷺ، أمّا أحكامه وتشريعه الكوني القدري، فلا يَزال يتجدَّد، على حسب ما تقتضيه حكمتُه الباهرة، إلى قِيام السّاعة.

واعلم رَعاك الله، أن «أكبر مِنَّة أنعمَ الله بها على عِباده، أن شرع لهم من الدِّين خير الأديان، وأفضلها، وأزْكاها، وأطهرها، دين الإسلام...»[3]، فأنعمَ به رَبُّنا علينا دون مسألة، ولا وسيلة، ولا عَناء، فلا تجحد يا رعاك الرحمن هذه النعمة التي والله ما بعدَها إنعام، التي خَصَّنا بها المنان، وحرمها أكثر الأنام، فتذكَّرْها في كل حال، ولا تنساها على ممر الزمان، وذَكِّرْ بها أحبابَك، وأقرباءك، بل كل مَنْ عرفت من الخلق من بعيد ودان، عسى أن تحفظ علينا إلى يوم لقاء الديان.

(٤٦) صفة الكَمال (الفِعْل، وَالعَمَل) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال ﷻ: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٢) وقال رَبُّ العالَمين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

٣) وقال جَلَّ جَلالُه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

---

(١) البخاري (٣٤٤٢) (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).

(٢) «تفسر ابن كثير» (٤/١٤٠).

(٣) «تفسير السعدي» (٧٥٤).




۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: حديث أم رومان (وهي أم عائشة رضي الله عنها) قالت: (بينا أنا قاعدة أنا وعائشة، إذْ ولجَتْ امرأة من الأنصار فقالت: فعلَ الله بفُلان، وفعل بِفُلان...»[١].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الفعل**: كناية عن كل عمل متعدٍّ، أو غير متَعَدٍّ.

والفعل يعبر به عن القدرة على الشيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ أي: قادرين على فعل ما نَشاء.

والفَعَّال: صيغة مبالغة من الفعل، بمعنى: الذي يكثر منه الفعل؛ أي: ما يُريد ويفعل في غاية الكثرة[٢].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصَف رَبُّنا العظيم بصفة الفعل الجَليلة، بل يوصَف بها بصيغة المُبالغة أعلاها في التعظيم، والإجلال، والكَمال، فقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لِبَيان: كثرة أفعاله، ودوامِها، ونهاياتها، بلا عَدٍّ، ولا حصر، «فأفعاله عز شأنُه لا تُحصى أنواعُها، فضلًا عن أفرادِها»[٣]، وما تقتضيه من آثار، ومتعلقات في الخلق كله في كلِّ حال، وآنٍ، وزَمان، فكل ما في السموات والأرض من فعلِه سبحانه، ولِهذا يوصَف الله تعالى بكل ما خَلَقَ، وبكل ما شرع[٤].

فكونُه سبحانه وتعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: هذا من كَمال قوته، ونفوذ مَشيئته، وشُمول قدرته، أن كل أمر يُريده فعله، في أيِّ وقتٍ يُريد أزلًا، وأبدًا،

---

(١) البخاري (٤١٤٣).

(٢) «لسان العرب» (٧/١٣١)، و«عمدة الحفاظ» (٣/١٢٤، ٢٤١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/٤٠٧)، و«المصباح المنير» (٢٤٨)، وإعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش (١٠/٤٣٥).

(٣) تفسير آل عمران (١/٢٥١)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (١٢٣).

(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢/٦٣٥).



وعلى أيِّ كيفية يريدها، وهذا من كماله، فهي كمال في وقتِها، وعند وُجود سَببها، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يُعارضه أحد، وليس له ظهير، ولا عوين، ولا مُساعد على أيِّ أمر يكون، بل إذا أراد أمرًا قال له: «كن فيكون»[(١)].

وهذا يدلُّ على أن كلَّ فعلٍ من أفعاله تعالى، له إرادة تخصُّه، فشأنه سبحانه أنه يُريد على الدوام، ويفعل ما يُريد، وأن فعله وإرادته مُتلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، لا يعوقه شيء، وما فعله فقد أرادَه، فما ثمَّ فعّال لِما يُريد إلّا الله تعالى وحده، لا شريك له[(٢)].

ومع أنَّ رَبَّنا الجليل فَعَّال لِما يُريد، فلا يُريد إلّا ما تقتضيه حكمته، وعلمه، فجميع أفعالِه مقرونة وتابعة لِحِكمته الجَليلة، فلا تكون موجودة، إلّا حيث اقتضتها الحكمة، فهو سبحانه موصوفٌ بالكَمال من جِهتَيْن: من جِهة كَمال القدرة، ونُفوذ الإرادة، وأن جميعَ الكائنات قد انْقادت لِمشيئته، وإرادته. ومن جهة الحكمة، فإنه تعالى الحكيم في كلِّ ما يصدر منه من قول، وفعل: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]؛ أي: في أقواله، وأفعالِه، ولهذا فهو سبحانه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣][(٣)].

(٤٧) صفة الكمال (ذُو الفَضْل) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١)** قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

---

(١) «فتح الرحيم الملك» (٢٧)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (١٦١/١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٦١).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١٩١/١)، و«تفسير السعدي» (٣٩٠) (٩١٩)، و«فتح الرحيم» (٢٧)، و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٩٣)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين.

٢) وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] (١).

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يُكلِّمُهم الله يومَ القِيامَة، ولا ينظرُ إليهم...، ورجلٌ منعَهم فضل ماء، فيقول اللهُ يومَ القيامَة: اليومَ أمنعُكَ فَضْلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**» (٢).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الفضل:** أصله الزيادة عن الاقتصاد، وهو خلاف النقص، والنقيصة، والإفْضال: الإحسان، تقول العرب: رجل مِفضال إذا كان كثيرَ الخير، والفَواضل: الأيادي الجَميلة، أو الجَسيمة (٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف ربّنا الجليل نفسَه بالصفة الكريمة أنه ذو الفضل، الذي لا يقدر أحدٌ من العباد إحصاءَه، ولا الإحاطة بِمِقْداره.

فهو عز شأنُه ذو الفضل العظيم، والإحسان العَميم، والخير الجَزيل، الذي ليس له فيه نَظير، ولا مَثيل، ولا عديل.

فأفضالُه تدرُّ على العالمين في كلِّ آنٍ وحين، فلا يستغني عنه مَنْ في السموات والأرضين، من الإنس، والجان، والأنعام، والنبات، بل والجَمادات.

---

(١) وقال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠]. وقال جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

(٢) البخاري (٧٤٤٦). ومن دُعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إنِّي أسألُكَ من فضلِكَ ورحمتِك، فإنَّه لا يملكُهما إلّا أنتَ**» صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٣). وحديث أهلِ الدّثور وفيه: (فرجعَ الفقراءُ والمُهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخوانُنا أهل الأموال بِما فعلنا، ففعلوا بمثله، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضلُ الله يؤتيهِ مَنْ يَشاءُ**». البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

(٣) انظر: «المفردات» (٦٣٩)، و«اللسان» (٣٤٢٨/٥)، والقاموس (١٠٠١)، و«الأسنى» (٥١١/١).



«فكلّ خير نالَه عباده في دِينهم، ودُنياهم، فإنه من عنده ابتداء، وتفضُّلًا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه»[(١)]، بل بِمَحض فضله عليهم سبحانه.

فهو تعالى «صاحب الفضل العظيم كمية، والعظيم كيفية، والعظيم شُمولًا في المَكان، وشُمولًا في الزَّمان»[(٢)].

«وفضله سبحانه (العظيم) نوعان: فضل خاص، وفضل عام، فالخاص للمؤمنين، والعام لِلجميع»[(٣)]؛ أي: لكل العالمين، وهو الفضل الدنيوي الذي لا يعد ولا يحد من الآلاء، والإنعام، والمَسَرّات.

أما الفضل الخاص: فهو أكمل الفضل وأعلاه، لأنه: فضل إيماني ديني، الذي تفضَّل به سبحانه على من خصَّهم به من الأولياء، الذي يوصلهم به تعالى إلى أعلى الغايات، وهو: توفيقهم إلى القِيام بالطاعات، واجتناب المحرَّمات، والنصرة على الأعداء، الذي يقتضي السلامة من الآفات، والهلكات، في الدنيا، والعرصات، فهو فضل الله تعالى، يتفضل به على من يشاء.

---

(١) «تفسير الطبري» (١/٣٧٨).

(٢) **أمّا في كميته**: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وجعل جزاء الحسنة عشرًا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة.

وأما في كيفيته: فقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]». «أحكام من القرآن الكريم» (١/٣٧٨)، و«تفسير سورة آل عمران» (٢/٤٥٣) لابن عثيمين.

وأما فضله في المكان: هو ما عظمه سبحانه من البقاع كالمساجد الثلاثة، في مُضاعفة الأجور عن غيرها أضعافًا كثيرة.

وأما في الزَّمان: كشهر رمضان، والليالي العشر الأخيرة فيه، والعشر الأولى من ذي الحجة، وغيرها.

(٣) «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (٢/٣١٦).




(٤٨) صفة الكمال (المَنْع) الجَليلَة

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

۞ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صَلاته قال: «**لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، اللهم لا مانِعَ لِما أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدّ**»(١).

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: المنع: خلاف العَطاء، وهو الكَفّ، يقال: امتنعَ من الأمر: كَفّ عنه، والمنيع: الحماية، ومنه: مكان مَنيع، وقد منع. وفلان في منعةٍ من قومه؛ أي: في جماعة تمنعه، وتَحوطه(٢).

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: هذه الصفة الجليلة تدلّ على تصرفه سبحانه في الكون وحده في المنع، كما في العَطاء، لا شريك معه أحد من الخَلْق، فهو سبحانه المانع الذي لا مانع لِما قدر من العَطاء، كما هو يعطي من يستحقّ العَطاء، ويمنعُ مَنْ يشاء، وهو العادل في جميع ذلك، فإذا أعطى فتفضل وإصلاح، وإذا منع فحِكمة وصَلاح، فهو تعالى

---

(١) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٤٧١). وحديث جابر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ غَزا غزوةً قِبَل نجد، فأدركتهم القائلة، فجئنا النبي ﷺ وبين يدَيْه أعرابي جالِس، فقال: «**إنّ هذا اخترطَ سيفي، فقال: مَنْ يمنعُكَ مِنّي؟! فقلتُ: الله**» ثلاثًا. البخاري (٢٩١٠) (٤١٣٥). وفي لفظ: فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: «لا»، قال: فمَنْ يمنعكَ مني؟ قال ﷺ: «الله يمنعُني منكَ» مسلم (٨٤٣). وقال ﷺ «... وإذا أراد الله خلق شيء، لم يمنعه شيء» مسلم (١٤٣٨). وحديث نهي النبي ﷺ بيع الثَّمَر، وفيه: «... أرأيت إذا منعَ الله ثمرَه، بِمَ يأخذ أحدُكم مالَ أخيه» البخاري (٢١٩٨)، ومسلم (١٥٥٥).

(٢) «المفردات» (٧٧٩)، و«المصباح المنير» (٣٣٦)، و«شأن الدعاء» (٩٣).




يُعطي تفضُّلًا، ويمنع ابْتِلاءً، ولا رادّ لِما أرادَ سبحانه[١].

ومنع الله تبارك وتعالى دنيوي، وشرعي:

أمّا الدنيوي: وهو كما تقدم أنه سبحانه يمنع مَنْ يريد من خلقِه ما يُريد، كما في الحديث: «**لا مانِعَ لِما أعطيت**»؛ «أي: إنَّ مَنْ قضيت له بِقضاء من رزق أو غيره لا يمنعه أحدٌ عنه، ومعنى «**لا معطي لِما منعت**» أنه: مَنْ قضيت له بِحِرمان لا معطي له»[٢].

أمّا منعه الشرعي: أنه تعالى «هو الحافظ، والحائط، والناصر لدِينه، وأوليائه، يحوط أهل دِينه، ويحفظُهم، وينصرُهم على عدوِّهم، ولا منعة لِمَن لم يمنعه الله، ولا يمتنع مَنْ لم يكن الله له مانِعًا»[٣].

وإن من أجلِّ وأعظم منعه الشرعي أنه تعالى: منع كائنًا من كان من أن يحرفَ كتابه، أو يصد عن بَيانه، وبلاغته، إلى يوم القِيامة.

وبالجملة فإن مِنْ معاني المنع: التأييد، والإحاطة، والعزة، والكِفاية، والنصرة على الأعداء في الدنيا، ويوم العرصات، وهذا غاية المُرادات، ومنتهى الأمنيات.

فائدة: ذكر شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للحديث: «**اللهم لا مانعَ لِما أعطيت...**» أنه متضمن لِتَحقيق توحيد الربوبية، والألوهية، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبيَّنَ في هذا الحديث أصلَيْن عظيمَيْن:

---

(١) «النهاية» (٨٨٤)، والحجة في بيان المحجة (١/١٦٠)، وانظر: «جلاء الأفهام» (٤٦٠).

(٢) «سبل السلام للصنعاني» (١/١٩٧).

(٣) انظر: «اللسان» (٧/٤٢٧٦)، والحجة في بيان المحجة (١/١٦٠)، و«شأن الدعاء» (٩٣)، و«الأسنى» (١/٣٥٦).




أحدهما: توحيد الربوبية، وهو: أن لا معطي لِما منع الله، ولا مانع لِما أعطاه، ولا يتوكل إلّا عليه، ولا يسأل إلّا هو.

الثاني: توحيد الألوهية، وهو: بَيان ما ينفع، وما لا ينفع، وأنه ليس كلّ من أعطي مالًا، أو دنيا، أو رِئاسة، كان ذلك نافِعًا له عندَ الله، منجيًا له من عَذابه، فإنَّ الله تعالى يعطي الدنيا من يحب، ومَنْ لا يحب، ولا يُعطي الإيمانَ إلّا مَنْ يحبّ»[(١)].

(٤٩) صفة الكمال (الصُّنْع) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يصنع كلَّ صانع، وصَنْعَتَه**»[(٢)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الصنع**: إجادَة الفِعْل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعًا، يقال: صنع يصنعُ صُنْعًا، وما أحسن صُنع الله عنده، وصَنيعه، وقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صنعته، وخلقه[(٣)].

والصنع: الاختراع، والتركيب معًا[(٤)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتعالى هو الصانع لِكلِّ شيء على

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٤٨/٢٢)، وانظر كلام ابن أبي العز في: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٦٨).

(٢) وفي رواية: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ صنعَ كلَّ صانع، وصنعته» رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٢، ١٠٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٧) (١٨١/٤)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (٣٥٧)، وقال ﷺ: «لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إنْ شئت، اللهم ارحمْني إنْ شئت، لِيَعزم في الدعاء، فإنَّ الله صانع ما شاء، لا مكره له» البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) واللفظ له.

(٣) «عمدة الحفاظ» (٣٥٥/٢)، و«كتاب العين» (٤١٧/٢).

(٤) الأسماء والصفات (١٥٨/١).

الإطلاق، فـ«كل مصنوعٍ من صنعه»[1]، وإتقانه، فهو تعالى الذي صنع وخلق، على غير مثال سبق.

فربُّنا ﷻ هو «المبدع للكون، وهو الذي صنع الكون بِذاته، وأبدعه»[2] من غير مِثال احتذاه، فأخرجه من العدم إلى الوجود، بعد أن لم يكن موجود.

ولهذا أخبر عن نفسه بقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: «إنَّ الله تعالى متقن لكلِّ شيء من الأفعال والأحكام؛ أي: متقن لكلِّ ما صنع، وشرع، ومن جملة إتقانِه سبحانه أنه: حينما كانت الأرض محتاجة إلى هذه الجبال صارت الجبال راسية، ورواس ترسي بها الأرض، وهي أيضًا في نفسها ثابتة، ويوم القيامَة تزول الحاجة إليها، بل تقتضي الضرورة زوالَها، فتُزال هذه الجبال العَظيمة، ولِهذا تعلم الفائدة والحِكمة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، فصار وجود الجبال (في الدنيا) إتقانًا، وزوالها يومَ القيامَة إتقانًا أيضًا»[3].

وأما عن شرعه ودينه، فهو غاية في الإتقان، ونعمة منه وامتنان، فقد أبدعه وأبرمه وأحكمه، بحيث لا يدخل فيه زلل، ولا تخالطه العلل، ولا يظهر فيه عيب أو خلل، فلا يستطيع أن يقدح فيه طرف أنملة أحد من الأنام، فقد جعله سبحانه صالحًا لكلِّ حالٍ، وآن، ومكان، مهما تتابعت السنين والأزمان.

---

(١) «الأسنى» (٤٢١).

(٢) من كلام ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكنز الثمين» (١٧٣) بواسطة صفات الله الواردة لعلوي السقاف (٢٢٨).

(٣) «تفسير سورة النمل» لابن عثيمين (٦/٢٦٨ ـ ٢٧٤).




(٥٠) صفة الكمال (المُسْتَعَان) الجَليلَة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

٢) وقال سبحانه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** حديث ابن عباس ب أنَّ رسول الله ﷺ كلَّمه كلمات: «... **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[1].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **العون:** الظَّهير على الأمر. والمَعونة: الإعانة. تقول: أعنتُه إعانة ومعونة. والاستعانة: طلب العون. وقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: ساعدوني[2].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** يوصَف رَبُّنا الجَليل بصفة الاستعانة الكَمالية، فهو تعالى المُعين لكل العالمين، فلا يستغني عنه أحدٌ من الخلق أجمعين، في جَميع أمورهم المَعاشية، والشرعية، في كل وقت وحين.

ولِهذا كان الأنبياء والأولياء يلجأون إلى الله تعالى في طلب المدد والمعونة منه تعالى، في جميع أحوالهم الظاهرية والباطنية، كما حكى

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٦٦٩) (٢٧٦٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٤٠٩/٤)، والألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥١٦). وقال رسول الله ﷺ: «**والله في عَوْنِ العبد ما كانَ العبدُ في عَوْنِ أخيه**» مسلم (٢٦٩٩). الدعاء الذي علَّمَه النبي ﷺ لِمُعاذ وأوصاه أن يقولَه دبر كل صلاة: «**اللهم أعِنِّي على ذِكْرِك، وشكركَ، وحُسْنِ عِبادتِك**» «صحيح أبي داود» (١٥٢٢). ومن دُعائه ﷺ: «**رَبِّ أعني ولا تُعِنْ عَلَيَّ...**» «صحيح أبي داود» (١٥١٠)، و«صحيح الترمذي» (٣٦٦١).

(٢) «عمدة الحفاظ» (١٤٤/٣)، و«كتاب العين» (٢٥٨/٣).




سبحانه عن يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وأمر نبينا محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] «أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون»(١).

وأُمِرنا أن نسأل الله تعالى في كلِّ صلاة العون منه تعالى على القِيام بِواجباته، وحقوقه علينا سبحانه، لأنه «لا يُعين على العبادة الإعانة المطلقة إلّا هو سبحانه وتعالى»(٢)، لكنَّها محدودة، منوطة بالعوين، والظهير، والمساعد، والمُناصر، فلا تكون إلّا كذلك، أما المَعونة الكاملة المُطلَقة، فلا تكون إلّا من الله تعالى وحده، لأنه سبحانه «بخلاف ذلك، (فهو تعالى) غنيٌّ عن الظَّهير، والمُعين، والشريك، والوَزير، بل كل إعانة وعون فمنه، وبه سبحانه، لا إله إلّا هو»(٣) جل جلاله، وتعالى في عَلْيائه.

(٥١) صفة الكمال (المُسَخِّر) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الحج: ٦٥](٤).

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: حديث رؤية الرَّبّ جل جلاله، ومُخاطبة الرَّبّ للعبد:

---

(١) «تفسير السعدي» (٥٣٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/١١٣).

(٣) «الأسنى» (١/٥٤٥).

(٤) وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]. وقال جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].




«..فيلقى العبد فيقول: أي فُلْ! أَلَمْ أكرمكَ، وأسودك، وأزوجُكَ، وأسَخِّر لك الخيلَ والإبِلَ...»[1].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** التسخير: التهيئة والتَّذْليل، وهو سياقه إلى الغرض المختص به قهرًا، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد: ٢]؛ أي: قهرهما.

فالمُسَخِّر هو المُقيِّض للفعل، والسُّخريُّ: هو الذي يقهر فيسخِّر بإرادته، قال تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢][2].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف ربّنا العظيم نفسَه بصفة التسخير، وقد جاءت هذه الصفة الكريمة في سِياق الامْتِنان، والتذكير بآلاء، وإنعام الله تعالى المتواصل على بني آدم في تهيئة وتذليل كل من في السموات والأرض له، وتسخيره سبحانه نوعان:

الأول: التسخير العام، وهو لِجَميع بني آدم من الإنس والجان، وهو نوعان كذلك: **الأول**: تسخير الآيات الكونية العلوية له، كالشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الرعد: ٢]؛ أي: «لِمَصالح العباد، ومَصالح مَواشيهم، وثِمارهم»[3]. وسخَّر النجوم كذلك: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فسخرها سبحانه لِما فيه من المَنافع في السير والسفر واهتداء المسافر بها إلى الوجهات، وكذلك لِما فيها من الزِّينة، وجمال المنظر.

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٦٨)، ومعنى فل: يا فلان.

(٢) «المفردات» (٤٠٢)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٨١).

(٣) «تفسير السعدي» (٤١٢).




وسخر السحاب: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الذي به حياة الأبدان للإنس، والجان، والحيوان... وغير ذلك من الآيات.

الثاني: تسخير الآيات الأرضية له، كتسخيره البحار، والأنهار، والفلك لتجري فيهما، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]؛ أي: «فهو الذي يسَّرَ لكم صنعتها (أي: السفن)، وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لِتَحملكم، وتحمل تِجاراتكم، وأمتعتكم إلى بلدٍ تقصدونه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ لِتَسقي حروثكم، وأشجاركم، وتشربوا منها»[1] صالحًا نافعًا لأبدانكم، وحرثكم، ودوابكم.

ويستخرج منها لحمًا طَرِيًّا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وجواهر نفيسة حِلْيَة وزينة: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

«وسخر لنا سبحانه وسائل النقل: كالجِمال، والخيول، والحمير قديمًا، والسيارات، والطائرات حَديثًا»[2]. وغيرها من التسخير الذي لا يُعدّ ولا يُحصى.

النوع الثاني: التسخير الخاص:

وهو ما سخّره سبحانه لبعض أنبيائه عليهم السلام، مثل: تسخيره سبحانه لِداود عليه السلام: كتسخير الجِبال، والطير للتسبيح، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]،

(١) «تفسير السعدي» (٤٢٦).

(٢) أسماء الله الحسنى د.عمر الأشقر (٢٥٩).

وقال عز شأنه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

وسخر لسليمان الرِّيحَ تجري بأمره حيث شاء، قال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، «وتسخير الشياطين له، يبنون (له) ما يُريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدواء والحلي»[1] قال جلَّ جلاله: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

(٥٢) صفة الكمال (النَّافع) الجَليلَة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: ١)** عن مصعب بن سعد عن أبيه أنَّ أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: عَلِّمْني دُعاءً لعلَّ الله أن ينفعَني به! قال: «**قل: اللهم لكَ الحمدُ كله، وإليكَ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّه**»[2].

٢) كان من دُعاء النبي ﷺ: «**اللهم انْفَعني بِما علَّمْتَني، وعلِّمْني ما ينفعُني، وزِدْني عِلْمًا...**»[3].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: النفع:** الخير، وهو ضد الضر، وهو ما يُستعار به في الوصول إلى الخَيْرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير[4].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله سبحانه هو النافع، فلا نفع إلّا منه، وبه سبحانه، فهو النافع على الإطلاق، ونفعُه عزَّ شأنُه نوعان: دنيوي، وأخروي:

أمّا الدُّنيوي فقسمان:

القسم الأول: منافع معاشية: فإنَّ الله تعالى هو الذي يوصل النفع

(١) «تفسير السعدي» (٧١٣).

(٢) حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٢٤٧) (١٥٧٦).

(٣) «صحيح الترمذي» (٣٥٩٩).

(٤) «المفردات» (٨١٩)، و«المصباح المنير» (٣٥٧).




إلى مَنْ يَشاء من خلقه، «فكلّ نفع يدر على العبد في الدنيا فهو من الله تعالى، وكل عبدٍ صدر منه منفعة فهو مسخر من الله تعالى بها»[1] وأنواع، وألوان، وبسائط نفعه، لا تعد، ولا تُحصى، فكل ما تتقلب فيه الخَلائق من النِّعم، والصِّحَة، والسَّعادة، والهناء، والجاه، والملبس، والمسكن، والمركب، والزَّوْج، والذُّرِّيَّة، كلها من أفراد منافعِه التي لا تستقصى، وقد جعل الله سبحانه بِحكمته التامَّة أسبابًا منوطة بها، وسبلاً لتحصيلها «فمَنْ سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركَها، أو ترك بعضَها، أو فوت كمالها، أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب»[2] منها.

القسم الثاني: منافع شرعِيَّة:

وهي نفع الأرواح، وهو ما يخصه سبحانه من كُتبت لهم السعادَة الأبدية، وهي المنفعة الحَقيقية، الدائمة، الأبدية، الموصلة إلى جَنّاته العلية، بِما يسر وسهل لهم طَرائقها، والوصول إليها من الأعمال الظاهرية، والباطنية، السرية، والعلنية، العلمية، والعَمَلية، وهذه هي «المنفعة الحَقيقية التي تنفعُك في الأخرى، وترفعُك إلى الذُّروة العليا، فحقك أن تحدق إليها عين قلبِك في الدنيا، حتي يُتيحها لك الله تعالى»[3].

والنوع الثاني: النفع الأخروي:

وهو النفع الخالص، الصافي من كلِّ الشوائب، في دخول بلاد الأفراح، الخالية من النَّصَب، والأتراح.

---

(١) «الأسنى» (١/٣٥٤).

(٢) «توضيح الكافية» (١٣١). وهذه المنافع يتقلَّب بها كلُّ مَنْ في الأرض والسموات الطوابق، من الإنسان، والحيوان، والنَّبات، والجانّ.

(٣) «الأسنى» (١/٣٥٤).




(٥٣) صفة الكمال (المُؤَلِّف) الجَلِيلَة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣](١).

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: دعاء النبي ﷺ: «**اللهم ألف بين قُلوبِنا، وأصلحْ ذاتَ بَيْنِنا...**»(٢).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **ألف: الأُلفة**: اجتِماع مع التِئام، يقال: أَلَّفت بينهم، ويقال: أَلِف المكان يألفه ألفًا إذا أحبَّه، ولم يطب نفسًا بفراغه، وألفت الأشياء، وألف بينها: جمعت بعضَها إلى بعض. والتأليف: ما جُمع من أجزاء مختلفة، ورُتب ترتيبًا قدم فيه ما حقه أن يقدم، وأخّر فيه ما حقه أن يؤخر(٣).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤلِّف بين النفوس المُتَنافِرَة، والقلوب المُتَباغضة، والأجساد المتباعدة، ولِهذا كانت هذه الصفة من الصِّفات المحبوبة للأولياء، لأنَّها جاءت في سِياق الامتنان والتذكير بالإخاء، والمودَّة، والمحبَّة، وهي أعظم النِّعَم والآلاء.

فهو تعالى المؤلِّف الذي يؤلِّف «بين المتفرِّقات، والمتبايِنات، والمتماثِلات، والمتضادَّات»(٤).

---

(١) وقال سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

(٢) أخرجه أبو داود (٩٦٩)، والحاكم واللفظ له (١/٢٦٥) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٦٣٠).

(٣) انظر: «المفردات» (٨١)، و«عمدة الحفاظ» (١/١٠٠)، و«الصحاح» (٥١).

(٤) «الأسنى» (١/٤٨٠).




وتأليفه ﷻ معاشي، وديني:

أمّا المعاشي: فهو نوعان: معنوي، وحسي، فالأول: المعنوي الذي يشتركُ فيه كلُّ الخليقة، بِما يؤلفه سبحانه تعالى من المودَّة، والمحبة، بين الزوجَيْن، والأولاد، والأقارب، والأصحاب.

والثاني: التأليف الحِسِّي، كما ذكره تعالى في تذكير قريش بنعم الأمن، والأمان، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ الآية.

والتأليف الديني الشرعي: وهو: ما يؤلفه الله ﷻ بين عِباده الصالحين، من المودَّة، والمحبة، والألفة في الدِّين، كما ذكر سبحانه مُمْتَنًّا على الأوس، والخزرج بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، «فقد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة، وضَغائن، وفِتن، ومِحَن، فلما جاء الإسلام، (ألف الله تعالى بينهم)، فاجتمعوا عليه، وتألفت قلوبهم على الإيمان، حتى كانوا كالشخص الواحد»(١).

بل أخبر سبحانه أن هذه المودَّة وهذه الألفة فيما بينهم وهذا الاجتماع على طاعة الله ورسوله، ومناصرته، ومؤازرته، لم يكن من عمل أحد، ولا بقوة وإرادة وفعل أحدٍ غير الله تعالى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٣].

---

(١) «تفسر ابن كثير» (١/٥٣٤)، و«تفسير السعدي» (١٤٢).

أي: فلو أنفقت ما في الأرض جميعًا من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة، ما استطعت أن تؤلف بينهم، لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى، ومن عزَّته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة[(١)].

ولولا حكمته التي يتقن بها ما أراد، بحيث لا يمكن لأحدٍ أن يغير شيئًا منه لما تألفوا[(٢)].

(٥٤) صفة الكمال (الاطِّلَاع) الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: حديث مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: (أما إنّا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أرواحُهم في جَوف طير خضر، لها قَناديل معلَّقة بالعرش، تسرح من الجَنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القَناديل، فاطلع إليهم ربّهم إطلاعه...**»)[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الاطلاع**: هو الظهور، والبُروز، والاستشراف من مكان مرتفع، وكل ما بَدا لك من علوٍّ فقد اطلعَ عليك[(٤)].

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (٣٢٥).

(٢) «نظم الدرر» (٣/٢٣٨).

(٣) مسلم (١٨٨٧). وقال ﷺ: «**يطلعُ الله إلى عبادِه ليلةَ النِّصف من شعبان، فيغفرُ للمؤمنين، ويُمهلُ الكافرين، ويدعُ أهلَ الحِقدِ بِحقدهم حتى يدعوه**» صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/٥٤) (٢٧٧١). وقال ﷺ: «**يجمعُ الله النّاسَ يومَ القِيامَة في صَعيدٍ واحد، ثم يطلِعُ عليهم رَبُّ العالَمين...**» أخرجه أحمد (٨٨١٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط (١٤/٤١٥)، والألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٥٧). وقال ﷺ لِعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**ما يُدريكَ لعلَّ الله اطلعَ على أهلِ بدر فقال: اعملُوا ما شئتم**» البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٤) «مقاييس اللغة» (٥٣٥)، و«القاموس المحيط» (٨٠٨)، و«المصباح المنير» (٢١٧).




۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الاطلاع من أوصاف الله تعالى الفعليَّة العُلا، والتي تقوم به متى شاءَ، واطلاعه تعالى كما يَليق به يكون في الدنيا، والآخرة:

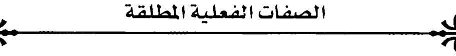
أما في الدنيا: تقدم ذِكْر الأدلة السنية الشريفة التي أخبر بها النبي ﷺ: اطلاعه لأهل بدر، واطلاعه في ليلة النصف من شعبان، وكذلك للشهداء في الجنة، وهذه الصفة الكَريمة تتضمن البشارة: بالإكرام، والإنعام، والغُفْران.

وأمّا في الآخرة: في عرصاتها، حينَما يطلع سبحانه على جميع خلقِه، ولهذا ذكر ربوبيته للعالمين بقوله: «**ثم يطلع عليهم رَبُّ العالمين**»، فاطلاعه سبحانه هنالك على ضربين:

الأول: عام لكل أهل الموقف: كما في قوله: «**ثم يطلعُ عليهم رَبّ العالمين، فيقول: ألا ليتَّبع كلّ أناس ما كانوا يعبدون**».

والثاني: اطلاع خاص للمؤمنين، كما في قوله ﷺ: «**فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذُ بالله منك، الله ربّنا، وهذا مكانُنا، حتى نرى رَبّنا، وهو يأمرُهم، ويثبتهم...، ثم يَتَوارى ـ أي: يستتر عنهم ـ، ثم يطلع فيعرفهم نفسَه ثم يقول: أنا ربُّكم، فاتبعوني، فيقوم المسلمون، ويوضعُ الصِّراط...**».

يقول ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما استعاذوا منه أولًا، لأنهم اعتقدوا أن ذلك الكلام استدراج، لأنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ومن الفَحْشاء اتباعُ الباطل وأهله، ولِهذا وقع في الصَّحيح: «**فيأتيهم الله في صُوَرٍ**»؛ أي: بصورة لا يَعْرِفونها، وهي الأمر باتباع أهلِ الباطل، فلِذلك يقولون: إذا



جاء رَبُّنا عرفناه؛ أي: إذا جاءنا بِما عهدناه منه من قول الحقِّ»[1].

وهذا اطلاع منه لأوليائه مزية خاصَّة بهم، خلاف غيرهم، كما في قوله: «**فيعرفهم نفسه**»؛ «أي: يلقي في قُلوبهم علمًا قطعيًّا يعرفون به أنه رَبّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[2].

وكذلك في أمره لهم بقوله: «**أنا رَبُّكم فاتبعوني، فيقومُ المسلمون**».

واطلاعه سبحانه من الأدلَّة الصريحة الدالَّة على علوه سبحانه فوق جَميعِ خلقه، سواء كان هذا الاطلاع في الدنيا أو في الأخرى، لأن الاطلاع كما تقدم لا يكونُ إلّا من علوّ، والله متصفٌ به على الدَّوام، لا ينفك عنه بِحال.

(٥٥) صفة الكمال (المُقَلِّب) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: ١) قال عز شأنه: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

٢) وقال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «**يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[3].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: المقلِّب: التقليب: هو التصريف والتحويل من

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/٤٢٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) وفي لفظ: «... أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما» البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

وجهة إلى وجهة أخرى، ويكون في الذوات، والأعيان، ويكون في المحسوسات، والمعنويات، وفي الظواهر والبواطن.

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: من أفعال الله تعالى التي ليس لها عد، ولا منتهى، صفة التقليب، فهو تعالى المقلب لِمَن شاء.

وقد جاء التقليب في فِعله إلى أربعة أقسام:

الأول: تقليب الجَنَان. **الثاني**: تقليب العينين.

الثالث: تقليب الأبدان. **الرابع**: تقليب الأزمان.

أما الأول: تقليب الجنان، فقد كان ﷺ يتوسل إليه بها في تثبيت قلبِه، الذي هو رأس الأركان، وموضع نظر الرحمن(١).

والتقليب الثاني: تقليب العينين(٢).

والتقليب الثالث: تقليب الأبدان، كما حكى تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]، «وهذا من حِفظِه لأبدانهم، لأن الأرض من طَبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله تعالى أنْ قلَّبَهم على جُنوبهم يَمينًا وشِمالًا، والله تعالى قادرٌ على حِفظِهم من الأرض، من غير تقليبٍ، لكنه تعالى حَكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بِمُسَبباتها»(٣).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/٥٧١)، و«نظم الدرر» (٥/٢٧٣).
كما في الحديث: «يا مُقَلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دِينِك»، بل كان أكثر دعواته، كما أخبرت بذلك أمُّ المؤمنين أم سلمة ﵂، وقد بيَّن ﷺ سببَ ذلك بقوله: «يا أمَّ سلمة! إنه ليس آدمي إلّا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمَنْ شاءَ أقامَ، ومَنْ شاء أزاغَ». «صحيح الترمذي» (٣٥٢٢).

(٢) قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(٣) «تفسير السعدي» (٤٧٢).




والتقليب الرابع: تقليب الزمان: فهو تعالى يقلب الليلَ والنَّهار[1]، فيأتي هذا عقب هذا، ويطول كل واحد منهما في زمن، ويقصر الآخر في زمن آخر، فينشأ عن ذلك التقليب، من الحر والبرد، والنمو والينوع[2]، وغيرها من الأحوال، وما يترتب على ذلك من المَنافع الجلال للأنام.

(٥٦) صفة الكمال (بَدِيعُ السَّمَواتِ وَالأَرْض) الجَليلَة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، [الأنعام: ١٠١].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللهم إنِّي أسألُك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المَنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجَلال والإكرام. فقال النبي ﷺ: «**لقد دَعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطى**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** البديع: المبدع، ويقال: أبدعت الشيءَ إذا جئت به فردًا لم يُشاركك فيه غيرك. وابتدعه: أنشأه وبدأه، قولًا كان، أو فعلًا.

والبدع: الأول من كل شيء، فالابتداع هو: اختراع الشيء لا على مِثال سابق[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف رَبّنا نفسه بأنه بديع السموات والأرض؛

---

(١) كما في الآية (٤٤) في سورة النور، وكذلك في الحديث القدسي الذي تقدم ذكرهما.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/٥٧١)، و«نظم الدرر» (٥/٢٧٣).

(٣) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٤٩٥)، وصحيح ابن ماجة (٣٨٥٨) وغيرهما.

(٤) انظر: «كتاب العين» (١/١٢١)، و«اللسان» (١/٢٢٩)، و«المفردات» (٧٧٧).



أي: أنه تعالى هو المنشئ، والمحدث لها بعد أنْ لم تكن، فهو سبحانه أوجدَهما من غير أصل، ولا مِثال، ومن غير عَوين، ولا نَصير، ولا مساعد على أمر يكون، فأبدعَهما وما فيهما، بغاية الحسن من الخلق البَديع، والنِّظام العَجيب، المحكم المتقن[1]، الذي لا يَعتريه خلل، ولا زَلل، «فأظهر عَجائب صَنعته، وغَرائب حِكمتِه»[2].

(٥٧) صفة الكمال (المُطهِّر) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال عز شأنُه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦][3]

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** كان من دُعاء النبي ﷺ: **«اللهم طَهِّرْني من الذُّنوب والخَطايا، اللهم نَقِّني منها كما يُنَقَّى الثوب الأبيضُ من الدَّنَس، اللهم طَهِّرْني بالثَّلج، والبَرَد، والماء البارد»**[4].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الطهر:** خِلاف الدَّنس، ويدل على النَّقاء.

والتطهير: التنزُّه والكَفُّ عن الذَّمّ، والإثم، وكل قَبيح.

---

(١) انظر: «شأن الدعاء» (٩٦)، واشتقاق أسماء الله (٧٣)، و«تفسر ابن كثير» (٣/٢٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١/٥٨٠)، و«تفسير السعدي» (٥/٤٩٠).

(٢) تفسير الأسماء الحسنى للرازي (٣٣٥).

(٣) وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١]. وقال سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(٤) مسلم (٤٧٦)، و«صحيح النسائي» (٤٠٢). وفي رواية: «اللهم طَهِّرْني من الذُّنوب كما يُطَهَّر الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس»«صحيح النسائي» (٤٠٣)، وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا طهره قبل موته» قالوا: وما طهور العبد؟ قال: «عملٌ صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه» صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦).

والطهارة ضَرْبان: طهارة بَدَن، وطهارة نفس، وحمل عليهما عامَّة الآيات في الكتاب. يقال: طهرته فطهر، وأطهر فهو طاهر، ومتطهر[1].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله تبارك وتعالى هو «المطهر مَنْ شاء من عَبيده، بِما منحهم من توفيقِه، ورزقهم من طاعته، وتوحيدِه، فكل طهارة منه فضل، وغيرها منه عدل»[2].

وتطهيره سبحانه لعباده نوعان: طهارة حِسِّيَّة ظاهرية، وطهارة معنوية باطنية.

وقد جمع الله تعالى بينَهما للنبي ﷺ وصحبه في بدر، كما في قوله سبحانه: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

فقوله: «﴿لِّيُطَهِّرَكُم﴾؛ أي: من حدث أصغر، أو أكبر، وهو تطهير الظاهر. ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: من وسوسته أو خاطر سيء، وهو تطهير الباطِن، كما قال في حَقِّ أهل الجنة: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، فهذا زين الظاهر، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]؛ أي: مطهرًا لِما كان من غِلٍّ، أو حسد، أو تباغُض، وهو زينة الباطنِ وطهارته. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: بالصبر والإقدام على مُجالَدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ وهو شجاعة الظاهر، والله أعلم»[3].

---

(١) «المفردات» (٥٢٥)، و«كتاب العين» (٣/٦٢)، و«معجم مقاييس اللغة» (٣/٦٢).

(٢) «الأسنى» (٢٨٧).

(٣) «تفسر ابن كثير» (٢/٤٠١).




ومن صور تطهيره سبحانه لعبده، أنه يوفقه إلى عمل صالح قبل موته ثم يقبضه عليه طاهرًا مطهرًا[1].

(٥٨ - ٥٩) صفتا الكمال (المُعِز) (المُذِل) الجَليلَتان

❁ **القُرآنُ الكَريمُ:** قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال ﷺ: **«لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنَّهار، ولا يتركُ الله بيتَ مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلّا أدخلَه الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذَليل، عِزًّا يُعز الله به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفرَ»**[2].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: المعزّ:** العِزّة هي: الشدَّة، والقوة، والغَلَبَة، يقال: أعززته وعززته إذا قويته، وفي المَثَل: (مَنْ عَزَّ بَزّ)؛ أي: من غلبَ سلب. والعزة: الرِّفعة، والامتناع. ويقال: أعزَّه الله: قواهُ بعد ذِلَّة[3].

المذل: الذل: الخضوع، والاستكانة، واللِّين، وهو ضِدّ العز، وهو ما كان عن قهر، يقال: ذَلَّ يذلُّ ذُلًّا[4].

---

(١) كما في الحديث الذي تقدم في الحاشية رقم (٢) في الصفحة السابقة.

(٢) وفي رواية: «لا يَبقى على ظهرِ الأرضِ بيتُ مَدرٍ، ولا وبرٍ، إلّا أدخلَه الله كلمةَ الإسلام، بعزِّ عزيزٍ، أو ذلِّ ذَليلٍ، إما يعزهم الله عَزَّوَجَلَّ فيجعلهم من أهلِها، أو يُذِلُّهم فيَدينون لها». وكان تميم الداري يقول: قد عرفتُ ذلك في أهلِ بيتي، لقد أصابَ مَنْ أسلم منهم الخير، والشرف، والعِزّ، ولقد أصاب من كان منهم كافِرًا الذُّلّ، والصَّغار، والجزية». أخرجه أحمد في المسند (١٦٨٩٤) (٢٣٧٠٤)، وصحح إسنادهما محققو المسند (٢١١/١٣) (١٣٥/١٧).

(٣) «اللسان» (٢٩٢٤/٥)، و«معجم مقاييس اللغة» (٣٩/٤).

(٤) «المفردات» (٣٣٠)، و«اللسان» (١٥١٣/٣).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتعالى هو المعزّ المذلّ على الإطلاق في الدنيا ويوم المعاد:

(١) «الذي بيده العزة، والإذلال، الحسي، والمعنوي، (الدنيوي والأخروي)، مَنْ شاء أذلَّه، ومَنْ شاء أعزَّه»[١].

(٢) فهو تعالى المعز: الميسر أسباب المنعة. والمُذِلّ: هو المعرض للهوان، والضعة[٢].

(٣) الذي يُعِزّ أنبياءه، ورسله، وأتباعَهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

(٤) وأعزَّ أولياءَه، وأظهرَهم على أعدائه في الدنيا، ودار الكَرامة في العُقْبى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

(٥) وأذلَّ أهلَ الظلم والطغيان في الدنيا: بأن ضربَهم بالرِّقّ والجزية، والصَّغار، والهَوان، وسوء المآل في الأخرى.

(٦) الذي أعزَّ أولياءه بِمَدْحِهم، ورفع شأنَهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وأذلَّ أعداءهم بِذَمِّهم: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

(٧) وأعزَّ أولياءه بِطاعته، وعبوديته، وأذَلَّ العاصين بِخذلانِه حتى واقعوا المعصيةَ[٣].

(٨) فإن المطيع لله عزيز، وإن كان فَقيرًا ليس له أعوان، والعاصي

---

(١) انظر: «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (١/١٦١).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢١١).

(٣) انظر: «شأن الدعاء» (٥٨)، و«المنهاج» (١/٢٠٨)، و«الأسنى» (١/٣٧٠)، و«شرح النونية» للهراس (١/١١٢).



ذَليل، وإنْ ظهر بِمَظاهر العِزّ، فقلبه حشوه الذُّلّ، وإنْ لم يشعر به، لانغِماسِه في الشهوات(١).

(٦٠) صفة الكمال (البَاعِث) الجَليلة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠](٢).

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أرادَ أن يَنام وضعَ يدَه تحت خَدِّه ثم قال: «**اللهم قِني عَذابَك يوم تبعثُ عِبادَكَ**»(٣).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: الباعث: من البعث، وهو الإرسال، وأصله: تحريك ساكن، وإثارة كامن، يقال منه: بعثت الشيء من مَكانه إذا أثرته، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فبعثت البعير: أثرته وسيرته، ومنه: بَعَثَ الموتى: نشرهم وسيرهم إلى يوم القِيامة، وبعثتُ الرجل من نومه فانبعثَ؛ أي: نبهته فانتبه. وتقول: بعثت فلانًا في حاجة إذا أرسلته، ومنه قوله تعالى مُخْبِرًا عن الكفار: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١](٤).

---

(١) «الحق الواضح» (٨٩).

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وقال عز شأنُه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]. وقال جل ثَناؤه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وقال جل جلاله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

(٣) صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٣٩٨). وعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل...» البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٤) «المفردات» (١٣٢ ـ ١٣٣)، و«اللسان» (١/٣٠٧ ـ ٣٠٨)، و«الصحاح» (٩٧)، و«الأسنى» (١/٤٧٥ ـ ٤٧٦).

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: يوصف رَبّنا تبارك وتعالى بأنَّه الباعث على الإطلاق: الذي يبعث من يشاء، متى شاء، وكيف شاء، وبِما شاء، وهذا البعث بكل أفراده وأنواعه مقرون بحِكمته العليَّة، فهو سبحانه لا يفعل إلّا عن حكمة، ومصلحة، ومنفعة.

وهذه الصفة العلية لها معان عديدة في الدنيا، وفي الدار الأخروية، فهو «يختص ببعث الأرواح، والأجساد، والرسل، والخواطر إلى غير ذلك»[1].

فمن معانيه في الدنيا:

١) «أنه تعالى باعث الرسل إلى الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

أ) فهو الذي حرك الرسل لِدُعاء الخلق، وأظهرَهم.

ب) وهو الذي حرَّكَ الرسلَ لِدُعاء عبادِه إلى الطاعة.

جـ) وهو الذي بعثَ عباداً له على بني إسرائيل.

٢) وهو الذي يبعث الكسير، وينعشه.

٣) إنه تعالى يبعث عبادَه عند العجز بالمَعونة والإغاثة، وعند الذنب بِقَبول التوبة»[2].

وفي الآخرة: «هو الذي يبعث مَنْ في القُبور أحياءً يوم البعث، والنُّشور، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

١) فهو سبحانه يبعث الخلق كلهم إنسهم وجِنَّهم، (وحتى البَهائم)،

---

(١) «الأسنى» (٤٧٦/١).

(٢) «الأسنى» (٤٧٦/١)، و«شرح الأسماء الحسنى» للرازي (٢٧٦).




كما بدأهم لِيوم لا شكَّ فيه، فهو يبعثهم من المَمات، ويبعثهم للحِساب؛ أي: يُحييهم خلقًا جَديدًا بعد أنْ كانوا عظامًا، ورُفاتًا، وتُرابًا ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

٢) وهو الذي يبعثُ عبادَه عند السقطة، وينعشهم بعد الصرعة»[١].

(٦١) صفة الكمال (الجَعْل) الجليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧][٢].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**جعل اللهُ الحسنةَ بعشرِ أمْثالِها، الشهر بعشر أشهرٍ، وصِيام ستة أيام بعد الشَّهْر تَمام السَّنة**»[٣].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **جعل**: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمّ من فَعَل، وصنع، وسائر أخواتها.

ويأتي لِمَعان:

أحدها: الخلق والإحداث، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فيتعدى لواحد.

والثاني: التصيير، وهو على ضربَيْن: الأول تصيير بالفعل، نحو:

---

(١) «شأن الدعاء» (٧٥)، وتفسير أسماء الله الحسنى (٥٣)، والحجة في بَيان المحجة (١/١٥٣)، والأسماء والصفات (١/٣٠٢).

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢]. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

(٣) صححه الألباني في: «صحيح الجامع» (٣٠٩٤)، وفي الإرواء (٩٥٠). وقال رسول الله ﷺ: «**جعلَ الله عَذابَ هذه الأمَّة في دُنْياها**». «صحيح الجامع» (٣٠٩٦)، و«الصحيحة» (٩٥٩). وقال ﷺ: «**جعلَ الله الرحمةَ مائةَ جزء، فأمسكَ عندَه تسعةً وتِسعين جُزْءًا، وأنزلَ في الأرضِ جُزءًا واحِدًا...**». «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٤).




جعلتُ الطينَ خزفًا. والثاني: تصيير بالقول، نحو: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

والثالث: التشريع، كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ..﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما شرع.

وتصل المَعاني اللغوية فيه إلى سبعة معانٍ[1].

الجعل المُضاف إلى الله تعالى على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى القول. **والثاني**: بمعنى الخلق. **والثالث**: التصيير حقيقة، أو حكمًا[2].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف رَبّنا ﷻ بأنه هو: الجاعل، وهو من الأفعال المتعدية والتي تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لحكمته، وإرادته، وقدرته سبحانه.

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ بالجعل ينقسم في حَقِّه إلى قسمَيْن:

الأول: جعل شرعي. والثاني: جعل كوني قدري.

الجعل الشرعي: وهو أكثر ما في القرآن، من أمثلته قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

وقوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما جعلهم شرعًا، وإنْ كان قد جعلهم قدرًا، فإنه

---

(١) «عمدة الحفاظ» (١/٣٢٨)، و«المفردات» (١٩٦ - ١٩٧).

(٢) انظر: الأشباه والنظائر (١١٠). وذهب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الجعل إذا أطلق على الله تعالى بمعنيين: أحدهما: الإيجاد والخلق، والثاني: التصيير. انظر: شفاء الغليل (١/٣٩٧).




تعالى قد جعلَ البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام ـ موجودة[1].

والثاني: الجعل الكوني القدري: كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ٩ ـ ١٠]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

والفرق بين الجعل الشرعي والجعل القدري، كالفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فالجعلُ الشرعي محبوب إلى الله تعالى، وقد يقعُ من العِباد وقد لا يقع، والجعل الكوني لا يتعلق بِما يُحبه فقط، بل يكون فيما يحبه، وفيما لا يُحبه، وهو واقع ولا بد[2].

(٦٢ ـ ٦٣) صفتا الكمال (المُحْيي) و(المُميت) الجَليلتان

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال جل ثناؤه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الجاثية: ٢٦][3]

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خَدِّه ثم يقول: «**اللهم باسمِكَ أموتُ وأحيا**»، وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدَما أماتَنا وإليه النُّشور**»[4].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الحياة**: خِلاف الموت، ويسمى المطر حيًّا،

---

(١) وكذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].
وكقوله سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣].

(٢) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (١/١٢٨، ١٥٧، ٢٨٣).

(٣) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

(٤) البخاري (٦٣١٢).

لأن به حياة الأرض[1].

والموت: خلاف الحياة أيضًا. والموتان: الأرض لم تحي بعد بزرع ولا إصلاح، وكذلك الموات[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله ﷻ هو المحيي المميت: فهو سبحانه الذي خلق الموتَ والحياة، لا خالق سِواه، وقد تمدح سبحانه بالإماتة كما تمدح بالإحياء، ليعلم أن مصدر الخير والشر، والنفع والضّرّ، من قِبَله، وأنه لا شريك له في الملك، وقد استأثرَ البقاء، وكتب على خلقه الفَناء.

وإحياؤه وإماتته سبحانه نوعان: مادي، ومعنوي:

الأول: الماديّ: فهو المحيي سبحانه الذي أحيا الخلقَ بأن خلقَ فيهم الحياةَ، فيحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأرض بعد موتِها، بإنزالِ الغيث، وإنبات النبات والعشب، وعنهما تكون وتقوم الحياة، ويحيي الأجسامَ البالية، بإعادة الأرواح إليها عند البعث.

وهو المميت: الذي يُميت الأحياءَ، ويوهن بالموت قوةَ الأصحّاء الأقوياء، فهو سبحانه يحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير.

النوع الثاني: الإحياء والإماتة المعنوية: فهو سبحانه يحي القلوب والنفوس الميتة، بِنُور الهُدى، والمعرفة، والإيمان، واليَقين، فبه سبحانه حيت القلوب من الكفر، والجهل، والنكران[3]، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٢/١٢٢)، و«لسان العرب» (٢/١٠٧٥).

(٢) «اللسان» (٧/٤٢٩٤ ـ ٤٢٩٧)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/٢٨٣).

(٣) ينظر: اشتقاق أسماء الله (١٤٠)، و«شأن الدعاء» (٧٩ ـ ٨٠)، والتوحيد لابن منده (٢/٨٤)، والاعتقاد (٣٦)، و«الأسنى» (١/٣٨٣ ـ ٣٨٤) بتصرف كبير.



مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، يُميتُ القلوب بِظُلمات الجهل، والشرك، والكفران، قال ﷺ: «**مَثَلُ الذي يَذْكُر رَبَّه والذي لا يَذْكُره، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّت**»(١).

(٦٤) صفة الكمال (المُبَاهِي) الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟!**» قالوا: جلسْنا نذكر الله ونحمدُه على ما هَدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا. قال: «**آلله ما أجلسَكم إلّا ذاك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلّا ذاك. قال: «**أما إنِّي لم أستحلِفْكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُباهي بكم الملائكة**»(٢).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **المُباهاة**: المُفاخرة. وتباهوا: تفاخروا. وأصل البهاء: الحسن، والجَمال. وفلان يُباهي بِماله؛ أي: يفخر، ويتجمل بهم على غيرِهم، ويظهر حسنهم(٣).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: المُباهاة من صفات الأفعال الاختيارية

---

(١) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٢) مسلم (٢٧٠١). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: صَلَّينا مع رسولِ الله ﷺ المغرب، فرجعَ مَن رجع، وعقَّب مَن عَقَّب، فجاء رسولُ الله ﷺ مسرعًا قد حفزه النَّفَس، قد حسر عن رُكْبَتَيْه، قال: «**أبْشِروا، هذا ربُّكم قد فتحَ بابًا من أبواب السماء، يُباهي بكم الملائكة، يقول: انْظُروا إلى عِبادي، قد قَضَوا فريضةً، وهم ينتَظِرونَ أخرى**» صحيح ابن ماجه (٨٠١)، و«السلسلة الصحيحة» (٦٦١). ومعنى «حفزه النفس»؛ أي: شاقَّه وتعَّبه من شدة سَعْيه «حسر»؛ أي: كشف عن ركبتيه. من كلام المنذري. «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٩/١).
وقال ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُباهي ملائكتَه عشيةَ عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظُروا إلى عِبادي، أتَوْني شُعْثًا غُبْرًا**» أخرجه أحمد (٧٠٨٩)، وصححه شعيب الأرنؤوط وقال: صحيح على شرط مسلم (٦٦٠/١١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٣٢) (١١٥٣).

(٣) «القاموس المحيط» (١٣٩).




الجَليلة، والتي تدلُّ على كَماله المطلق من كل وجهٍ، وذلك أنه من كَماله سبحانه أنه فَعّال لِما يُريد، وكيف يُريد، ومتى يريد، في أي وقت يريد، وهي كمال عند وُجود أسبابِها، لأنَّ أفعالَه كلها مقترنة بحكمته الباهرة، فالله تبارك وتعالى يُباهي مَنْ يَشاء من أوليائه، وأحبائه عند وجود أسبابه، ومتعلقاته، فمُباهاة الله ﷻ متعلقة بالمكان، والزَّمان، وكذلك بالأعمال، والأحوال.

تعلقه بالزمان، والمَكان: كما في يوم عرفة بعرفة كما تقدم ذِكْرُ ذلك.

تعلقه بالأعمال: الصلاة، وانتظار أختها.

والأحوال هو: الاجتماع في ذِكْره، والثَّناء عليه بما هو أهله، وذِكر سابِق إنعامِه وإحسانه، ومعنى قوله ﷺ: «**إنَّ الله يُباهي بكم الملائكة**» «معناه: يُظهر فضلكم لهم، ويُريهم حسنَ عملكم، ويُثني عليكم عندَهم»[١].

ومُباهاته سبحانه تقتضي الإنعام، والإحسان، والتقريب، والإكرام، فإذا كان أحدٌ مِنّا يذكره المُلوك، والعُظَماء، والوُجَهاء عند خَواصِّهم، فما ظَنُّك بما يتفضلون عليهم؟! وما ظَنُّك يا عبد الله بِمَلك المُلوك، وعَظيم العُظَماء، ورب الأرض والسموات، فالأمر أجل، وأوسع من أن تُدركه العُقول، والأفهام، فينبغي للعبد الصادق أن يتقربَ إلى الله بكل سببٍ ووسيلة شرعية، تقتضي هذه الصفة العليَّة.

* * *

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/٢٨).




(٦٥) صفة الكمال (الكَفِيل) الجَليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ:** قال ﷻ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قصة الرجل من بني إسرائيل، الذي أسلف آخر ألفَ دينار، وفيه أنه قال: «... **اللهم إنْ كنتَ تعلمُ أنِّي كنتُ تسلفت فلانًا ألفَ دِينار، فسألَني كَفيلًا، فقلتُ: كفى بالله كَفيلًا، فرضيَ بك**»(١).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الكَفيل:** الضّامِن، والعائل. واشتقاقه من الكَفالة وهي الضمان. ويقال: تكفلَ بالشيء إذا ألزمَه نفسَه، فأزالَ عنه الضيعة والذّهاب(٢)، فالكفالة هي الالتزام وذلك يكون بالقول، وذلك من صِفات الكلام، وقد يقال للعائِل كافل إذا عالَ المرء، وأنفقَ عليه، لأنه فعل فِعْلَ الملتزم(٣)، لذلك فإنه سبحانه كَفيل بالمَعْنَيَيْن جَميعًا، في باب الدنيا، والدِّين: أما في الدِّين فبقوله: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وشبهه، وأما في الدنيا: فلأن الخلق عباده، يستدرون خَزائنَه، ويستعيذون من نِقمه(٤).

فالكفيل بمعنى: الوكيل، والشهيد، والحَفيظ، والضّامِن، والعائل(٥).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتَعالى هو الكافي لكل الخَليقة،

---

(١) البخاري (٢٢٩١). وقال ﷺ: «**تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جاهدَ في سَبيله، لا يُخرجُه إلّا الجِهاد، وتصديق كلماتِه، بأنْ يُدخلَه الجنَّةَ، أو يرجِعَه إلى مَسْكَنِه...**» البخاري (٧٤٥٧).

(٢) وفي الحديث: «**أنا وكافِلُ اليَتيم كَهاتَيْن في الجَنَّة، له ولِغَيرِه**»؛ أي: القائم بأمر اليتيم، المُرَبِّي له، فالمادة تدلُّ على الحِفظ، فإن الكَفالة بمعنى الضَّمان تقتضي ذلك.

(٣) «عمدة الحفاظ» (٣/٤١٢ - ٤١٣)، و«اللسان» (٧/٣٩٠٥ - ٣٩٠٧)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/١٨٧ - ١٨٨).

(٤) «الأسنى» (١/٥٠٨ - ٥٠٩).

(٥) انظر: المصادر السابقة، وكذلك في «تفسير القرطبي» (١٠/١٧٠).



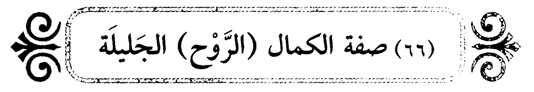

وكفالته سبحانه لهم نوعان: كفاية عامة، وكفاية خاصة:

فالعامة: أنه سبحانه «هو المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد، وكفالة، كَكفالة الواحد من النّاس، وإنما هو على معنى أنه لَمّا خلق المحتاج، وألزمه الحاجة، وقدر له البَقاء الذي لا يكون إلّا مع إزالة العلة، وإقامة الكِفاية، لم يُخله من إيصال ما علق بقاؤه به إليه، وإدراره في الأوقات والأحوال عليه.

وقد فعل ذلك رَبُّنا جل ثناؤه، إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسَه، وإنما الله جل ثناؤه يرزق الجماعةَ من الناس، والدّوابّ، والأجنة في بُطون أمَّهاتها، والطير تغدو خِماصًا، وتروح بِطانًا، والهوام، والحَشَرات، والسباع في الفلوات»[١].

وهذه الكفالة لكل الخلق في السموات والأرض، بالوكالة، والحفظ، والصون، والعون، وأنواع وأصناف الأرزاق، والأقوات، في كل الأوقات.

والكفالة الخاصَّة: وهي لأوليائه، الذين يرضون به كَفيلًا في كلِّ أمورهم، وشؤونهم الدنيوية، والشرعية، الظاهرية والباطنية، فهو سبحانه عند حُسن ظَنِّهم به، فيكفلهم بِرِعايته وكَفالته التي لا تُرام، ولا تُضام.



(٦٦) صفة الكمال (الرَّوْح) الجَليلَة

﴿ الكِتَابُ الْحَكِيمُ: قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) «المنهاج» (١/٢٠٤) للحليمي، ونقله البيهقي في الأسماء والصفات (١/١٧٣).




۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**الرِّيحُ من روْحِ الله**»، قال سلمة: فروح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعَذاب...[(١)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الروْح**: تأتي بمعنى الرحمة[(٢)]، **والرَّوْح** بالفتح: من الاستراحة، والراحة، وقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩]؛ أي: فراحة، ورِزق[(٣)]. **والروح**: التنفس، ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من رحمته وإحسانه، اللذين يُنفسان كل كرب. وأرواح الإنسان: تنفسه[(٤)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف ربنا تبارك وتعالى بالروْح؛ أي: بالرحمة، والتفريج، والتنفيس عن المَكْروبين، والمَغْمومين، ولِهذا أمر يعقوب عليه السلام بَنيه أن يحرصوا ويجتهدوا على التنفيس عن يوسف وأخيه، فإنَّ الرَّجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رَجاه، والإياس: يوجب له التَّثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد فضل الله تعالى، وإحسانه، ورحمته، وروحه، فإنه لا ييأس ولا يستبعد رحمته تعالى ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، فإنهم لِكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين، ودلَّ هذا على أنه بحسب إيمان العبد، يكون رَجاؤه لرحمة الله، وروحه[(٥)].

---

(١) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٠٩٧). وقال ﷺ: «**لاتَسُبُّواالرِّيحَ، فإنَّهامِن رَوْحِ الله تأتي بالرحمةِ والعَذاب..**» صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٧٢٧).

(٢) أخرج الطبري عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي: من رحمة الله . حسنه أ.د حكمت بشير في «التفسير الصحيح» (٣/٩٧).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٢/١٢٠ - ١٢١).

(٤) تفسير البغوي (٤/٢٧١).
وقال البغوي: «﴿مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من رحمة الله، وقيل: من فرج الله». وفسر الطبري الآية بهذَيْن المعنيين، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: لا يقنط من فَرَجِه ورحمته ويقطع رجاءه منه» «تفسير الطبري» (٤/٣٨٤).

(٥) انظر: «تفسير السعدي» (٤٠٤).




فإنهم لكفرهم يجهلون عظم روحه، ورحمته، وتنفيسه سبحانه، ولِهذا ينبغي للعبد دائمًا حسن الظَّنِّ بربه، خاصة إذا اشتدت به سبل الكرب، وغلقت عليه أبواب الخلق، فلا تفريج للكرب إلا بالرَّبِّ سبحانه.

ومِمّا تقدم أن الروح تأتي بمعنى: «الرحمة (والتفريج وكشف الكرب)، أو هي نسيم الريح، وعلى الأول: صفة، وعلى الثاني: تكون من إضافة المخلوق لله عَزَّوَجَلَّ كالرُّوح بالضم: خلق من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، أضيفت إلى الله إضافة ملكٍ، وتشريف، لا إضافة وصف، كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]»[١].

(٦٧) صفة الكمال (النشر) الجَليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بـ(نعمان) ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صُلبه كلَّ ذُرِّيَّة ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذَّرِّ، ثم كلمهم قُبُلاً**[٢] **قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ الآية**»[٣].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: النثر: النشر والتفريق، وهو يدل على إلقاء شيء متفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، أي: تفرَّقت. ونثرت الشاة: طرحت من أنفها الأذى[٤].

---

(١) «الصفات الواردة» علوي السقاف (١٨٣).

(٢) أي: عيانًا ومقابلة، لا من وراء الحجاب، ومن غير أن يولي أمره غيره من الملائكة. «حاشية السندي على المسند» (٤/٢٦٨).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢)، وحسنه الألباني (ص٨٩) وفي «السلسلة الصحيحة» على شرط مسلم (١٦٢٣) (٤/١٥٨).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٤/١٤٠) و«مقاييس اللغة» (٨٨٤).




۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يثبت أهل السنة والجماعة قاطبة صفات ربنا الجليلة بجميع أنواعها على الحقيقة التي تليق بكمال ربنا سبحانه الذي لا منتهى له، وأنهم يؤمنون بها ويثبتونها كما جاءت، سواء كانت في الكتاب، أو السنة، وسواء كانت سنة متواترة، أو أحادية، ومن ذلك: صفة النشر الفعلية العلية.

أي: أنَّ الله تبارك وتعالى قد نشر وفرق البرية بين يديه الكريمتين كالنمل، بعد أن أخرجهم من صلب أبيهم آدم عليه السلام، ليأخذ عليهم الميثاق، وليشهدهم على وحدانيته، وأنه هو المنفرد في العبودية له سبحانه، بعد أن ركب فيهم العقول والفهوم، فاستنطقهم وأشهدهم.

(٦٨) صفة الكمال (الكَنَفُ) الجليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**يُدْنى المؤمن يوم القيامة من رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، حتى يضع عليه كنفَه، فيقرره بِذُنوبه، فيقول: هل تعرف ذنبَ كذا؟ أتعرف ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أي رَبِّ، حتى يُقرره بذُنوبه، ثم يقول: إنِّي سترتُها عليك في الدُّنيا، وإنِّي أغفرُها لكَ اليومَ، فيُعطَى صحيفة حَسَناته...**»[1].

ما أكرم ربّنا ﷻ، وما أحلمه على عبدِه المؤمن الموحد.

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الكنف**: السّتر، والصيانة. يقال: كنفت الشيء؛ أي: أحطتُه، وخبأته. ويقال: كنفه الله؛ أي: رَعاه، وحفظه. وهو في حفظ الله وكنفه؛ أي: في حِرزه، وظِلّه، يكنفه بالكلاءة، وحسن الولاية.

والكَنَف بالتحريك يقال: أنت في كَنَف الله: أي في حرزِه، وستره،

(١) مسلم (٢٧٦٨)، والبخاري (٧٥١٤).




وهو: الجانب، والظِّل، والناحية. وكنفا الإنسان: جانِباه، وناحيتا كل شيء: كَنَفاه[١].

ومن كبار التابعين من فسرها بالستر، ومن ذلك ما نسب لعبد الله بن المبارك رحمه الله من قوله: (كنفَه) يعني: ستره[٢].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: يوصف ربنا عز شأنه، وعلت صِفاته، وحسنت أسماؤه، بصفة الكنف الفعلية، والتي تقوم بِمَشيئته وإرادته متى شاء سبحانه، ومن ذلك في يوم القيامة حينما يدنو العبد من رَبِّه تعالى، وهو يقتضي قرب الرَّبِّ من العبد، لأنه تعالى «وصف نفسَه بأنه يدنو، ويقرب من بعضِ عبادِه دون بعض، وقد تكاثرت النصوص في ذلك حتى بلغت ما يقرب من خمسمائة آية في كتاب الله تعالى، كلها تدلُّ على أنه تعالى يقرب من بعض خلقِه، ويدنو منهم»[٣] على ما يَليق بِعَظمته، وكبريائه، كما سيأتي ذِكْرها عند صفة (الدنو).

عودًا على بدء، إن هذه الصفة الكريمة جاءت مفسرة في الحديث بأنها «الستر»، كما في قوله ﷺ: **«حتى يضع كنفه عليه»** والمعنى: أنه تعالى يستر عبدَه من رؤية الخلق له، لِئَلّا يفتضح أمامَهم، فيخزى، لأنه حين السؤال، والتقرير بِذُنوبه تتغير حالُه، ويظهر على وجهه الخوف الشديد، ويتبين فيه شدة الكرب»[٤] في هذا اليوم العصيب، الشديد، ولهذا يكرم ﷻ عبدَه المؤمن بعد هذا الستر، والحفظ، والكَلاءة من

(١) انظر: «كتاب العين» (٤/٥٢ ـ ٥٣)، و«الصحاح» (٩٢٥)، و«القاموس المحيط» (١١٥٠).

(٢) خلق أفعال العباد (١٠٣).

(٣) «شرح كتاب التوحيد» للعلامة الغنيمان (٢/٦٩٢).

(٤) المصدر السابق (٢/٦٩٧ ـ ٦٩٨).




الهَلاك، والشَّدائد: «فيُعطى صحيفة حَسَناته» فيكون مِآله في مجاورة ربه في جنات النَّعيم.

فانظر رعاكَ الله تعالى إلى كرم وفَضْل رَبِّنا على أوليائه في الدنيا والآخرة:

في الدنيا: بِسَتْر ذُنوبهم، وعدم اطلاع غيرهم عليها.

وفي الآخرة: بالكنف، والحِرْز، والعِناية والستر عن رؤية البرء، وهذه المزية خاصة للأصفياء، أما من دونَهم من الأعداء، فإن الله تعالى يفضحهم، ويشهرهم أمام الخلائق، كما قال ﷺ فيهم: «**وأمّا الكافر، والمُنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[١].

(٦٩) صفة الكمال (الأَمْر) الجَليلَة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ:** قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤][٢].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال ﷺ: «**إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السماءِ ضربَت الملائكةُ بأجنحتِها خضعانًا لقوله...**»[٣].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الأمر:** نقيض النهي، وهو الشأن، وجمعه أمور، ومصدر أمرتُه: إذا كلفتُه أن يفعلَ شيئًا، وهو لفظ عام للأفعال،

---

(١) البخاري (٢٤٤١).

(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

(٣) البخاري (٤٧٠١).




والأقوال كلها، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

ويقال للإبداع: أمر، نحو: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويختص ذلك بالله تعالى دون الخَلائق[١].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: قبل شرح هذه الصفة الكريمة ينبغي أن يعلم أنه «لا يعني كلما ذكرت كلمة (الأمر) في الكتاب أو السنة مضافة إلى الله مثل (أمر الله)، أو (الأمر لله) أنها صفة له»[٢] بل قد ترد متعلقًا للصفة، وقد تقدم ذِكْر القاعدة المهمة: (إنَّ اسم الصفة يقع تارة على الصفة، ويقع تارة على متعلقها).

والمعنى: أن اسم الصفة: يطلق على المصدر تارة، ويطلق على المفعول تارة أخرى، فالرحمة صفة لله تعالى، وسمي ما خلق رحمة، والقدرة من صِفات الله تعالى، ويسمى المقدور رحمة، ويسمى تعلقهما بالمقدور قدرة، والخلق من صِفات الله تعالى، ويسمى (المخلوق) خلقًا، والعلم من صفات الله، ويسمى المعلوم أو المتعلق علمًا، فتارة يُراد الصفة، وتارة يُراد متعلقها، وتارة يُراد نفس التعلق[٣].

فالأمر: يطلق ويُراد به صفة لله سبحانه، ويطلق ويُراد به المأمور المخلوق، فيسمى الأمر الذي هو صفة الله أمرًا، ويسمى المأمور المخلوق أمرًا، ولتقرير ذلك، نضرب لهما بمثالين: الأول: قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والثاني: قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

---

(١) «المفردات» (٨٨).

(٢) صفات الله الواردة (٧١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/٦)، والقواعد والضوابط السلفية في صفات رَبِّ البَرِيَّة (٣٥٧).




وجه الدلالة: إن في الآية الأولى المُراد بلفظ (الأمر) المصدر الذي هو صفة لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا عطف الله الأمر على الخلق بالواو، والأصل في الواو أنها لِلمُغايرة.

أما في الآية الأخرى: فيُراد به المفعول وهو المأمور به[1].

وأمر رَبِّنا العَظيم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أمر كوني، وأمر شرعي، وأمر جَزائي:

فمن الأول: قوله عز شأنه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فقوله: «(أمر): أمر تكوين، يعني أمره سبحانه أن يقول للشيء (كن) (فيكون)، بدون تكرار، مرة واحدة، لا يحتاج إلى تأكيد ثانية، فيكون كذلك الذي أمر به حاصلًا موجودًا، كما أراد، كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، فكل ما أمر الله سبحانه به في العين، والوصف، سواء كان خلقًا، أو إيجادًا، أو عدمًا، أو فناءً، فيكون على حسب ما أراده الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى في بعث النّاس: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ - ١٤].

كما قال تعالى للقلم: «**اكتب! قال: يا رب! وما أكتب؟ قال: اكتبْ مَقاديرَ كل شيء**». وفي رواية: «**قال: اكتبْ القدر ما كان، وما هو كائن إلى الأبدِ**»[2].

فسبحان الله تعالى، ما أعظم الله»[3].

---

(١) انظر بتوسع: القواعد والضوابط السلفية (٣٥٧ - ٣٥٩).

(٢) صححه الألباني في: «صحيح الترمذي» (٢١٥٥)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥).

(٣) انظر: «تفسير سورة يس» (٨/٣٥٠)، و«تفسير سورة غافر» (٩/٣٣٥)، و«سورة القمر» (٣٩٤) لابن عثيمين بتصرف.




النوع الثاني: «الأمر: يتضمَّن أحكامه الدينية الشرعية»(١) وهو أوامره الشرعية، التي أنزلَها على عباده على ألسنة رسله، وهي مشتملة على الحكم، والغايات الحَميدة، في الحياة المعاشية، والتي فيها المصالح، والمَنافع، والخيرات، لكل الخَليقة.

وبهذا ينبغي أن يعلم أن أوامره الشرعية من أعظم نعمه على عباده سبحانه، لأنه تعالى "لم يأمر عباده لحاجته إلى خدمتهم، ولا هو محتاج إلى أمرهم، وإنما أمرهم إحسانًا منه، ونعمة أنعم بها عليهم، فأمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب من أعظم نعمه على خلقه(٢).

النوع الثالث: الأوامر الجزائية(٣) في دار البَقاء الأخروية، وهي مَنوطة بالرَّحمة، والعَدْل، والفضل، والجَزاء الحَسَن.

(٧٠) صفة الكمال (المُثبِّت) الجليلَة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧](٤).

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: دعاء النبي ﷺ: **«اللهم يا مُقلِّب القُلوب ثَبِّتْ قلبي**

---

(١) «تفسير السعدي» (٢٩١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥٦/٦).

(٣) ومن هذه الأوامر الجزائية، ما يكون في الحياة الدنيا من العقوبات، والشدائد، والإنذارات، والابتلاءات.

(٤) وقال ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النحل: ١٠٢]. وقال جل ثناؤه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].




على دِينِكَ»[1].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الثبات:** ضد الزَّوال. يقال: ثبت الشيءُ يثبتُ ثُبوتًا: دام واستقرَّ، فهو ثابت.

والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل، فيُقال لِما يخرج من العدم إلى الوُجود، نحو: أثبت الله كذا.

وتارة لِما يثبت بالحُكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلانٍ كذا وثبته، وتارة لِما يكون بالقول...[2].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** التثبيت من أفعالِ الله تعالى الاختيارية، وباستقراء أدلة الكتاب والسنة النبوية نجد أنَّ صفة التثبيت جاءت متنوعة في حقِّه سبحانه، تدور كلُّها على نوعين في التثبيت: الأول: الحِسِّيّ، والثاني: المعنوي، الدنيوي، والأخروي.

فمن الأول: تثبيت الأقدار، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ «أي: من الأقدار ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يَشاء منها، وهذا المحو (والتثبيت) في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه، فهذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: اللوح المحفوظ التي ترجع إليه سائرُ الأشياء، فهوِ أصلها»[3] فهذا ثابت لا يتغير.

---

(١) «صحيح الترمذي» (٢١٤٠) (٣٥٢٢)، و«صحيح ابن ماجه» (٣٨٣٤). ودعاؤه ﷺ لِجَرير رضي الله عنه: «اللهم ثَبِّتْهُ واجْعَلْهُ هادِيًا مهديًّا» صحيح البخاري (٣٠٢٠)، وصحيح مسلم (٢٤٧٥). وقال ﷺ: «ومَنْ مَشى مع مَظْلوم حتى يُثبت له حقَّه، ثَبَّتَ الله قدمَيْه على الصِّراطِ يومَ تَزِلُّ الأقدامُ». «صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠٦/٢). وفي رواية: «ومَنْ مَشَى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضيَها له، ثَبَّتَ الله قدمَيْه يومَ تزلُّ الأقدام» المصدر السابق (٧٠٩/٢).

(٢) «المفردات» (١٧١)، و«المصباح المنير» (٥٢).

(٣) «تفسير السعدي» (٤١٩).

وكذلك: **تثبيت الأبدان**، كما في دُعاء النبي ﷺ لِجَرير حينما كان لا يثبت على الخيل.

ومن تثبيت الأبدان: تثبيت الأقدام عند القتال، كما في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، وفي **الأخرى**: عند الصِّراط، كما تقدم ذِكْر الأدلة السنية في السنة المحمدية.

الثاني: التثبيت المعنوي: وهو أصل الإيمان وأعظمه، وعليه الفَلاح والنجاح في الدّارَيْن، وعليه يكون تثبيت سائر الأركان، كما في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ كما صحَّ عن النبي ﷺ أنَّها نزلت في عذاب القبر[1]، «فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين، وإضلال الظالمين فعله، فإنه يفعل ما يَشاء»[2]، فالله تبارك وتعالى يثبت أولياءه، وأصفياءه، في الحياة: في مَواطن القِتال أمام الأعداء، وعند الشبهات بالسلامة من النزغات، والضلالات، وعند الشهوات، بالسلامة من الهَلَكات والمفسدات، وفي الممات: عند السَّكرات، من همزات الشيطان، وعند السؤال في القبر الملكان، وفي العرصات: عند فزع البريات، وعند المُرور على الصِّراط، بالتجاوز والسلامة من الزَّلّات، حتى دُخول الجَنّات.

(٧١) صفة الكمال (الكافِي) الجَليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦][3].

---

(١) صحيح البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) «شفاء العليل» (٢/٤٨٩).

(٣) وقال سبحانه: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]. وقال عز شأنه: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [البقرة: ١٣٧].



السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمَنا، وسَقانا، وكَفانا، وآوانا، فكَمْ مِمَّنْ لا كافي له ولا مُؤوي؟!**»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: **الكِفاية**: الحَسْب الذي لا مستزاد فيه، يقال: كفاك الشيء يكفيك، وكفاك هذا؛ أي: حَسْبُك.

فالكفاية: سد الخلة؛ أي: القيام بالأمر، والاستقلال به، يقال: كفى يكفي كفاية: إذا قامَ بالأمر(٢).

والكفاية: دفع المكروه، والمخوف، يقال: كفاه يكفيه إذا دفع عنه(٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله جل جلاله هو الكافي، الذي له الكِفاية المُطلقَة لكلِّ البرية، في كل حال، وآن، ولحظة، فلا كافي إلّا هو سبحانه «فهو تعالى يكفي عباده المهمَّ، ويدفع عنهم الملمَّ»(٤)، وهو يكتفي بِمَعونته عن غيره، ويستغني به عمَّن سِواه(٥).

والله عز شأنه كافٍ كل عباده «لأنه إذا لم يكن له في الألوهية شَريك، صح أنَّ الكفايات كلها واقعة به وحدَه»(٦).

---

(١) مسلم (٢٧١٥). وفي قصة الغُلام مع الساحر والراهب من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ الذي فيه (أنه كلما ذَهَبُوا به إلى قتل الغُلام قال: «اللهم اكفنيهم بِما شئتَ» مسلم (٣٠٠٥).

(٢) وقوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤]؛ أي: قد سَدَّ خلتكم، وقضى مُرادكم، بإمداده إياكم بالمَلائكة، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾؛ أي: هو كافيه من أعدائه، متولّ كفايته، وناهيك بِمَنْ يتولّى الله كفايته سبحانه. انظر: «معجم مقاييس اللغة» (١٨٨/٥)، و«كتاب العين» (٤١/٣)، و«عمدة الحفاظ» (٤١٤/٣)، و«الأسنى» (١٩٩).

(٣) «الأسنى» (١٩٩).

(٤) الحجة في بيان المحجة (١٧٦/١).

(٥) «شأن الدعاء» (١٠١).

(٦) «المنهاج» (١٩٠/١).




وكِفايته ﷻ لِعباده نوعان: عامة، وخاصَّة:

أمّا العامَّة: فهو الكافي جميع عِباده ما إليه يحتاجون، ويضطرون، الدافع عنهم كل ما يكرهون، فقد كفى سبحانه جميعَ المخلوقات: رِزْقًا، ومَعاشًا، وقُوتًا، وحِفْظًا، وكلاءة، وإمْدادًا، وإعدادًا، وإرشادًا، لكل ما خلقت له في مَعاشها.

الكِفاية الخاصة: لِمَنْ آمن به، وتوكَّلَ عليه، واستمد منه حوائج دينه، ودنياه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه كل أمورِه الدِّينية، والدنيوية، فمَنْ قام بِعُبوديته الظاهرة والباطنة، كَفاه الله ما أهمَّه، وقام تعالى بِمَصالحه، ويَسَّرَ له أمورَه[١].

وييسر لهم أسباب النصر الشرعية، والقدرية، قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وهو تعالى الكافي كفاية خاصَّة الخاصَّة: وهي لأنبيائه ورسله، وأخصهم سيد البرية نبينا محمد ﷺ، وهي أعلى الكِفايات، وأكملها، وأتمّها من النّصرة، والمنعة، والتأييد، والتسديد، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦][٢].

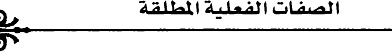
(٧٢) صفة الكمال (الزَّارع) الجَليلة

❁ **القُرآنُ الكَريمُ**: قال ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٤].

---

(١) «فتح الرحيم» (٤٥)، و«تفسير السعدي» (٥/٤٩١) بتصرف كبير.

(٢) وقال سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، فكفى الله تعالى نبيه ﷺ الأحزاب، ومكر الأعداء، بقتل بني قريظة وسباهم، وبني النّضير بالإجلاء، وقتل كِسْرى وتمزيق ملكه حين مزق كتابَه، وغير ذلك مِمّا لا يُحْصَى.



۞ **المَعْنَى اللُّغَوِي: الزرع**: واحد الزروع، وهو: طرح البُذور في الأرض، والزرع أيضًا: الإنبات، وحقيقة ذلك يكون بالأمور الإلَهية، دون البَشَرية. يقال: زرعَه الله؛ أي: أنبتَه[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف ربنا الجليل نفسه بالصفة الاختيارية بأنه هو الزارع وحده، ولهذا أضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى، لأنَّ الحرثَ فعلهم، ويجري على اختيارِهم، والزرع من فعل الله سبحانه وينبت على اختياره، لا على اختيارهم، ولِهذا (نهى النبي ﷺ أن يضيف الزرع إلى نفسِه)، فقال: «**لا تقولنّ: زرعْتُ، ولكن قل: حرثتُ**»[2]، فالله تعالى الزارع، والمنبت، والفرق بين الزرع والحرث: أن الحرث أوائل الزَّرْع ومقدماته من كراب الأرض، وإلقاء البُذور، وسقي المبذور، والزَّرع هو آخر الحرث من خُروج النَّبات، واستغلاظه، واستوائه على السّاق[3].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؛ أي: ما تبتدئون منه من الأعمال، أأنتم تُبلِّغونها المقصود أم الله؟ ولا يشك أحدٌ في أن إيجاب الحَبّ في السنبلة ليس بفعل النّاس، وليس بفِعْلِهم، إن كان سوى إلْقاء البَذْر والسَّقْي[4].

ولِهذا جاء السِّياق بالاستفهام الإنكاري بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ...﴾[5].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يوصَف الله عَزَّوَجَلَّ بأنه الزّارع، ولا

---

(١) «المفردات» (٣٧٩)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٣٨)، و«الصحاح» (٤٤٩).

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٠١).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/١٨١)، وتفسير الرازي (٢٩/١٨١).

(٤) تفسير الرازي (٢٩/١٨٢).

(٥) تفسير الطاهر بن عاشور (١٣/٣٢١).




يُسمَّى به، ثم ذَكَر رَحِمَهُ اللَّهُ الآية»(١).

(٧٣) صفة الكمال (النَّفَس والتَّنْفِيس) الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال ﷺ: **«إني لأعلم كلمةً لا يقولها عبدٌ عند موته إلا نفَّس الله عنه كربته، وأشرق لونه، ورأى ما يسرُّه... وهي: لا إله إلا الله»**(٢).

٢) حديث أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفًا عليه: **«لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإنها مِنْ نَفَسِ الرحمن تبارك وتَعالى»**(٣).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: النَّفس:** يدلُّ على خروج النسيم كيف كان من ريحٍ أو غيرها، وإليه يرجع فروعه، منه التنفس: خروج النسيم من الجوف، والتنفس: كل شيء يفرج به عن مكروب، ويقال: "نفَّس عنه": إذا أزال وكشف ما به(٤).

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين (١/٢٥).

(٢) رواه أحمد (١٣٨٤) وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (٣/٨)، وفي لفظه: **«إلا فرج الله عنه»** نفس المصدر (١٣٨٥) (٣/٩).

(٣) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٣٥) (٩٣٦)، وموقوفًا الحاكم في المستدرك (٢/٢٧٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: «على شرط البخاري»، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٥١). وصححه محقق الكتاب أبو مالك الرياشي (٢/٢٨٢)، وقال ﷺ: **«إنَّ الإيمان يماني، والحكمة يَمانِيَّة، وأجد نَفَسَ ربكم من قِبَل اليَمَن»** أخرجه أحمد في المسند (١٩٢٠)، وصحح إسناده أحمد شاكر (٩/٦٢٣). وعن سلمة بن نفيل السكوني رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو مُوَلٍّ ظهره إلى اليَمَن: **«إنِّي أجدُ نَفَسَ الرحمن من هُنا»** صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٦٧) (٧/١٠٩٩). وقال ﷺ: **«مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كُرَبِ يومِ القِيامة»**. مسلم (٢٦٩٩).

(٤) وقوله ﷺ: **«الرِّيح من نفس الرحمن»**؛ والمعنى: بها يُفرج الكرب، ويُثار السَّحاب، وينزل الغيث، ويُستحال الجدب، فهي من تنفيس الله بها عن المَكْروبين، وتفريجه عن الملهوفين. وقوله ﷺ: **«إنِّي أجدُ نفس الرحمن من ههنا»**؛ أي: إني لأجِدُ الفرجَ من قِبَل اليَمَن. «مقاييس اللغة» (٩١٠)، و«النهاية» (٩٣١)، و«القاموس المحيط» (١٣٠٣)، والأسماء والصفات (٣/١١٥٠).




۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله ﷻ هو المنفس الذي ينفس عن المَهْمومين، المفرج الشَّدائد، والكربات عن المَغْمومين، والمكروبين في كل آن وحين.

وقد جعل الله تعالى تفريجه وتنفيسَه لِمَنْ يشاء، منوطًا بأسباب، وهذا من حِكمته في أفعاله تعالى، وهذه الأسباب منها: ما يتعلق بأشخاص، ومنها ما يتعلق بأوصاف، أو بمكان، وأفعال، وأحوال.

فمن الأسباب: إرسال (الرِّيح)، فقد وصفها ﷺ بقوله: «**فإنها مِنْ نفس الرحمن**»: «أي: بها الفرج، والروح، ولِهذا سميت الريح رِيحًا، لأنَّ الغالب عليها في هُبوبها المَجيء بالرّوح والراحة، وانقطاع هُبوبِها يكسب الكربَ، والغَمّ، والأذى.

وكذلك أهل اليمن، كما تقدم في الحديث: «**أجِدُ نفس رَبِّكم من قِبَلِ اليَمَن**» «لأن الله عَزَّوَجَلَّ نصرهم بهم، وأيَّدَهم برِجالِهم»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا لِحديث: «**إني لأجِدُ نفسَ الرَّحمن من قِبَل اليَمَنِ**»: «فقوله: «من اليَمَن» يبين المقصود من الحديث، فإنه ليسَ لِليمن اختِصاص بصِفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذي يُحبهم ويُحبونه، الذي قال فيهم: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقد روي أنه لَمّا نزلت هذه الآية، سئل عن هؤلاء؟ فذكر أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: «**أتاكم أهلُ اليمن، أرقّ قُلوبًا، وألينُ أفئدة، الإيمان يَماني، والحكمة يَمانية**»، وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهلَ

---

(١) «تهذيب اللغة» (٩/١٣)، و«إبطال التأويلات» (١/٢٥٢).




الرِّدَّة، وفتحوا الأمصار، فبهم نَفَّسَ الرحمن عن المؤمنين الكربات»[(١)].

يقول العلامة المحقق ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كلامًا رصينًا مقعدًا: «ليس ظاهر الحديث أن لله تعالى نفسًا يأتي من قِبَل اليمن، وأن الله يتنفس، ويأتي نفسه من قبل اليمن، لأن كل معنًى فاسد لا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسُّنَّة أبدًا، ومن فهم من الكتاب والسنة ظاهرًا ينزه الله عنه فقد ساء فهمُه، أو ساء قصده، وأما من حسن قصده، وصحَّ فهمُه، فلن يفهم من نصوص الكتاب والسنة ما لا يليق بالله أبدًا...، وهذا الحديث يُجريه أهلُ السنة والجماعة على ظاهره كسائر النصوص، إن النفس بمعنى: تنفيس...، فيكون معنى الحديث: إنَّ تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن، والمعنى: إنَّ التنفيس عن المؤمنين وتفريج الكُرُبات عنهم، ونصرهم، يكون من قبل أهلِ اليمن، سواء في أول الإسلام، كالأنصار الذين تلقوا المُهاجرين، أو فيما بعد كالذين قاتلوا أهلَ الرِّدَّة»[(٢)].

«فمعنى النفس بها وفي كتاب الله تعالى: أنها بمعنى الفرج من الغَمّ، والنفس من الكرب، أن الغم والضِّيق يكونان بِرُكودِها، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]»[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٩٨).

(٢) «شرح القواعد المثلى» (٢٥٩ - ٢٦٢). وبنحوه قال قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «..إنَّما أرادأنَّ الرِّيح من فرج الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وروحه، يقال: اللهم نفس عنِّي الأذى، وقد فرج الله تعالى عن نبيه ﷺ يوم الأحزاب...، فالريح من فرج الله وروحه، كما كانَ الأنصار من فرج الله تعالى» تأويل مختلف الحديث (٢١٢).

(٣) «إبطال التأويلات» لأخبار الصفات لأبي يعلى (١/٢٥٤).



ومن أوضح الأدلة وأبينها في هذا المَقام: هو ما «فرَّجَ الله تعالى عن نبيه ﷺ بالرِّيح يوم الأحزاب، فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]»(١).

(٧٤) صفة الكمال (الأَخْذ) الجَليلة

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ:** ١) قال رب العالمين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢](٢).

٢) وقال عزَّ شأنه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦].

٣) وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٨٣].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**يأخذ الله(٣) عز وجل سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله** (ويقبض أصابعه ويبسطها، أي: النبي ﷺ)، **أنا الملك**»(٤).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الأخذ:** خلاف العطاء، وهو حقيقة في التناول، نحو: أخذت درهمًا، وهو حوز الشيء، وجيبه، وجمعه، والأخذ يطلق كذلك على: أخذ العهود، والوعود، والمواثيق، وأخذ الأرواح التي في الأشباح(٥).

---

(١) المصدر السابق (١/٢٥٠). ومن الأسباب كذلك: تفريج الكربات عن الأولياء، كما في قوله ﷺ: «... **ومَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كرب يوم القِيامة**».

(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

(٣) وفي لفظ: «**يأخذ الجبار عز وجل**» رواه مسلم (٢٧٨٨ ـ ٢٦).

(٤) مسلم (٢٧٨٨ ـ ٢٥). وقال ﷺ: «**وما تصدَّق أحدٌ بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة...**» مسلم (١٠١٤). وقال ﷺ: «**أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بـ(نعمان) ـ يعني عرفة ـ فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها...**» أخرجه أحمد (٢٤٥٥) وصححه الألباني في «السلسلة» (٤/١٥٨) برقم (١٦٢٣).

(٥) «عمدة الحفاظ» (١/٧١)، و«مقاييس اللغة» (٢٩)، و«المصباح المنير» (١٢).




۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: إن من كمال ربنا جل جلاله المطلق: أن أفعاله كلها تقع على الوجه الأتمِّ، والأكمل، والأصلح في كلٍّ وقت، فليس في أفعاله سبحانه عبث، ولا سفه، ولا خطأ، ومنها: الأخذ بنوعيه: أخذ قهر[1]، وأخذ تناول باليد، وأخذ ميثاق وعهد من الخلق.

وأخذ الميثاق من الخلق اثنان: **الأول**: وهم في الأصلاب، فقد أخبر سبحانه كما في الآية المتقدمة "أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو"[2]، وقد فسَّر أعلم الخلق بالربِّ نبيُّنا محمد ﷺ الآية أنه تعالى أخذ هذا الميثاق في عرفة من ظهر أبينا آدم عليه السلام[3].

قال ابن الأنباري رحمه الله: "مذهب أهل الحديث وكبراءُ أهل العلم في هذه الآية أنَّ الله أخرج ذرية آدم من صلبه، وصلب أولاده وهم في صور الذر، فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم، كما جعل للجبل عقلاً حين خوطب، وكما فعل للبعير لما سجد، والنخلة حين سمعت وانقادت حين دعيت"[4]، قال الإمام الجليل إسحاق بن راهويه رحمه الله: "وأجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، وأنه استنطقهم وأشهدهم"[5][6].

---

(١) كما سيأتي عند الصفات المقيدة على وجه الجزاء بالعقوبة.

(٢) «شرح الطحاوية» (٢٦٥).

(٣) كما في الحديث المتقدم في الحاشية رقم (٣) الصفحة السابقة.

(٤) نقلاً من «السلسلة الصحيحة» (٤/١١١).

(٥) المصدر السابق.

(٦) ولهذا اعتنى أئمة الهدى بذكر الأخبار الصادقة عن خير الورى ﷺ، فقد بوَّب الحافظ ابن أبي=



والميثاق الثاني بعد إنزال الكتاب: فقد قصَّ لنا ربنا العظيم في كتابه الحكيم في أخذه للمواثيق من أهل الكتاب[1] في القيام في عبوديته سبحانه، من الأقوال، والأفعال، والأحوال.

وقد أخبر ﷺ في بيان هذه الصفة الكريمة في أعلى طرق البيان بالإشارة إليها ذلك: أنه قبض أصابعه وبسطها تحقيقًا وتأكيدًا لها، فإن الإشارة بالأمور المعهودة المحسوسة، أوقع في فهمها في نفوس الطاهرة الزكية[2]، وأخبر ﷺ أن «**أول ما خلق الله تعالى القلم، فأخذه بيمينه**»[3].

(٧٥) صفة الكمال (الجَامِع) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩][4].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: عن عبد الله بن زيد أنَّ رسول الله ﷺ لَمّا فتحَ حُنَيْنًا قسم الغَنائمَ...، فقام رسول الله ﷺ فخطبَهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**يا معشر الأنصار! أَلَمْ أجدْكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟! وعالةً فأغناكم الله بي؟! ومتفرِّقين فجمعَكم الله بي؟!...**»[5].

= عاصم في كتابه النفيس: «السنة» قال: **باب ذكر أخذ ربنا الميثاق على عباده، ثم ذكر الروايات** المرفوعة للنبي ﷺ وصحبه الكرام. (ص ٨٧) بتحقيق العلامة الألباني، وللأخير بحث نفيس في جمع الرواية، ومعنى الدراية في السلسلة الصحيحة (٤/١٥٨)

(١) من اليهود، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ومن النصارى ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ [المائدة: ١٤].

(٢) كما تقدم في القاعدة الرابعة عشر «مشروعية إثبات الصفات مع الإشارة إليها بما هو محسوس ومعهود.

(٣) انظر تخريجه في صفة (اليمين).

(٤) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]. وقال عز شأنه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

(٥) مسلم (١٠٦١). وقال ﷺ: «أنا سَيِّدُ الناسِ يومَ القِيامة، وهل تَدرونَ مِمَّ ذلك؟ يجمعُ الله الأولينَ=




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الجمع**: ضد التفريق، وهو: ضمُّ الشيء بتقريب بعضِه من بعضٍ، وهو التأليف. يقال: جمعته فاجتمع، قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩](١).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله ﷻ هو الجامع بكل وجهٍ واعتِبار، الذي يجمعُ بين القُلوب، والأجزاء، والأجساد، في الدنيا، ويوم الميعاد.

الأول في الدنيا: فهو سبحانه يجمع بينَ القلوب بالتأليف، والمحبَّة، والمَسرَّة، والتي أعظمها على الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وفي خطبة النبي ﷺ للأنصار، وفيها: «... **ألم أجدْكم متفرِّقين فجمعَكم الله بي...**»(٢).

ومن دُعاء المصطفى ﷺ: «**اللهم ألِّفْ بين قُلوبِنا**»(٣).

وإذا كان الله تعالى قد جمعَ بين قلوب الأولياء بالمحبَّة والوداد، إلا أن حكمته سبحانه اقتضت خِلاف ذلك مع المكذِّبين الأنداد، قال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

= والآخرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ...» البخاري (٣٣٤٠) (٣٣٦١) (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤). وفي رواية: «يجمعُ الله تعالى النّاسَ يومَ القِيامَة، فيَهْتَمُّونَ لِذلك...» مسلم (١٩٣).

(١) والجمع قد يكون في الأجسام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، وقد يكون في المَعاني، كقوله سبحانه: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ [يونس: ٧١]. «المفردات» (٢٠١)، و«القاموس المحيط» (٢٣٥)، و«الأسنى» (٤٧٩/١).

(٢) تقدم تخريجُه.

(٣) تقدم تخريجه عند صفة (المؤلف).




الثاني: الجمع الأخروي:

١) فهو سبحانه يجمعُ الخلائقَ كلَّها، إنسهم وجِنَّهم، مؤمنهم وكافرهم، حتى الحيوانات، والذَّرّ[١]، «بعد مُفارقة الأرواح الأبدان، وبعد تبدد الأوصال، والأقران، لِيجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى»[٢]، فهو عز شأنُه جامع ما تفرَّق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بِكَمال قدرته، وسَعة علمه[٣]، ونُفوذ إرادتِه ومَشيئته.

٢) وهو تعالى يجمعُ جميعَ الرسل فيسألهم ﷺ فيقول: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٩]؛ أي: ماذا أجابتكم به أُمَمُكم[٤].

٣) ومن كَمال جمعِه في يوم القِيامة: أنه يجمع المؤمنين مع الكافرين، والمَظْلومين مع الظالمين، فيقتص لهم بِميزان الحَقّ، والعدل، والفضل المبين، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

٤) وهو سبحانه الجامع: الذي (يجمع) ويؤلّف المفترق[٥]، والمؤلف بين المتماثِلات[٦]، والمتباينات[٧]، والمتضادّات[٨] في

---

(١) أي: النملة، كما جاء في الحديث.

(٢) «شأن الدعاء» (٩٢).

(٣) «تفسير السعدي» (٥/٦٢٧).

(٤) المصدر السابق (٢٤٨).

(٥) انظر: «عارضة الأحوذي» (١٣/٤٢).

(٦) المُتَماثل: هو المتشابه.

(٧) المتباين: هو المختلف.

(٨) المتضاد: هو الشيء الذي ضد الآخر؛ أي: عكسه.




الوجود[١]، وهو من أعظم الدلالات على وجوده سبحانه، وهو: كجمعه بين السماء وكواكبها، والأرض وبحارها، والمعادن المختلفة وما فيها، إلى غير ذلك مِمّا استودع الأرض من الحيوانات والنَّباتات (والتي لا حصر لأجناسها فضلاً عن أفرادها)، وكذلك جمعه بين العظم، والعصب، والعرق، والعضلة، والبشرة، والدَّم.

وأما المتضادات: فجمعه بين الحرارة والبُرودة، والرُّطوبة واليُبوسة، في أمزجة الحيوانات، وهي مُتَنافِرات متعاندات، وذلك أبلغ وجوه الجمع، وتفصيل جمعه لا يعرفه إلّا من يعرف تفصيل مجموعاته في الدنيا والآخرة[٢].

٥) وهو سبحانه الجامع: الذي جمعَ الفَضائل، وحوى المآثر، والمَكارم[٣] كلها، فقد جمع وحوى سبحانه كل حسي، ومعنوي، وظاهري وباطني، في هذا الوجود، في الدنيا، واليوم الموعود.

(٧٦) صفة الكمال (التَّجَلِّي) الجَليلَة

۞ الكِتَابُ الْحَكِيمُ: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٢].

۞ السُّنَّةُ النَّبويَّةُ: ١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قرأ هذه الآية ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: (وضعَ النبي ﷺ أصبعه الإبهام قريبًا من طرَف الخنصر، فساخ الجبلُ)[٤].

---

(١) «النهاية» (١٦٤).

(٢) انظر: «المقصد الأسنى» (١٠٣ ـ ١٠٤).

(٣) «شأن الدعاء» (٩٢).

(٤) تقدم تخريج هذا الحديث في قسم الصفات الذاتية، عند صفة (الإبهام، والخنصر)، وهي عدة رِوايات




٢) وقال ﷺ: «**يتجلَّى لنا رَبُّنا عَزَّوَجَلَّ يومَ القِيامة ضاحِكًا**»[(١)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: التجلِّي**: الجلاء: الصَّقال، يقال: جلوت السيف أجلوه: أزلتُ صدأه، وأصله: الكشف، والإظْهار. يقال: أجليت القوم عن مَنازلهم فجلوا عنها؛ أي: أبرزتهم.

وأمر جلي: واضح. والله يتجلى الساعة: يظهرها. فالتجلي: الظهور، والبَيان لِلعيان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾؛ أي: ظهرَ، وبانَ[(٢)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: صفة التجلي من الأفعال الاختيارية التي أثبتَها أهلُ السنة والجماعة قاطبةً، وتجليه سبحانه في **الدّارَيْن**: الأول: **في هذه الدار**، حينَما واعد رَبُّنا العَظيم نبي التكليم موسى عليه أفضل الصلاة والتسليم «لإنزال الكتاب عليه عند الجَبل، فلمَّا ظهر (الرَّبّ) وبان، انْهال الجبل مثل الرَّمْل، من رؤية الله تعالى»[(٣)].

يقول شيح المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولَمّا جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقنا فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وناجاه، ﴿قَالَ﴾ موسى لِرَبِّه: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال الله له مجيبًا: ﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى

صححها الألباني في ظلال الجنة (٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢)، وفي «صحيح الترمذي» (٣٠٧٤).

(١) رواه أحمد (١٤٧٢١)، (١٥١١٥)، (١٩٦٥٤)، وصحح الروايات شعيب الأرنؤوط (٣٢٩/٢٣)، (٤٢٤/٣٢)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٩٤/٢) (٧٥٥). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في رؤية الله تعالى يوم القِيامة، وفيه: «... ثمَّ يتجلَّى، حتى إذا فرغ الله من القَضاء بينَ العِباد...» البخاري (٧٤٣٧). وقال ﷺ: «نَجيءُ نحن يومَ القِيامَة، ثم يأتينا رَبُّنا بعدَ ذلك، فيقول: مَنْ تنتظرون؟ فيقولون: ننتظرُ رَبَّنا، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتى ننظر إليكَ، فيتجلَّى لهم يضحكُ» مسلم (١٩١).

(٢) «المفردات» (٢٠٠)، و«عمدة الحفاظ» (٣٣٥/١)، و«معاني القرآن» وإعرابه للزجاج (٣٧٣/٢)، و«كتاب العين» (٢٥٥/١)، و«القاموس المحيط» (٢٣٣)، و«تفسير الطبري» (٤٩٥/٤).

(٣) «تفسير السعدي» (٣٠٢).

﴿ٱلْجَبَلِ﴾، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ يقول تعالى ذِكْره: فلما اطلع الرَّبّ للجبل، جعل الله الجبل ﴿دَكًّا﴾؛ أي: مستويًا بالأرض...»[1].

وتجلِّيه سبحانه لنبيه لموسى عليه السلام، لم يظهر منه سبحانه إلّا طرف خنصره تعالى، كما يليق بِجَلاله، وكَماله، وعظمته، وهذا يدل على أنه تعالى لا يقدر أحد على رؤيته في هذه الدّار، مع رؤيته، وعدم الإدراك له[2]، في آخر الدار.

الثاني: تجلِّيه تعالى في الآخرة وهو نوعان: الأول: **في عرصات يوم القِيامة**، والثاني: **في الجنة**.

الأول: سبحانه هنالك على نوعَيْن كذلك، الأول: **تجلي اختبار وتعظيم**، والثاني: **تجلي إنعامٍ وتكريم**، فالتجلي الأول: ينقسم إلى قسمان الأول: لـ«جميع هذه الأمة، بَرِّهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم. و(الثاني): وبعض أهل الكتاب، وهذه الرؤية: رؤية اختبار وامتحان»[3].

والتجلي الثاني: للمؤمنين، كما تقدم في الحديث: «يتجلَّى لنا رَبُّنا عَزَّوَجَلَّ يومَ القِيامَة ضاحِكًا»، وكما جاء في الحديث: «**إذا جمعَ اللهُ الأولى والأخرى يومَ القيامة، جاء الرَّبّ تبارك وتعالى إلى المؤمنين، فوقَف عليهم، والمؤمنون على كوم، (فقالوا: ما الكوم؟ قال: مكان مرتفع)، فيقول: هل تعرفون رَبَّكم؟ فيقولون: إنْ عَرَّفَنا نفسَه عرَفْناه، ثم يقول لهم الثانية، فيضحك في وجوههم، فَيَخِرُّونَ له سُجَّدًا**»[4]. وهذه رؤية فيها نوع من

---

(١) «التفسير» (٣/٤٩٤).
(٢) أي: عدم الإحاطة به من كل وجه، لأن الإدراك أخص من الرؤية كما تقدم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية.
(٣) «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» لإمام الأئمة ابن خزيمة (١/٤٢٠، ٤٣٠ ـ ٤٣٢).
(٤) «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (٢/٣٩٦) (٧٥٦).

التنعيم والتكريم، لأن ضحكَه سبحانه يتضمَّن: الفرح والبشارة والسُّرور والحبور.

«وهذه الرؤية قبل أن يوضع الجسر بين ظهري جهنم»(١).

التجلي الثاني في الآخرة: في الجنة، وهو الذي خصَّ به أهل ولايته، وهذا أعلى التجلي وأكمله، وفيه من النعيم ما الله به عليم، وهو التجلي في النظر إلى وجهه الكريم الجميل، قال ﷺ: «... فيكشف الحجاب، فيتجلى الله عز وجل لهم، فما أعطاهم الله عز وجل شيئًا كان أحبَّ إليهم من النظر إليه»(٢).

(٧٧) صفة الكمال (التَّأْيِيد) الجَلِيلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧](٣).

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنَّه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدُك بالله! هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا حسّان أجِبْ عن رسولِ الله ﷺ، اللهم أَيِّدْهُ بِرُوح القُدس**»؟ قال أبو هريرة: (نعم)(٤).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الأَيْد:** القوة الشديدة، قال تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ

---

(١) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/٤٢٠).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٨٩٣٦) وصححه شعيب الأرنؤوط (٣١/٢٦٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٧٢، ٤٧٥)، وصححه محقق الكتاب (٣٥٣، ٣٥٥).

(٣) وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣]. وقال عز شأنُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]. وقال سبحانه: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

(٤) البخاري (٤٥٣) (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥).




بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]؛ أي: قَوَّيْتُك، فعَّلت من الأيد، وقوله تعالى: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]؛ أي: ذا قُوَّة في الأقوال، والأفعال(١).

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: جاءت صفة التأييد الاختياريَّة الفعلية في الكتاب والسُّنّة الشريفة في سياق الثناء من الله تعالى، والتَّذْكير بنعمه الجَليلة على أنبيائه، وأوليائه، في النصرة والتَّمْكين، والغَلَبَة على الكفار، والفُجّار في هذه الدّار، كما في امْتِنانِهِ سبحانه على بني إسرائيل في إرسال عيسى عليه السلام، وهو آخر الرسل إليهم، بأنَّه سبحانه أيَّدَه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾؛ أي: قَوّاهُ بجبريل عليه السلام(٢).

وكذلك تأييدُه للملائكة للنبي ﷺ وصحبِه في بدر، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣] «أي: إنَّ في ذلك لمعتبرًا لِمَنْ له بصيرة وفهم يهتدي به إلى حكمة الله تعالى، وأفعاله، وقدره الجاري بنصر عبادِه المؤمنين في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقومُ الأشهادُ»(٣).

وكذلك تأييده جل وعلا لنبيه ﷺ في الغار، «بالملائكة الكِرام، الذين جعلَهم حرَسًا له»(٤) من الكفار، قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]

ومن ذلك: تأييده سبحانه لآحادٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم، كتأييده لحسان

---

(١) انظر: «عمدة الحفاظ» (١/١٤٣)، و«اللسان» (١/٢٩٦).

(٢) «تفسر ابن كثير» (١/١٨٢).

(٣) المصدر السابق (١/٤٨٥).

(٤) «تفسير السعدي» (٣٣٨).



بن ثابت الذي نافحَ عن النبي ﷺ باللِّسان، فأيَّده رَبُّ العزة والجَلال بخير الملائكة الكِرام، جبريل عليه السلام «عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَضع لِحَسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائِمًا يفاخر عن رسول الله»: «**إنَّ الله يُؤَيِّدُ حَسّانَ بروحِ القدس ما يُفاخر، أو يُنافح عن رسول الله** ﷺ»(١).

وقد جعل الله تعالى من أعظم أسبابِ تأييده، هو: الانتِماء إلى حِزبِه سبحانه(٢).

(٧٨) صفة الكمال (المُحْدِث) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

٢) وقال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال ﷺ: «**إنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **يُحدث من أمرِه ما يَشاء، وإنَّ مِمّا أحدثَ أنْ لا تكلَّمُوا في الصَّلاة**»(٣).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الحدوث:** كون الشيء بعد أن لم يكن، والحديث: نقيض القَديم، ويقال لكلّ ما قرب عهده: محدث، فِعالًا كان، أو مقالًا.

وأحدثه الله فحدث، وحدث أمر؛ أي: وقع. ومحدثات الأمور:

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٤٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٦٥٧).

(٢) قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(٣) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٩٢٤)، وفي «صحيح النسائي» (١٢٢١)، وانظر: مسند أحمد (٤٠٩/١)، (٤١٥)، (٤٣٥).

ما ابتدعَه أهلُ الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها، وهي ما لم يكن معروفًا في كتاب، ولا سُنَّة، ولا إجماع[1].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الله ﷻ هو الذي يُحدثُ ما يُريد إحداثَه، في أي وقتٍ شاء وأراد سبحانه، وإنَّ إحداثه ذلك من أفعاله التي هي أوصاف له، فيحدث الأمر من أمره تعالى، والكلام، ويطلق عليه أنه حدث، ومُحْدَث، لأنَّه وجد بعدما قبله، ويُسمّى كلامه تعالى حَديثًا، ويطلق عليه أنه حادث، ومحدث بمعنى الجَديد الذي تكلَّم به، بعد كتبه السابقة له، «وإن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين»[2]، فمن ذلك كلامه، ومُخاطبته لِمَن يريد أن يُخاطبَه من خلقه، وأمره لِمَن يأمره، ونهيه، وإجابته لِمَن يدعوه، وإحياؤه لِمَن يريد حياتَه، وإماتته لِمَن يُريد أن يُميته...، وتصرفه في خلقه، وملكِه كيف يَشاء.

فمعنى الحدث هو: الفعل المتجدد الذي يتعلَّق بِمَشيئته تعالى، سواء كان كلامًا، أو أمرًا، أو نَهيًا، أو إحياء لِمَيت، أو إماتة الحي، أو هداية ضالٍّ، أو ضلال غاوٍ، أو تغيرًا لحكم شرعه قبل ذلك، أو أذن به، أو تغيير ما في نُفوس بعض خلقِه، أو غير ذلك مِمّا يشاؤه ويُريده جَلَّ وعَلا[3].

(٧٩) صفة الكمال (الذِّمَّة) الجَليلة

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ صَلَّى الصبحَ فهو في ذِمَّة الله، فلا يطلبنّكم الله من ذِمَّته بشيء، فإنَّه مَنْ يطلبه من ذِمّته بشيء يُدركُه،**

---

(١) «اللسان» (٢/٣٤٩ - ٣٥١)، و«المفردات» (٢٢٢ - ٢٢٣)، و«النهاية» (١٩١ - ١٩٢).

(٢) من كلام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صَحيحه (١٣/٦٠٧).

(٣) «شرح كتاب التوحيد» للعلامة الغنيمان (٢/٧٦٨ - ٧٧٠).

ثم يكبّه على وجهه في نارِ جَهَنَّمَ»[1].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الذِّمَّة** بالكسر: العهد، والكَفالة، والضَّمان، والأمان، والحُرمة، والحَقّ، والحِفظ، والكلاءة، والإجارة[2].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الذِّمَّة من أفعال الله تعالى الاختيارية والتي تقع شيئًا فشيئًا وفق مشيئته تعالى وتبعًا لحكمته، وإرادته، وهي تتعلَّق بالأسباب، «فمن هذه الأسباب: صلاة الصبح، «**مَنْ صَلَّى الصبحَ فهو في ذِمَّة الله تعالى**»؛ أي: في عهده، وأمانِه، وإذا كان في عهد الله وأمانه، لزمَه أن يُراعي هذا العهد، والأمان، فلا يُخالف الله تعالى في شيء، لأنه إذا خالف الله، فهو بمنزلة نقضِ العهد، ولهذا قال: «**فلا يطلبَنّكم الله من ذِمَّته بشيء**»»[3].

(٨٠) صفة الكمال (الفَرَاغُ مِنَ الشَّيْءِ) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**خلقَ اللهُ الخلقَ، فلَمّا فرغَ منه، قامت الرَّحِمُ، فقال: مَهْ، قالت: هذا مَقامُ العائِذ بك من القَطيعة**»[4].

---

(١) مسلم (٦٥٧). وكان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميرًا على جيش أو سَرِيَّة، أوْصاه في خاصَّته بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ...، ثم قال: «**وإذا حاصَرْتَ أهلَ حِصْن فأرادوكَ أن تجعلَ لهم ذِمَّةَ الله، وذِمَّة نبيه ﷺ...**» الحديث. مسلم (١٧٣١). وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صلاتَنا، واستقبلَ قِبلَتَنا، وأكل ذَبيحتَنا، فذلك المسلم، الذي له ذِمَّة الله، وذِمّة رسوله، فلا تخفروا الله في ذِمَّته**» البخاري (٣٩١).

(٢) «النهاية» (٣٣٠)، «القاموس المحيط» (٤٧٣)، و«الصحاح» (٣٧٥).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٥٥٥/٢).

(٤) البخاري (٧٥٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤). وحديث رؤية الله تعالى في الآخرة، وفيه: «**حتّى إذا فرغَ الله من القَضاء بين العِباد، وأرادَ أن يخرج برحمته مَنْ أرادَ من أهلِ النّار، أمر الملائكةَ أن يُخرجوا من النار مَنْ كان لا يُشرك بالله شيئًا...، ثمَّ يفرغ اللهُ من القَضاء بين العِباد، ويبقى رجلٌ بين الجنةِ والنار...**» صحيح البخاري (٦٥٧٣)، (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).



۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** فرغ: خلاف الشغل، وهذا المعنى غير جائز في حقِّ الله تعالى، لأنَّه لا يشغله شأن عن شأنه، ويأتي بمعنى: قصد الشيء وإتمامه، والانتهاء منه، ويقال في الوعيد: لأفرغنَّ لك، وهذه المعاني جائزة في حقِّه سبحانه(١).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** صفة الفَراغ الفعلية الكَمالية جاءت في الكتاب في سِياق الوعيد، والتهديد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ»(٢).

وهذا المعنى معروف في كلام العرب، يقال: «لأتفرغنّ لكَ»، وما به شغل، يقول: لآخذنَّك على غِرَّتِك(٣).

والمعنى سنفرغ لحِسابكم، ومُجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا(٤).

وجاء بضمير الجمع: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ للتعظيم؛ أي: تعظيمًا لنفسه جلَّ وعلا، وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ يعني: الجن، والإنس، وإنَّما وجه هذا الوعيدَ إليهما، لأنَّهما مناط التكليف(٥).

أمّا في السنة فقد جاءت في معنى هذه الصفة بأوسع مِمّا في الكتاب، إضافة بالمُحاسبة والجَزاء، بمعنى: الانتهاء من إتمام العمل، كما في حديث الرؤية: «**حتى إذا فرغَ الله من القَضاء بينَ العِباد**» والمعنى:

---

(١) انظر: «عمدة الحفاظ» (٣/٢٢١)، و«المعجم الوسيط» (٧١٧).
(٢) «التفسير الصحيح» (٤/٤٢٥).
(٣) «تفسر ابن كثير» (٤/٣٥٧).
(٤) «تفسير السعدي» (٨٣٠).
(٥) «تفسير سورة الرحمن» لابن عثيمين (١٠/١٩١).



أنَّ أفعال الله سبحانه تأتي شيئًا فشيئًا، فإذا انتهى فعل جاء بعده فعلٌ آخر، لأنَّ كل عمل له بِداية، ونهاية، ونِهايته: الفراغ منه، وليس المعنى: أن يشغلَه شأن عن شأنٍ، ثم يفرغ من هذا، ويأتي إلى هذا، فهو سبحانه يُدبِّر كلَّ شيء في آنٍ واحد، في مشارق الأرض ومَغاربِها، وفي السموات العُلا، فهو تعالى لا يعجزه شيءٌ، فلو شاء لفعلَ كلَّ شيء في لحظة واحدة، ولكنَّه سبحانه يفعلُ الأفعالَ بحسب حِكمتِه، وإرادتِه، فيفعل الفعلَ أولًا ثم يفعل الفعل الثاني من أجل أن تترتَّب المفعولات، (أي: المخلوقات) والمعنى كما تقدم: أنَّ الله تعالى يتولَّى مُحاسبةَ عبادِه بنفسه، وينتهي من ذلك، وهو تعالى أسرع الحاسبين، وجاء وصف الله تعالى بذلك في كثيرٍ من النُّصوص، وهو من أوصاف الفعل، وهي كثيرة[1].

(٨١) صفة الكمال (الوَفِيّ) الجَليلَة

﴿ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥][2].

﴿ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: كما في الحديث القدسي العظيم: «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي...، يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها...**»[3].

﴿ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الوفاء**: ضد الغَدْر، يقال: وفَّى بعهده، وأوفى

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/٣٩٦)، وسورة الرحمن (١٠/١٩١) لابن عثيمين، و«شرح كتاب التوحيد» من صحيح البخاري للغنيمان (٢/١٠٠).

(٢) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]. وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

(٣) مسلم (٢٥٧٧).




فهو موفٍ، إذا أتمَّ العهدَ ولم ينقض حفظَه.

وكل شيء بلغ تمام الكَمال، فقد وفى وتمَّ، ومنه: أوفيت الكيلَ والميزانَ[1].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف ربّنا نفسه بصفة الفعل العلية: الوفي، والتي تتضمَّن على كمال الصدق، وحسن الوفاء بالعهد، والوعد، والعدل، والفَضْل، والكرم، ونفوذ الإرادة، وسعة المَشيئة، وغيرها من صفات الجَلال، فهو الوفي سبحانه الذي لا أوفى منه على الإطلاق، في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد:

(١) فهو تعالى الموفي لكلِّ الخَلائق بِما ضمن لهم من أرزاقهم، وحاجاتهم، وضرورياتهم في مَعاشهم، الخلق كلهم على سواء: المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر.

(٢) وهو الموفي للعباد يوم المَعاد من الأجر، والثَّواب، وإحقاق الحَقّ، ونقض الباطل، «فهو تعالى لا يعجزه جزاء المحسنين، ولا يمنعه مانعٌ من بُلوغ مرامه، ولا تلحقه ضرورة إلى النقص من مِقداره»[2]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، لأنه تعالى هو الصادِق، العادِل، القادِر، الذي لا يخلف ما وعدَ.

(٣) وقد ضمنَ الله ﷻ لكلِّ مَنْ قام بعهده الذي أخذَه على عباده من النَّواهي، والأوامر، والوصايا، والتي أعظمُها، وأجلّها على الإطلاق: الإيمان به، وبِرسوله، وإقامة شرعه، أوفى بعهده سبحانه، وهو أن

---

(١) «كتاب العين» (٤/٣٨٨)، «المفردات» (٨٧٨).

(٢) «المنهاج» للحليمي (١/٢٠٦).




يدخلهم دارَ جنته، جزاءً، وِفاقًا منه عزّ شأنه، فوفاؤهم بعهد الله تعالى أمارة لِوَفاء الله تعالى لهم، لا علة له، بل تفضُّل منه عليهم سبحانه، قال ربُّ العالمين: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠][(١)].

(٨٢) صفة الكمال (العَزْم) الجَليلة

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** ١) عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: (.. فلمّا توفي أبو سَلَمة قلت: مَنْ خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟! ثم عزمَ الله لي، فقلتها)، قالت: (فتزوَّجْتُ رسولَ الله ﷺ)[(٢)].

٢) الدعاء الذي عَلَّمه ﷺ لوالد عمران بن حصين رضي الله عنه: «**اللهم قِني شَرَّ نفسي، واعزِمْ لي على أرشد أمري**»[(٣)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: العزم:** عقد القلبِ[(٤)] على إمضاء الأمر، يقال: عزمت الأمرَ، وعزمت عليه، واعتزمت؛ أي: إذا أردتُ فعله، وقطعت عليه[(٥)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** (العزم) من أفعاله الاختيارية سبحانه، والتي تقومُ بِذاته، ومَشيئته، وقدرته، وحكمته، كما يليقُ بِعَظمته، وجَلاله، وكماله، لا تشبه عزم المخلوقين، ومعنى العزم في حقهم: «القصد

---

(١) «الأسنى» (٤٢٢/١)، و«تفسير السعدي» (٥٠) بتصرف كبير.

(٢) مسلم (٩١٩).

(٣) وفي لفظ: «... وأسألُكَ أن تعزمَ لي على أرشد أمري». أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢٦٠) (٤٥٠/٢)، والوادعي في «صحيح المسند» (٣١٠) (٢٥٤/١).

(٤) هذا في حقِّ العبد، أما في حقِّ الرب فله معنى يليق بجلاله وعليائه خلاف الخلق.

(٥) قال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧]. «المفردات» (٥٦٥) و«مقاييس اللغة» (٦٦٨).



الجازِم المتصل بالفعل، وقيل: استجماعُ قوى الإرادة على الفِعْل»[1] والعزم بهذا المعنى، يليق بعجز المخلوقين، ونقصهم، وضعفهم، أمّا في حَقِّه تعالى فله شأن آخر لا تعلم كيفيتُه، وحقيقتُه، مع إيمانِنا وتصديقِنا بأنَّها صفة حقيقية عليَّة تليقُ بسُمُوِّ كمالِه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع فَتاويه: «وهل يجوز وصفه بالعَزْم؟ فيه قولان: أحدُهما، المَنْع، كقول القاضي أبي بكر، والقاضي أبي يَعْلى. والثاني: الجَواز، وهو أصحّ، فقد قرأ جَماعة من السَّلَف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] بالضَّمّ[2]، وفي الحديث الصحيح من حديث أم سلمة: «ثمَّ عزمَ الله لي»)[3].

(٨٣) صفة الكَمال (المُخْرِج) الجَليلَة

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧][4].

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: خرج: أصل الخروج: البروز من المقرّ، أو

---

(١) مجموع رسائل للحافظ ابن رجب الحنبلي (٣٧٢/١).

(٢) قراءة الضم قراءة شاذَّة، قرأ بها: عكرمة، وجابر بن زيد، وأبو نهيك، وجعفر الصادق، بصيغة المتكلم، نسب العزمَ إلى نفسه سبحانه إذ هو بهدايته وتوفيقِه، كما في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، إذا قطعت لك بشيء، وعنيته لك، وأرشدته إليك، فتوكل علي، ولا تشاور به أحدًا. انظر: «تفسير القرطبي» (٥٩٩/٢) و«المحرر الوجيز» (٥٣٤/١)، و«روح المعاني» (١٦٨/٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٠٣/١٦).

(٤) وقال عز شأنُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥]. وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧].




الحال، سواء أكانَ المقرّ دارًا، أم بلدًا، أم ثوبًا، وسواء كان الحال حالةً في نفسه، أو بأسبابه الخارجة عنه، وأكثر ما يكون الإخراج في الأعيان، ويقال في التكوين الذي هو من فعل الباري تعالى، نحو: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣][(١)]، وبالجملة فهو إخراج الأشياء من مقارِّها سواء كانت حسية، أو معنوية، كما سيأتي في المعنى الشرعي.

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاء الفعل الاختياري الإخراج في حَقِّ رَبِّنا سبحانه متنوعًا على مقتضى حكمته، التي تتعلَّق بأسباب، كما سبق، فهو ﷻ المخرج من كلِّ وجه واعتبار لكل الأشياء على الإطلاق: في الأولى، وفي العُقْبى.

ففي الأولى: الإخراج المعاشي، والإخراج الشرعي، فالمعاشي قسمان:

۞ **الأول: إخراج حِسِّيّ. والثاني: إخراج معنوي.**

الإخراج الحِسِّيّ: وهو نوعان كذلك:

أ) **إخراجُ الأشياء من العَدَم إلى الوُجود**، وهذا لا حصر له، من ذلك:

إخراجُ الأحياء من الأموات، كقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧]، فقوله سبحانه: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: «كالفرخ من البَيْضة، وكالشجر من النَّواة، والزرع من البذرة، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: كالبيضة من الطائر، وكالنَّوى من الشجر، وكالحَبِّ من الزَّرْع، وما جرى هذا المجرى من جَميع الأشياء، فهو

---

(١) «المفردات» (٢٧٨)، و«عمدة الحفاظ» (٢/٤٩٥).




تعالى مخرج الأضداد، الضدّ من ضِدِّه»[1].

ب) **إخراج الموجود إلى عالَم الوُجود**، كإخراج الطفل من بطنِ الأُمّ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل: ٧٨].

والثاني: إخراج معنويّ:

أ) إخراج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، وهو داخل في قوله سبحانه: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ «يعني المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن»[2].

ب) إخراج ما في القلوب من الأحقاد، والضغائن، والمذام، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]، وقال عز شأنُه: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ[3]﴾ [محمد: ٢٩][4].

«وقد وَفَّى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة (أي: التوبة) التي بَيَّنَتْهم وفضحتهم، وهتكتْ أستارَهم»[5].

۞ القسم الثاني في الدُّنيا: الإخراج الشرعي الدِّيني:

وهو الذي خصَّه سبحانه لأنبيائه، وأصفيائه، وأوليائه، الذي فيه معاني اللُّطْف، والحفظ، والعِناية، والنصرة. **وهو نوعان:**

---

(١) «تفسر ابن كثير» (١/٤٩٣)، و«تفسير السعدي» (١٢٧).

(٢) من كلام الحسن البصري. «التفسير الصحيح». (١/٤٠٨).

(٣) الأضغان: جمع ضغن، وهو: ما في النُّفوس من الحسد، والحقد (خاصَّة) للإسلام وأهله، والقائمين بنصره. «تفسر ابن كثير» (٤/٢٣١).

(٤) وقال سبحانه: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

(٥) «تفسير السعدي» (٣٤٢).




الأول: إخراج إيماني روحي: من الظلمات إلى نورِ الهُدى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] «أي: يخرج عبادَه المؤمنين من ظلمات الكُفْر، والشك، والريب، إلى نُورِ الحَقّ الواضح الجلي المبين السهل المُنير»(١).

الثاني: إخراج بَدَنِيّ: من الشُّرور، والشدائد، والهلكات، والنصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥] «وهم بيت لوط عليه السلام إلا امرأته، فإنها من الهالكين»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

ومن الآيات التي تجمع نوعي ما تقدم، قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] «أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلّها في طاعتك وعلى مرضاتِك، وذلك لتضمنِها الإخلاص، وموافقة العمل»(٣).

وكما في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢] «أي: ومن يتقِ الله فيما أمرَه به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمرِه فرجًا ومخرَجًا من كل شيء، ويرزقه من حيث لا

(١) وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. «تفسر ابن كثير» (١/٤٣٥).

(٢) «تفسير السعدي» (٨١٠).

(٣) المصدر السابق (٤٦٥).

يحتسب؛ أي: من جهةٍ لا تَخطر ببالِه»[١].

وفي آخر الزَّمان يخرج سبحانه دابَّةً تكلم الناسَ عند فَساد دِينهم، وتركهم أوامر ربِّهم، قال ﷺ: «**إنَّ أولَ الآيات خروجًا طلوع الشَّمْسِ مِن مغربِها، وخروج الدّابَّة على النّاس ضُحًى...**»[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكلمهم»، قال: (تُحَدِّثُهم)[٣].

والإخراج في العُقْبى:

الأول: إخراج الموتى من القُبور إلى البعث والنُّشور، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]؛ أي: «فيخرجهم من قُبورهم، كالحالِ في إخراجهم من بُطون أمَّهاتهم، حُفاة عراة غُرْلًا بُهْمًا ليس معهم شيء»[٤].

وكقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨].

إخراج كتب الأعمال ونشرها للأنام:

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

أي: نخرج له كتابًا فيه ما عمله من الخير والشر حاضرًا، صغيره وكبيره[٥].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٠٢).

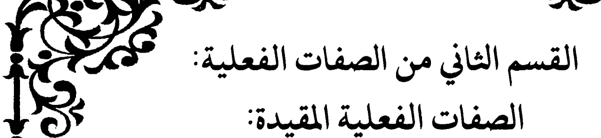
(٢) مسلم (٢٩٤١).

(٣) «التفسير الصحيح» (٤/٣٦).

(٤) «الأسنى» (١/٣٤٨).

(٥) «تفسير السعدي» (٤٥٥).





القسم الثاني من الصفات الفعلية:
الصفات الفعلية المقيدة:

وهي تنقسم كذلك إلى قسمين:

أولاً: صفات فعلية مقيدة على جهة المقابلة في الجزاء بالمثوبة.

ثانيًا: صفات فعلية مقيدة على جهة المقابلة في الجزاء في العقوبة.

ولكل قسم نوعان: الأول: من جنس الفعل ونوعه، والثاني: من غير جنس الفعل ونوعه.

وسنبدأ بتوفيق من الله تعالى بالقسم الأول من النوع الأول[(١)]، وهي: الصفات الفعلية المقيدة على جهة المقابلة بالمثوبة من جنس الفعل ونوعه ونظيره.

الصفات المقيدة على وجه المثوبة

(١) الصفة المقيدة (التَّيْسِير) العليَّة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «... **ومن يسَّر على مُعسرٍ في الدنيا يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة**»[(٢)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **التيسير**: من اليسر، وهو ضدُّ العُسر، وهو

(١) أما القسم الثاني من الصفات الفعلية المقيدة على جهة العقوبة سنذكر النوعين.

(٢) مسلم (٢٦٩٩).




السهولة (واللين)، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][(١)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: إن من فضل الله وسعة إحسانه وآلائه، أنه يجازي عبده بالخير بجنس عمله بلا حدٍّ ولا قيد، من المضاعفة في المثوبة، ومن ذلك: التيسير على أخيه المسلم: «**ومن يسَّر على مُعسرٍ في الدنيا**»، «أي: سهَّل على ذلك إعسار»[(٢)]، ويكون ذلك من عدة أوجه: «بإبراءٍ، أو هبةٍ، أو صدقةٍ، أو نَظِرةٍ إلى ميسرة، أو نحو ذلك بأن يكون واسطة في ذلك»[(٣)].

ولما كانت العادة أن الجزاء من جنس العمل ثوابًا وعقابًا، ومنه: اليسر باليسر[(٤)]: قال: «**يسَّر الله عليه**»، أي: أموره ومطالبه، «**في الدينا والآخرة**»: مجازاة له عليه من جنس عمله[(٥)]، ويشمل هذا التيسير: تيسير المال، وتيسير الأعمال، وتيسير التعليم وغير ذلك، أيَّ نوعٍ من أنواع التيسير[(٦)].

وهنا ذكر الجزاء في موضعين: الأول: في الدنيا، والثاني: في الآخرة[(٧)]، والتيسير "في الآخرة: بتسهيل الحساب، وما يتبعه من مشاق يوم القيامة"[(٨)].

---

(١) «المفردات» (٨٩١).

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، «شرح الأربعين النووية» لابن عثيمين (٣٩٣).

(٣) ينظر: «الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية» للمحدث برهان الدين الشبرخيتي (٦٠٩).

(٤) «المعين على تفهم الأربعين» للعلامة ابن ملقن (٤٠٧).

(٥) «الفتوحات الوهبية» (٦٠٩).

(٦) كما دلَّ التنكير في سياق الشرط، والذي يفيد العموم والشمول كما هو عند أهل الأصول معلوم.

(٧) «شرح النووية» لابن عثيمين (٣٩٣).

(٨) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة» عز الدين الصابري (١٢٣).

وهذا يدُلُّ على أنَّ الإعسار قد يحصل في الآخرة، وقد وصف الله يوم القيامة بأنه يومٌ عسير، وأنه على الكافرين غير يسير[1]، فدلَّ على أنه يسير على غيرهم[2].

(٢) الصفة المقيدة (الرَّدّ) العليَّة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**من ردَّ عن عرضِ أخيه، ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الردُّ:** صرف الشيء بذاته، أو بحالةٍ من أحواله عما هو عليه، **فمن الأول:** ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، **ومن الثاني:** ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، والردُّ: الرجوع، يقال: ردَّه إلى منزله، أي: رجع[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** إن من محامد الله تعالى محبته للألفة بين المؤمنين، وقطع دابر الخصومة والفرقة أمام الشَّاقين، ولهذا جاء على لسان نبيِّه ﷺ الأمين بقوله: «**من ردَّ عن عرض أخيه**»، "في الدين، أي: ردَّ على من اغتابه وشان من آذاه وعابه"[5].

وسواء ردَّ عن عرضه وهو غائب أو حاضر، والأول أفضل، وهذا في الردِّ عن عرضه، وبه يعلم أنَّ المنع عن ماله، ودمه أفضل وأعظم عند الله أجرًا[6].

---

(١) كما قال ربنا: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (٢/٢٨٩).

(٣) «صحيح الترمذي» (١٩٣١).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٢/٨٢)، و«الصحاح» (٤٠٠).

(٥) «فيض القدير» (٦/١٣٥).

(٦) «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (١٠/٢٣٣).




قوله: «**ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**»، أي: صرف الله عن وجهِ الرَّادِّ نارَ جهنم[1]، جزاءً بما فعل[2].

وهذا يدُلُّ على كمال جزاء الله تعالى لتضمُّنه الفضل، والعدل، وهذا غاية الكمال، ولهذا كما تقدَّم أنه أفعاله تعالى كلها مقترنة بسعة العلم، وكمال الحكمة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فانظر يا رعاك الله إلى عظم الجزاء أمام هذا العمل اليسير.

(٣) الصفة المقيدة (المعرفة) العليَّة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك بالشدَّة**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **تعرَّف**: العرف ضد النكر، والمعرفة والعرفان: إدراك الشيء بتفكير وتدبُّر لأثره، وهو أخصُّ من العلم، ويضادُّه: الإنكار[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: أخبر الصادق المصدوق ﷺ: أنَّ العبد إذا

(١) «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (٥/٣٤٥).

(٢) «فيض القدير» (٦/١٣٥)، يقول المناوي رحمه الله: «وذلك: لأن عرض المؤمن كدمه، فمن هتك عرضه فكأنما سفك دمه، ومن عمل على صون عرضه فكأنما صان دمه، فيجازى على ذلك بصونه عن النار».

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٨٣٠)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٥/١٩).

(٤) ويقال: «فلانٌ يعرف الله»، ولا يقال: يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد، لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته. المفردات (٥٦٠)، قال ابن الأثير رحمه الله: «**تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك بالشدة**»، "أي: اجعله يعرفك بطاعته والعمل فيما أولاك من نعمته، فإنه يجازيك عند الشدة والحاجة إليك في الدنيا والآخرة". النهاية (٦٠٧).



اتقى الله وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرَّف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربِّه معرفة خاصَّة، فعرفه ربّه في الشدة، ورعى له تعرُّفه إليه في الرخاء، فنجَّاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصَّة تقتضي قرب العبد من ربِّه، ومحبَّته له، وإجابته لدعائه.

فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان، وهذه لعامة المؤمنين.

والثاني: معرفة خاصَّة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصَّة هي التي يدور حولها العارفون.

ومعرفة الله أيضًا لعباده نوعان:

معرفة عامة: وهي علمه سبحانه بعباده، واطِّلاعه ما أسرُّوه وما أعلنوه(1).

والثاني: معرفة خاصَّة، وهي تقتضي محبَّته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد.

وفي الجملة: فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدَّته، فإنَّ الجزاء من جنس العمل(2).

ومن ذلك التعرُّف: كما وقع للثلاثة الذين آووا إلى غار في جبل

---

(1) كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]. وقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

(2) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (١/٤٦٥، ٤٧٣).




فانحدرت عليهم صخرة[(١)(٢)].

(٤) الصفة المقيدة (التَّجَاوُز) العليَّـة

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**كان تاجرٌ يداين الناس، فإذا رأى مُعسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعلَّ الله أن يتجاوز عنَّا، فتجاوز الله عنه**»[(٣)(٤)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **التجاوز والتجويز**، معناهما: المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير[(٥)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: إن من أوجه كمال ربنا الذي لا يتناهى: أنَّ صفاته تتفاضل فيما بينها، فصفات الرحمة، والعفو والبر والإحسان، سابقة على صفات العقوبة والغضب والانتقام، وهذه الصفة الكريمة (التجاوز) من النوع الأول، قوله: «**لعلَّ الله أن يتجاوز عنا**»: هذا من حسن الظنِّ بالله تعالى بكمال صفاته، والتي تقتضي حسن العبودية بالعبد للرب، خاصةً إذا اجتمع مع هذا الظنِّ بعمل يقتضيه، وقد تقدَّم مرارًا أنَّ الله يحبُّ من اتصف بمقتضيات أسمائه وصفاته، وأنه سبحانه

---

(١) صحيح البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) «الفتوحات الوهبية» (٤٠٦).

(٣) البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(٤) وفي رواية النسائي: «**أن رجلاً لم يعمل خيرًا قط، وكان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا، فلما هلك، قال الله عز وجل له: هل عملتَ خيرًا قط؟ قال: لا إلا أنه كان لي غلام وكنتُ أداين الناس، فإذا بعثتُه ليتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر واترك ما تعسر، وتجاوز، لعلَّ الله أن يتجاوز عنا، قال الله تعالى: قد تجاوزتُ عنك**» صحيح النسائي (٤٦٩٤) (٤٦٩٥).

(٥) «شرح النووي لمسلم» (٥/٤٩٢).

يعامل عباده بمقتضى ما يعاملون به خلقه في الدنيا والآخرة.

"والتجاوز في هذه (الأحاديث) هو نوع تجاوز خاص، لا يكون إلا لمن حصل منه التجاوز في الدنيا عمَّن احتاج إليه، فهو جزاء من جنس عمله"(١).

(٥) الصفة المقيدة (الذِّكْر) العليَّة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال ﷺ: **«يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم..»**(٢).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: الذكر خلاف النسيان، والذكر: العلا والشرف، والذكر ذكران: ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللسان(٣).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾: تنوَّعت أقوال السلف في معنى الآية، فقيل: اذكروني أيها المؤمنون بطاعتكم إياي، فيما أمرتكم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتي ومغفرتي لكم.

وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، وقيل: إن ذكرني عبدي بالتنزيه والتقديس سِرًّا، ذكرته بالثواب والرحمة سِرًّا، وقيل: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ

---

(١) «عقيدة أهل السنة في صفات الله» (١٠٧).

(٢) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥)، وقال ﷺ: «لا يقعد قومٌ يذكرون الله عز وجل إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» مسلم (٢٧٠٠).

(٣) «مقاييس اللغة» (٣٢١)، و«المفردات» (٣٢٨).




أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وغيرها من الأقوال والتي بمجموعها ترجع إليها[(١)].

وذكر العبد ربَّه تعالى في نفسه نوعان:

أحدهما: في نفسه من غير حروف يسمعها هو.

الثاني: ذكر بلفظ خفي يسمعه هو دون غيره.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وذكر العبد في نفسه يتناول القسمين جميعًا[(٢)].

وعليه: فإن العبد إذا ذكر الله تعالى في نفسه وهو: إما أن يكون سِرًّا بلسانه لا يسمعه أحد، أو قلبيًّا غير شفاهيًا، فإن الله يذكره في نفسه، ويثيبه ثوابًا مخفيًّا عن عباده، وأعطاه عطاءً لا يطَّلع عليه غيره[(٣)].

وكذلك إذا ذكر الله تعالى العبد عند جماعة، فإن الله يذكر العبد في ملإٍ خيرٍ منهم، أي: في ملأ من الملائكة يذكره عندهم، ويعلي ذكره، ويثني عليه عندهم، (وينبغي أن يعلم) أن الإنسان إذا ذكر الله في ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه[(٤)].

ومعنى النفس «**ذكرته في نفسي**»: "عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته العلا، ليس المراد بها ذاتًا منفكَّةً عن

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١/٤٣٣)، و«البغوي» (١/١٦٧)، و«ابن كثير» (١/٧٩)، و«شرح السنة» للبغوي (٥/٢٦)، و«فتح الباري» (١٣/٤٧٢).

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/٤٨٥).

(٣) انظر: «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٤/٣٠)، وتحفة الذاكرين للشوكاني (١١).

(٤) انظر: «شرح رياض الصالحين» (٤/٣٠)، وإنما صار الذكر في ملأ الثاني خيرًا من الذكر في الأول، لأن الله هو الذاكر فيهم والملأ الذين يذكرون والله فيهم أفضل من الملأ الذين يذكرون الله وليس الله فيهم، فيذكره سبحانه عندهم بما يعظم به شأنه ويرتفع به مكانه، بالثناء الجميل، وإعطاء الأجر الجزيل، وحسن القبول، وتوفيق الوصول، ينظر: «الفتح» (١٣/٤٧٣)، و«التحفة» (١٢)، و«مرقاة المفاتيح» (٥/١٤٠).




الصفات، ولا المراد بها صفة للذات"[١].

"والذكر المضاف إليه تعالى هو من الصفات الفعلية، إذ هو فردٌ من أفراد الكلام الثابت له سبحانه، فصفة الكلام ذاتية لله تعالى، ومنها أفراد وآحاد تكون فعلية متى شاء عز وجل، ومن هذه الأفراد ذكره سبحانه لعبده، فهو ذكر مخصوصٌ بمن ذكره"[٢].

ولذلك فهذا الذكر يختصُّ بمن ذكره تعالى، فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر[٣].

وما أجمل أن يستحضر العبد حين يذكر ربه تعالى بأن الله يذكره في حاله وآنه، فقد جاء عن أحد كبار التابعين وهو: عثمان النهدي رحمه الله أنه قال: "إني لأعلم حين يذكرني ربي، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: إن الله يقول: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، فإذا ذكرت الله ذكرني"[٤].

(٦) الصفة المقيدة (الإنفاق) العليَّة

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: ١) قال ﷺ: **«قال الله تعالى: أَنْفِقْ يا ابن آدم أُنْفِقْ عليك»**[٥].

٢) وقال ﷺ: **«ألا إنَّ ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ممَّا علمني يومي هذا...، وأنفق فسيُنفق[٦] عليك»**[٧].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩٢/٩).
(٢) «عقيدة أهل السنة في صفات الله تعالى» (٢٥٧).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣٤/١٣).
(٤) «الصحيح المسبور من التفسير المأثور» (٢٥٩/١).
(٥) البخاري (٥٣٥٢)، ومسلم (٣٩٣).
(٦) وفي بعض النسخ (فسننفق).
(٧) مسلم (٢٨٦٥).




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: أنفق:** تدُلُّ هذه الكلمة على معنيين: انقطاع الشيء وذهابه، والآخر: على إخفاء الشيء وإغماضه، والإنفاق وهو بذل المال: قد يكون في المال، وفي غيره، وقد يكون واجبًا وتطوُّعًا[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** إن محبَّة الله تعالى للخير والجود والإنعام فوق ما يتخيله أيُّ أحد من الأنام، فهو سبحانه يحب أن ينعم على عبده ويزيده من فضله، ولهذا أرشده على البذل والإنفاق لينعم عليه من الآلاء، ولهذا حثَّه بقوله: «**أنْفِقْ**»، أي: "على عباد الله، وفي ترك تقييد النفقة بشيء معين ما يرشد إلى أنَّ الحثَّ على الإنفاق يشمل جميع أنواع الخير"[2]، حتى يقابله تعالى من جميع أنواع وأفراد الخيرات الدنيوية والأخروية.

كما قال سبحانه: «**أُنْفِقْ عليك**»، أي: إذا أنفقت مالك فيما يرضى الله تعالى فسينفق الله عليك ويعطيك خَلَفه، فهو وعدٌ من الله تعالى تبشير الخلق من فضله، وهذا هو معنى قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩][3].

ثم أكَّد تعالى بشارته للمنفق بذكر صفةٍ من أعظم صفاته الذاتية وهي: اليدين، قال ﷺ[4]: «**يمين الله ملأى**[5] **لا يغيضها**[6] **نفقة**،

(١) «مقاييس اللغة» (٩٠٨)، و«المفردات» (٨١٩).

(٢) «فتح الباري» (٩/٦١٨).

(٣) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٢/٢٥٠)، و«شرح النووي لصحيح مسلم» (٤/٨٧)، و«الفتح» (٩/٦١٨).

(٤) كما في تكملة الحديث القدسي المتقدم.

(٥) كما في لفظ عند البخاري (٤٦٨٤).

(٦) أي: لا ينقصها.




سحَّاء[1] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه»[2].

ودلَّ الحديثان على "أنَّ الله تعالى يقابل نفقة عبده في وجوه الخير بأن ينفق عليه نفقة خاصة جزاء له على فعله، وهي صفة فعلية اختيارية متعلقة بإرادته ومشيئته"[3] المقترنة بحكمته.

(٧) الصفة المقيدة (الإفْسَاح) العليَّة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«لا يُقيم الرجل الرجل من مجلسه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم»**[4].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الفسح:** الواسع من المكان، والتفسُّح: التوسُّع، يقال: "فسحت مجلسه فتفسح منه"، ومنه قيل: فسحت لفلان أن يفعل كذا، كقولك: وسَّعت له[5].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** أمر ربنا تعالى خلقه الذي أوامره كلها خير ورشد ومصلحة التي تعود على عباده بالمنافع والخيرات العاجلة والآجلة بأدبٍ سامٍ رفيع، وهو: أنهم "إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس

---

(١) السح: الصب الدائم.

(٢) مسلم (٩٩٣).

(٣) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة» (٢٣٠، ٢٣٢).

(٤) رواه أحمد (٨٤٦٢) (١٠٦٦) وحسن إسنادهما شعيب الأرنؤوط (١٧٣/١٤) (١٨٦/١٦) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٨).

(٥) «المفردات» (٦٣٥،) و«النهاية» (٧٠٥).

مجتمعهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسُّح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود، وليس ذلك بضارٍّ الجالس شيئًا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسَّحَ الله له، ومن وسَّع لأخيه وسَّع الله عليه"[1]، كما في قوله سبحانه: ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: أطلق سبحانه الوعد بالجزاء على الفاسح ولم يقيِّده بزمان، ولا مكان، ولا حال، ليفيد العموم في الدارين، أي: يفسح الله له في عيشه، وقبره، وجنته.

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وحذف متعلق ﴿يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: ليعلم كل ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة، من مكانٍ أو رزقٍ، أو جنَّة عرضها السموات والأرض على حسب النيات[2]"[3].

(٨) الصفة المقيدة (الإخلاف) العليَّة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمٍ تصيبه مصيبةٌ فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم! أْجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها»**[4].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الخلف:** بالتحريك والسكون: كل من يجيء

(١) «تفسير السعدي» (٨٤٦).

(٢) «التحرير والتنوير» (١١) (٣٨/٢٨).

(٣) ومما جاء في معنى هذه الصفة الكريمة صفة (السعة) قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ وسَّع على مكروبٍ في الدنيا وسَّع الله عليه كربه في الآخرة...» رواه أحمد (٧٧٠) وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (١٣٠/١٣).

(٤) مسلم (٩١٨)، وتكملة الحديث: أنَّ أم سلمة رضي الله عنها قالت: «أيُّ المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتُها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ».




بعد من مضى، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر، والخلف: العوض[(١)(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: إن العبد في هذه الدار لا ينفكُّ من المصائب والنكبات، ولما كان ذلك له وقعًا شديدًا عليه، جعل الله تعالى له عوضًا وأجرًا عظيمًا إذا صبر واحتسب، ولم يشكو لأحد، لأنه سبحانه عطوفٌ شفوقٌ على أوليائه برٌّ بهم في كل أحوالهم.

قوله: «**فيقول ما أمره الله: إنا لله وإليه إليه راجعون**»: "كلمة اعترافٍ بالملك لمستحِقِّه، وتسليمٌ له فيما يجريه في ملكه، وتهوينٌ للمصيبات بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتب عليها، وتذكير المرجع والمآل الذي حكم به ذو العزة والجلال"[(٣)].

فهي كلمة تصُبُّ على الفؤاد بردًا ورضًا واستسلامًا، وعلى الروح والجسد سكينةً وأمانًا، فيخف وقع المصاب على قدر استحضارها، والأجر الموعود من الودود لأي مصيبة كانت دينية أو دنيوية، صغيرةً أو كبيرة كما دلَّ التنكير (مصيبة) في سياق الشرط (ما من) والله تعالى أعلم وأحكم.

(٩) الصفة المقيدة (الإيواء) العليَّة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: «**... ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله...**»[(٤)].

---

(١) كما في الحديث: «**اللهم أعطِ منفقًا خلفاً**» البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).

(٢) النهاية (٢٧٩).

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٢/٤٥٤).

(٤) عن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد والناس معه، إذا أقبل ثلاثة نفر،=




❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: آوى**: انضمَّ، ورجع إليه، يقال: آوى إلى كذا: انضمَّ إليه، وأويتُ له: رحمتُه، وتحقيقه: رجعتُ إليه بقلبي: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾[يوسف: ٦٩]، أي: ضمَّه إلى نفسه[(١)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: هذه الصفة كأخواتها من الصفات المقيدة على وجه الجزاء بالمثوبة، والتي تتضمن: كمال رحمة الله، وفضله، وإحسانه، وعدله، وإرادته للخير للعبد، وعلى هذا "فإن الله تعالى يقابل إيواء العبد إليه بأن يؤويه، (ويقربه) إليه، حيث إنه لما آوى العبد إلى ربه عز وجل ولجأ إليه، قابله ربُّه وجزاه بقبول ذلك الإيواء منه، بأن ضمَّه وألجأه إليه.

ومن كانت هذه حاله، حصل له من الخير والنعيم والفضل من الله تعالى، ما يكون جزاءً له وثوابًا على إيوائه"[(٢)].

(١٠) الصفة المقيدة (الإقالة) العليَّة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**من أقال مسلمًا أقال الله عَثْرَتَه يوم القيامة**»[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: أقاله**: أي رفعه من سقوطه، والمعنى هنا: وافقه

= فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، قال: فوقفنا على رسول الله، فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرع رسول الله ﷺ قال...» البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

(١) «المفردات» (١٠٣)، و«النهاية» (٥٣).

(٢) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١٥٠).

(٣) صحيح ابن ماجه (٢١٩٩).

على نقض البيع أو البيعة وأجابه إليه، والإقالة تجري في البيعة والعهد أيضًا[(١)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: أخبر النبي ﷺ على أنَّ الله عز وجل يقابل إقالة العبد لأخيه المسلم في الدنيا، بأن يقيل عثرته في الدنيا والآخرة، إقالةٌ بإقالة، إلا أنَّ الجزاء أعظم من العمل، إذ الجزاء يوم القيامة في وقت العثرة الكبرى، في وقتٍ لا يمكن لأحدٍ أن يقيل أحدًا، إلا مالك الملك، فهو يقيل من يشاء من عباده رحمة منه وفضلاً، إلا أنَّ إقالة الله ليست من جنس إقالة العباد لبعضهم، وإن اتفقتا في المعنى العام، وهو رفع الساقط بعد عثرته، إلا أنه عند الإضافة لله تعالى لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين[(٢)].

وقوله ﷺ: «**من أقال مسلمًا**» أي: وافقه في فسخ البيع، وصور إقالة البيع: إذا اشترى أحدٌ شيئًا من رجل، ثم ندم على اشترائه، إما لظهور الغبن فيه، أو لزوال حاجته إليه، أو لانعدام الثمن، فردَّ المبيع على البائع، وقبل البائع[(٣)].

«**أقال الله عثرته**»: أزال الله تعالى مشقَّته وعثرته يوم القيامة[(٤)]، وذلك لما فيه من إدخال المسرَّة على المستقيل، فإنه لا يستقيل إلا نادمًا، فإقالته تفريج لكربته وإزالة لندامته[(٥)].

---

(١) «فيض القدير» (٦/٧٩)، و«إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه» (٥/٤٨٥)، و«جامع الأصول» (١/٤٤١).

(٢) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١١٨، ١٢٠ ـ ١٢١).

(٣) «إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه» (٥/٤٨٥).

(٤) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٦/٣١٥).

(٥) «التنوير شرح الجامع الصغير» (١٠/١٣٠).




وقد جاء في بعض الروايات من غير زيادة «**يوم القيامة**»[١]، ليدلَّ على أنَّ إقالة الله تعالى لعبده المقيل قد تعمُّ الدنيا كذلك، وهذا فيه عظيم فضل الله تعالى على عباده، إلا أنه لا مقارنة بين عثرة الدنيا وعثرة الآخرة، فالإقالة في نشر الصحف ووضع الموازين أعظم نفعًا للعبد من إقالة الدنيا[٢].

أما تفسير إقالة الله لعباده بغفران الذنوب والتجاوز والصفح عنه، فهذا ليس تفسيرًا لمعناها، وإنما هو تفسير لها بلازمها وأثرها وما يترتب عليها، وإلا فمعناها الحقيقي: هو رفع من سقط في الذنب والمعصية إثر عثرة زلت به، وأثرها أن يعفو عنه، ويغفر له زلته[٣].

(١١) الصفة المقيدة (التصبير) العليَّة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «... **من يتصبَّر يُصبِّره الله، ومن يستغنِ يُغنه الله، ولن تعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»[٤].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **يتصبر**: من الصبر، وأصله: الحبس، وهو الإمساك في ضيق، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمَّا يقتضيان حبسها عنه[٥].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: من أوصاف ربنا العلا الاختيارية: أنه هو الصبور[٦] الذي لا أحد أصبرَ منه على الإطلاق، وهو العظيم الجليل الغني

---

(١) كما في صحيح أبي داود (٣٤٦٠).

(٢) «عقيدة أهل السنة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١٢٠).

(٣) المصدر السابق (١٢١).

(٤) البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٥) «المفردات» (٤٧٤).

(٦) تقدم في الصفات الفعلية المطلقة رقم (٢٤) تخريج الحديث وشرح الصفة.

عن كل الخلائق، وهو كما تقدَّم أنه تعالى يحبُّ من عباده أن يتعبَّدوا بمقتضى صفاته، وأنها من أعظم الوسائل والطرائق في السير إلى عبوديته.

فمن عبودية هذه الصفة ومقتضاها: أن يكون العبد صبورًا، ولهذا قال ﷺ: «ومن يتصبَّر»، بالفعل المضارع الذي يفيد التكرار والاستمرار؛ لأنَّ العبد يحتاجه في آناء الليل والنهار على مشاقِّ الحياة التي لا تنفكُّ عنه، "أي: يستعمل الصبر ويجاهد ويعالج نفسه عليه"(١).

فإن المجاهدة على الطاعة أعظم وسائل الثبات على الهداية كما قال ربُّ العزة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قوله: «يُصَبِّره الله» أي: يقوِّيه ويمكِّنه من نفسه حتى تنقاد له ويذعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفره بمطلوبه(٢)، فيكون الصبر حليته في ظاهره وباطنه أيًّا كان ترحاله.

وعلى هذا: فإن "التصبُّر فعل الله تعالى، والصبر القائم بقلب العبد مفعوله المخلوق"(٣).

(١٢) الصفة المقيدة (الصِّدْق) العليَّة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**»(٤).

---

(١) ينظر: «الفتح» (١١/٣٦٩)، و«المفهم» للقرطبي (٣/٩٩).

(٢) «الفتح» (١١/٣٦٩).

(٣) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى الواردة على سبيل المقابلة (١٨٩).

(٤) صحيح النسائي (١٩٥٣)، وأصل الرواية: عن شداد ﷺ أنَّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غَنِمَ النبي ﷺ سبيًا، فقسم=



۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الصدق صفة من أوصاف الكمال العلا لله، ولهذا فإن الاتصاف بها من عباده له موقعٌ وذمَّة عظيم عند ربنا سبحانه، ولذلك فإن الله تعالى يجزي المتعبِّد به أجرًا موفورًا على قدر صدقه.

قوله ﷺ: «**إن تَصْدُقِ الله**» أي: "إن كنت صادقًا فيما تقول وتعاهد الله عليه"[1]، ففيه أنه ﷺ لا يعلم من أحوال القلوب والثبات إلا ما أعلمه الله، ولذا جاء بالشرطية، وأتى بإن دون إذًا لصعوبة هذه النية، وأنه لا يحصل الجزم بها[2].

وقوله: «**يصدُقْكَ**»، أي: يجزيك على صدقك بإعطاء ما تريده[3]، وفيه: أن من أراد من الله تعالى أمرًا دينيًّا (عاليًا) بصدق عزيمة أعطاه الله تعالى إياه[4].

(١٣) الصفة المقيدة (الكف) العليَّة

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**من كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه**»[5].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الكف**: من الكفاية، وهي: سدُّ الخُلَّة، وبلوغ

= وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمه لك النبي، فأخذه فجاء به إلى النبي فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمةٌ لك**» قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه سهم، فأموت فأدخل الجنة، فقال ﷺ: «**إن تصدق الله يصدقك**»، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي: «**أهو هو**»؟ قالوا: نعم، قال: «**صدق الله فصدقه**».

(١) «حاشية السندي على النسائي» (٣٦٢/٤).

(٢) «التنوير شرح الجامع الصغير» (٥٧٦/٦).

(٣) «حاشية السندي» (٣٦٢/٤).

(٤) «التنوير» (٥٧٦/٦).

(٥) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٣٦٠) (٤٧٥/٥).




المراد في الأمر، وكفى الشيء يكفي كفاية فهو كافٍ: إذا حصل به الاستغناء عن غيره[(١)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** من كمال الله سبحانه أنه يريد من عباده أن يتصفوا بالصفات الكريمة، والبعد عن الصفات الذميمة والتي من أشدِّها: الغضب الذي هو من أعظم الأسباب في حصول التعدِّي والبغي والظلم في الغالب، وحصول بسبب كثيرًا من الهلكات، ولهذا فإنه سبحانه يقابل من يكفُّ غضبه وهو من الأمور الصعبة في مسلك زمامها، فإنه تعالى يكفُّ عن عبده عذابه، ولا يخفى أنه لا مقارنة بين تحمل مشقة جماح الغضب في الدنيا، بشدَّة العذاب في الأخرى، فإن في ذلك لآيةً لمن اتقى.

(١٤) الصفة المقيدة (الوَصْل) العليَّة

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصِلَ من وصلكِ...، قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك**»[(٢)].

٢) وقال ﷺ: «**من وصل صفًّا وصله الله...**»[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الوصل:** الاتصال والبلوغ، وهو يدُلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيء حتى يعلقه، وكل شيءٍ اتصل بشيء فما بينهما وصلة[(٤)].

---

(١) «المفردات» (٧١٩)، «المصباح المنير» (٣١٠).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» [محمد: ٢٢]. البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٣) صحيح أبي داود (٦٦٦).

(٤) «الصحاح» للجوهري (١١٤٣)، و«مقاييس اللغة» (٩٥٧).




۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: من حكمة الله تعالى ولطفه محبته لكل ما يقرب بين المؤمنين ويشد سبل الألفة والتآزر فيما بينهم، حتى يكونوا كالجسد الواحد، ولذلك يقابل ويجازي عبادة بمقتضى أفعاله الحميدة والتي منها: (الوصل)، وجاءت هذه الصفة على جهة المقابلة بحسن الجزاء على نوعين:

الأول: في صلة الأرحام، كما في قوله: «**أما ترضين أن أصِلَ من وصلك**»: أي: «أن الله تعالى يصل عبده مقابلة له على وصله لرحمه»[1]، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل، كان الله له أوصل[2]، وصلة العبد لرحمه تكون: بالإحسان إليهم والعطف والسؤال.

الثاني: في وصل الصف في الصلاة: «**ومن وصل صفًّا وصله الله**»: أي: "من انضمَّ إلى صفٍّ ليصله بالحضور فيه وسدِّ الخلل منه، وبوقوفه فيه"[3]، «**وصله الله**»، أي: ضمَّه وقرَّبه إليه، ولم يذكر متعلق الوصل، لإفادة العموم من كل وجه في الدنيا والآخرة، أي: وصله الله "برحمته، وغفرانه، ورفع درجته، وقربه من منازل الأبرار، ومواطن الأخبار"[4].

فمن وصله الله، وصل إلى كل خير وسعادة في الدنيا، والآخرة، ولا بُدَّ أن تكون نهايته مجاورة ربِّه في الفردوس، لأن الوصل لا ينتهي إلا إلى هناك، فينظر إلى وجه ربه الكريم[5].

---

(١) «عقيدة أهل السنة في صفات الله» (١٦١).

(٢) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٢/١٠٩).

(٣) «التنوير شرح الجامع الصغير» للصنعاني (٣/٢٥)، «عون المعبود» (٢/٧٥)، و«فيض القدير» (٢/٣٤١).

(٤) «فيض القدير» (٢/٣٤١)، و«التنوير» (٣/٢٥).

(٥) «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» للعلامة عبد الله الغنيمان (٢/٦٧٧).




(١٥ ـ ١٦) الصفتان المقيدتان (التنفيس) و(التفريج) العليّتان

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: **«من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرَب الدنيا، نفَّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة»**(١).

٢) وقال ﷺ: **«... ومن فرَّج عن مسلم كُربةً، فرَّج الله عنه كُربةً من كربات يوم القيامة»**(٢).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: نفَّس:** كل شيء يفرج به عن مكروب، يُقال: "نفَّس الله عنه كربته"، أي: فرَّجها، والتنفيس هو الترويح، يقال: "نفَّس الله عنك الكرب"، أي: أراحك منه(٣)، فرَّج: كشف، يقال: "فرَّج الله الغمَّ" بالتشديد: كشفه، والفرج: انكشاف الكرب، وذهاب الغم"(٤).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** بين هاتين الصفتين "عمومٌ وخصوصٌ، فكلُّ تفريجٍ تنفيس، وليس كل تنفيسٍ تفريجًا، وذلك: أنَّ تفريج الكروب أعظم من تنفيسها، إذ التفريج إزالتها بالكلية، فتفرج عن المكروب كربته، ويزول همه وغمه، وأما التنفيس فهو تخفيفها.

وهذا كما تقدَّم يرجع إلى أنَّ الجزاء: من جنس العمل، فجزاء التنفيس التنفيس، وجزاء التفريج التفريج جزاءً وفاقًا"(٥).

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٣) «مقاييس اللغة» (٩١٠)، و«الصحاح» (١٠٥٨)، و«مدارج السالكين» (١٣٩/٣).

(٤) «لسان العرب» (٢٩/١٠)، و«المصباح المنير» (٢٦٩).

(٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢٨٥/٢ ـ ٢٨٧)، و«دليل الفالحين» (١٩/٣).




قوله: «**فرَّج الله عنه من كرب يوم القيامة**»: خُصَّ التنفيس والتفريج يوم القيامة، إذ كُرَبه لا تقارن بكرب الدنيا[1]، "لأن كرب الدنيا بالنسبة إلى كرب الآخرة كلا شيء، فادَّخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده، لينفس به كرب الآخرة"[2].

لأنها هي الدار الباقية، ودلَّ كذلك على "أنَّ المجازاة قد تكون في الآخرة من جنس الطاعة في الدنيا"[3].

والجزاء الموعود في يوم الخلود في تفريج الكروب من المخلوق إلى المخلوق، بأي نوعٍ يكون التفريج من الخطوب، كما دلَّ على ذلك: النكرة في سياق الشرط، والتي تفيد العموم، فـ"تعمُّ جميع الكرب المالية، والنفسية، والبدنية"[4]، فيدخل في "تفريجها: من أزالها بعلمه، أو ماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بالنصيحة، وإشارته، ورأيه، ودلالته وغير ذلك"[5].

**   **   **

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة على سبيل المقابلة» (١١٥).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (٢/٢٨٧).

(٣) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٨/٣٨٠) (٩/٢٨).

(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله الواردة» (١١١).

(٥) «عمدة القاري» (١٢/٤٠٦).




القسم الثاني من الصفات الفعلية المقيدة:
الصفات المقيدة على وجه العقوبة:

وهي: الصفات الفعليّة المقيدة على وجه المُقابلة في الجزاء بالعقوبة، وهي نوعان:

النوع الأول: العقوبة من جنس الفعل ونوعه، أي: أن الله تعالى يجازي العامل بمثل عمله[(١)].

النوع الثاني: العقوبة من غير جنس الفعل ونوعه[(٢)].

يقول ابن القيم رحمه الله: "هذا بابٌ واسعٌ جدًّا عظيم النفع، فمن تدبَّره يجده متضمنًا لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته بأن يعكس عليه مقصوده شرعًا وقدرًا، دنيا وأخرى"[(٣)].

القواعد والضوابط

۞ **القاعدة الأولى**: «أن الصفة إذا كانت كَمالًا في حال، ونقصًا في حال، فما يثبت لله تَعالى منها هو حال الكمال المُقَيَّد»[(٤)].

فهذا النوع من صفات الأفعال لا تطلق على الله تعالى على وجه

---

(١) فمن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة كما سيأتي.

(٢) كالخزي، والانتقام، والختم، والطبع، والاستدراج، عقوبة للكافرين والمعاندين والعاصين.

(٣) «إعاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (٤٤٦) ويقول رحمه الله: وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده بأن من مكر بالباطل مكر به، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خدع... إلى آخر كلامه.

(٤) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى (١١١/٧)، و«الفوائد» (١٨٢)، و«بدائع الفوائد» (١٥٢/٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢٩١/٢)، و«الوابل الصيب من الكَلِم الطَّيِّب» (٥٤)، و«شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (٣٠).



الإطلاق بل على وجه المُقابلة، لأن هذا النوع من «الصِّفات فيها نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لِمَنْ لا يستحقّه، وحسن: وهو إيصالُه إلى مَنْ يستحقّه، عقوبة له، فالأول: مذموم، والثاني: ممدوح، والرَّبُّ سبحانه إنَّما يفعل من ذلك ما يُحمد عليه عَدْلًا منه، وحكمة»[1].

وبذلك كانت هذه الصفات على وجه التقييد كمالًا لأنها على وجه المجازاة والعُقوبة بنفس الفعل جزاءً وفاقًا لِمَن اتصف بها، لأن الله ﷻ يُجازي عبادَه بحسب ما يقوم بهم من الصِّفات مدحًا، وقبحًا، وهذا غاية العدل والقسط، والحكمة «فمن مكر: مكرَ به، ومن خادعَ: خادعَه... فمكره سبحانه الذي وصف به نفسَه: هو مُجازاته للماكرين بأوليائِه، ورسله، فيُقابل مكرُهم السيئ بمكره الحَسن، فيكون مجازاة، وكذلك المُخادعة منه: جزاء على مخادعة رسلِه وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة، والمكر»[2].

۞ **القاعدة الثانية: «أن الصفة إذا كانت نقصًا في كل حال، فإنها لا تطلق على الله في أي حال»**.

مثل صفة الغدر والخيانة، فإنها مذمومة من كل وجه، لأن الخيانة معناها: الخديعة في مقام الائتمان، ولهذا فإن النبي ﷺ قال: «**ولا تخن من خانك**»[3].

ولذا: لما ذكر سبحانه خيانة الكافرين له، لم يقابلهم بنفس صنيعهم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧١][4].

---

(١) «إعلام المُوَقِّعين عن رَبِّ العالمين» (٣/٢١٨).

(٢) انظر: «الفوائد» (١٨٢ - ١٨٣).

(٣) صحيح أبي داود (٣٥٣٥).

(٤) انظر: «تفسير سورة البقرة» (١/٥٨)، و«شرح الواسطية» (١/٢٦٢) لابن عثيمين.




النوع الأول: العقوبة من جنس الفعل ونوعه:

(١) الصفة المقيدة (المَكْر) الكمالية

۞ **القُــرْآنُ الكَــرِيمُ**: قــال تعــالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠][١].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: كان من دُعاء النبي ﷺ: «**رَبِّ أعِنِّي ولا تُعِن عليّ، وانصُرْني ولا تَنْصُر عليّ، وامْكُرْ لي ولا تمكر عَلَيَّ**»[٢].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **المكر** في الأصل: إخفاء الحِيلة، وهو الخديعة، وهو التوصل بالأسباب الخَفِيَّة إلى الإيقاع بالخَصْم، دون أن يشعر ويعلم[٣].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: هذه أول الصِّفات الكَمالية المقيدة التي يوصَف الله تعالى بها على وجه المُقابلة على من عامل الله تعالى بها، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾؛ أي: أقواهم، وأقدرهم مكرًا، فكون الله تعالى أشدّ مكرًا منهم، فهذا صفة كمال، ولهذا يتبين أن الله تعالى أعلى وأعظم من هؤلاء الماكرين على الإطلاق.

وبهذا القيد يكون كمال من كل وجه، لأنه سبحانه لم يقل: أمكر الماكرين، بل قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فيكون مكره خيرًا، ولهذا

---

(١) وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١]. وقال ﷻ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

(٢) «صحيح أبي داود» (١٥١٠).

(٣) «عمدة الحُفّاظ» (١٠٣/٤)، و«القاموس المحيط» (١٢٣٧)، و«إعلام الموقعين» (٢١٨/٣)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٦٩/٢).




يصح أن نصفَه سبحانه بذلك، فنقول: هو خير الماكرين، أو نصفه بصفة المكر في سبيل المُقابلة، أي: مقابلة من يمكر به، فنقول: إنَّ الله تعالى ماكر بالماكرين، لقوله سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبهذا علم أن الله تعالى يتصف بالمَكْر الحسن الذي لا أحسن ولا أكمل منه، وهو إيصال ما يُريد لِمَن يستحقه على وجه الجزاء العادِل الذي لا جور فيه، ولا ذَمّ، بخلاف غيره من خلقِه، فإنَّ مكرهم شيء مذموم، لأنهم يضعونه في غير محلِّه أي: بمن لا يستحقُّه، فهو خيانة وغدر[١].

(٢) الصفة المقيدة (الكَيْد) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٦][٢].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الكيد:** ضرب من الاحتيال، وغلب في المكر، وقد يكون مذمومًا، وممدوحًا، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر، فمن الممدوح: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣][٣].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** هذه الصفة المقيدة كسابقتها ولاحقها من

---

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» (٢/٦٩) و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٨٨) لابن عثيمين، و«اللآلئ البهية» (١/٤٥٢).

(٢) وقال عز شأنه: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]. وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

(٣) «المُفْرَدات» (٧٢٨)، و«عمدة الحُفّاظ» (٣/٤٤١).

الصِّفات التي لا يجوز إطلاقُها في حَقِّ الله تعالى إلا على جهة الجَزاء، وليست من النوع الذي يُمدح فاعله على الإطلاق، لأنها في مُقابلة من يعامل الفاعل بِمِثل فعله، وهي تدلُّ على أن فاعلَها قادرٌ على مقابلة عدوه بِمِثل فعله أو أشد[1]، ولهذا كانت في هذا المقام كمال ما بعده كَمال.

وقد قَصَّ لنا رَبُّنا جَلَّ جَلَالُهُ كيف يكيد كفار مكة للرسول ﷺ كيدًا عظيمًا كما دل التنكير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، ولكن الله تعالى يكيدُ بهم كيدًا أعظمَ وأشدَّ من كيدهم جزاءً وفاقًا، عدلًا منه عزَّ شأنُه، فقال: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[2].

فقابل سبحانه كيدَهم بكيدٍ لا نظير ولا مثيلَ له، كما دلَّ التنكير[3] «والتنكير فيها: للتعظيم، وهكذا يكيد الله عَزَّوَجَلَّ لكلِّ من انتصر لِدينه، فإنه يكيد له، ويؤيِّده، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، يعني: عملنا عملًا حصل به مقصودُه دون أن يشعر به أحد، وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ على المرء: أن يقيَه شَرَّ خصمِه على وجه الكيد، والمكر على هذا الخصم الذي أراد الإيقاع به»[4].

وهذا الكيد كما تقدَّم هو الحسن الممدوح الذي يُحمد عليه عدلًا منه، وحكمة، بل وفضلًا منه لأوليائه، لأنه سبحانه يكيد لِمَن يُواليه، ويكيد لِمن يُعاديه.

---

(١) «القواعد المُثْلَى» لابن عثيمين (٢٩).

(٢) ومن كيدهم ومكرهم به ﷺ ما ذكره في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: **الأول**: (ليثبتوك) يعني: يحبسوك. **الثاني**: (يقتلوك) يعني: يعدموك. **الثالث**: (يخرجوك) يعني: يطردوك. «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/ ٧٠) بتصرف يسير.

(٣) وتأكيده بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

(٤) المصدر السابق (٢/ ٧١).




ومن الاستقراء للنُّصوص «أنَّ كيد الله تبارك وتَعالى لا يخرج عن نوعَيْن:

أحدهما ـ وهو الأغلب ـ: أن يفعل تَعالى فعلًا خارجًا عن قدرة العبد الذي كاد له، فيكون الكيدُ قدرًا زائدًا محضًا، ليس هو من باب الشرع، كما كاد أعداء الرسل بانتقامه منهم بأنواع العُقوبات، وكذلك كانت قصة يوسف.

والنوع الثاني من كيدِه سبحانه لِعبده المؤمن: هو أن يُلهمه تَعالى أمرًا مُباحًا، أو مستحبًّا، أو واجبًا يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون على هذا: إلهامه لِيوسف أن يفعل ما فعلَ، هو من كيده تعالى، وقد دَلَّ على ذلك قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦]...»(١).

فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ﴾ [يوسف: ٥](٢).

وصور كيده سبحانه لأعدائه، وأعداء رسله، وأصفيائه كثيرة ومتنوعة، منها: أنه يستدرجهم من حيث لا يعلمون، قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣]؛ أي: أنه تعالى يواتر نعمَه عليهم مع انهماكهم في الغَيّ، حتى يغترُّوا بما هم فيه من الخير، ظانِّين أن النِّعَم عليهم أثرة من الله تعالى وتقريب، وإنما هو خُذْلان وتبعيد، لأنه من كيدِه سبحانه القوي الشَّديد(٣).

---

(١) انظر: «إعلام الموقّعين» (٣/٢١٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/١١١).

(٣) «تفسير النَّسَفي» (٣٩٧)، وابن كثير (٢/٣٦٩) بتصرف.




(٣) الصفة المقيدة (الزَّيْغ) الكمالية

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال رَبُّ العالمين: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥] (١).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الزَّيغ**: المَيْل عن الاستقامة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب:١٠] كناية عن شدة الخوف، وذلك أن الخائف لا يستقرُّ له بصر (٢).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف رَبّنا نفسه بفعل الزَّيْغ مقابلة لِمَن زاغ من الورى، عن اتِّباع الهُدى، واتبعَ الهَوى، فكان عقوبة وجزاء عدلًا منه تعالى.

وقد جاء هذا الفعل المقيد في إخباره سبحانه لِنَبيِّه ﷺ عن قول موسى عليه السلام لِقومه مُوبِّخًا لهم على صَنيعهم، ومُقَرِّعًا لهم على أذيته وهم يعلمون أنه رسول الله إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، وكان من المُفترض أن يكون للرسول الإكرام والتوقير، والتَّعظيم، والانقياد لأوامِرِه التي جاء بها عن رَبِّه سبحانه وتعالى، فلمّا قابلوا ذلك بالزيغ وهو العُدول عن اتِّباع الحَقِّ مع علمهم به ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾:

---

(١) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أكثر دعائه ﷺ: «يا مُقَلِّب القلوب ثَبِّت قلبي على دِينك»، فقالت: يا رسول الله! ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دِينك؟ قال: «يا أُمّ سلمة! إنه ليس آدمي إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمنْ شاء أقام، ومَن شاء أزاغ»، فتلا معاذ قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٢٢)، و«في ظلال الجنة» (٢٢٣).

وقال ﷺ: «... ولا يزال من أمتي أمّة يُقاتلون على الحقّ، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم السّاعة» صححه الألباني في «صحيح النسائي» (٢٥٦١)، وفي «السلسلة الصحيحة» وقال: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم (١٩٣٥).

(٢) «عمدة الحُفّاظ» (٢/١٥٧).

عقوبة لهم على زَيْغِهم الذي اختاروه لأنفسهم، ورضوه لها، ولم يُوفقهم الله تعالى لِلهُدى، لأنهم لا يَليق بهم الخير، ولا يصلحون إلّا لِلشَّرِّ[1].

وهذه العُقوبة على الذنب بالذنب[2]، جزاءً وِفاقًا بالحق، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: «الذين لم يَزل الفسق وصفًا لهم، لا لهم قصد في الهُدى، وهذه الآية الكريمة تفيد أنَّ إضلالَ الله تعالى لِعِباده ليس ظُلمًا منه، ولا حجة لهم عليه، وإنَّما ذلك بسببٍ منهم، فإنهم (هم) الذين أغلقُوا على أنفسِهم بابَ الهُدى بعدما عرفوه، فيُجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دَفْعِه، وتقليب القلوب عقوبة لهم، وعدلًا منه تعالى بهم، كما قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[3] [الأنعام: ١١٠].

(٤) الصفة المقيدة (الخِدَاع) الكمالية

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** عن الزُّبير بن العَوّام أنه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة، فقالت له وهي حامل: طيب نفسي بتطليقة، فطلَّقَها تطليقة، ثم خرج إلى الصلاة، فرجع وقد وضعت، فقال: ما لها خدعَتْني، خدعَها الله، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: «**سبق الكتاب أجله، اخطُبْها إلى نَفْسِها**»[4].

---

(١) انظر: «تفسر ابن كثير» (٤/٤٧٣)، وتفسير السّعدي (٨٥٩).

(٢) تفسير ابن عطية (٥/٣٠٢).

(٣) تفسير السَّعدي (٨٥٩).

(٤) صحيح ابن ماجه (٢٠٢٦).




❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الخداع**: إخفاء الشيء، وهو إرادة المكروه من حيث لا يعلم، أي: إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمر يبديه على خِلاف ما يُبطنه، ويُخفيه[(١)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف ربنا عز شأنه نفسه بالخداع على من يُخادعه، وهذا على جهة المُقابلة، يدل كما تقدَّم على المدح، والكمال، «لأنه يدلُّ على قوة المُخادع، لأنه أشد مكرًا من عدوِّه، وأشد خِداعًا[(٢)]، أما إذا كانَ ليس له سبب، وكان خداعًا في موضع الائتمان، فإنه لا يُسمَّى خداعًا، وإنما يُسَمَّى خِيانة، وهذا ذَمٌّ وعيب بكل حالٍ، ولهذا لا يوصَف الله عَزَّوَجَلَّ بالخائن مطلقًا، حتى الذين يخونون الله لا يُقابلهم بالخيانة كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانَهم، حتى أن الرسول ﷺ قال: «**لا تَخُنْ مَنْ خانَكَ**[(٣)]»[(٤)].

وخِداعه سبحانه لأعدائه يكون في الدُّنيا، وكذلك في يوم القِيامة، ففي الدنيا: كما قاله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ «يعني: أنَّ الله يُقابل خداعَهم بِخِداع من عنده، ومخادعته إياهم أنه يُملي لهم حتى يستمرُّوا على هذا ويستمرئوه، فيبقون كُفَّارًا مع شَياطينهم، ومسلمين مع المؤمنين، ويعصمون بهذا النِّفاق دِماءهم، وأموالَهم، وهذا هو خِداع الله تعالى لهم، أنه يُملي لهم ليستمرُّوا في نِفاقهم، ثم يختم

---

(١) ومنه: المَخْدَعُ لِمَوضع خفي في البيت. «كتاب العين» (١/٣٩٢)، و«عمدة الحُفّاظ» (١/٤٩١)، و«الصحاح» (٢٥٨).

(٢) كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

(٣) صحيح الترمذي (١٢٦٤).

(٤) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (٢/٣٦١).




لهم بِسُوء الخاتمة»[(١)].

والثاني: خِداعه لهم يوم القِيامة، وهو ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣ - ١٤]»[(٢)]، فقد جعلَ الله تعالى خِداع أوليائه خِداعًا له سبحانه، لِعِظَم شأنهم عنده تعالى، فهو سبحانه الذّابّ والدافِع عنهم، الناصر لهم في الدُّنيا والآخرة، فينبغي لكلِّ عبدٍ أن يحمدَ الله تعالى في الليل والنَّهار، وفي السِّرِّ والجهار أن جعلَه من المؤمنين، ولم يجعله من الكافرين والمنافقين[(٣)].

(٥) الصفة المقيدة (الاِسْتِهْزَاء) الكمالية

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥]

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: الهزء: السُّخرية، وهزئ به، ومنه: سخر.

والهزو: الاستخفاف، يقال: استهزأ به يستهزئ؛ أي: استخفَّ به[(٤)].

---

(١) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(٢) «تفسير السعدي» (٢١١).

(٣) وأن يسألَه سبحانه أن يثبته على الإسلام، كما كان يسأله خير الأنام ﷺ: (يا وليّ الإسلام وأهله ثَبِّتْني على الإسلام حَتّى ألْقاكَ عليه). «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (١٤٧٦).

(٤) «لسان العرب» (٩/٨٥)، و«عمدة الحفاظ» (٤/٢٤٩).




۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف الله تعالى نفسه كما في الآية المتقدمة بالاستهزاء على حقيقته التي تليقُ به، وهو على قاعدة أهل السنة والجماعة السلفية يجرى على ظاهره، وهو: أن الله عَزَّوَجَلَّ يستهزئ بِمَن يستحق الاستهزاء، وهو استهزاء حقيقي يَليق بالله عَزَّوَجَلَّ، فهو استهزاء حق، ليس استهزاء يتضمن نقصًا، لأن الله تعالى كل ما وصف نفسه بوصف فهو وصف كَمال لا يتطرَّق إليه عيب، ولا مذَامّ، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

ولهذا إن الله لا يصف نفسَه بالاستهزاء على وجه الإطلاق، وإنَّما وصف نفسَه بالاستهزاء في مُقابلة المستهزئين بِعباده المؤمنين، وهذا دالٌّ على كَماله، وقوته، وعدم عجزه عن مُقابلتهم، وأنه سبحانه أقوى، وأعظم، وأشد منهم، فالله يستهزئ بِمَن يستهزئ به، أو بِرُسله، أو بشرعه، جزاءً وِفاقًا، وهذا من كَمال حكمته سبحانه: حيث جعل سبحانه الجزاء من جنس العمل، (فكل من عامل عِبادَه بصفة عامله الله بِمِثلها) وهذا (أيضًا) من عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ثابت في الدنيا وفي الآخرة، بل إن جَزاء الله تعالى عُمومًا، دائر بين: العدل، والفضل، فهو بالنسبة لِلعُصاة عدل، وبالنسبة لِلطائعين فضل، وعلى هذا فمعنى قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يعني: أنه عَزَّوَجَلَّ يستهزئ بهم، ويتخذهم هُزُوًا[١].

ودلت الآية الكريمة وغيرها أن استهزاءه الحقُّ بأعدائه سبحانه متنوع في الدّارين بالفعل والقول:

---

(١) انظر: «أحكام من القرآن» (١/٩٩-١٠١)، و«تفسير سورة البقرة» (١/٥٤-٥٧) لابن عثيمين بتصرف يسير.




ففي الدنيا: «أنه يُملي لهم، ويمهل لهم، ويمدهم، ويدعهم في هذا الطغيان يضيعون، ويتيهون»[1]، وهذا من استهزائه تعالى بهم جزاء لهم على استهزائهم بِعِباده.

ومن استهزائه تعالى بهم: أن زيَّنَ لهم ما كانوا فيه من الشّقاء، والحالة الخبيثة، حتى ظَنُّوا أنهم مع المؤمنين، لما كف أيدي رسول الله وأصحابه عن قتلهم، مع أنهم في الآخرة في الدَّرك الأسفل من النار[2].

ومن استهزائه سبحانه (الكامل العدل) بهم يوم القِيامة: أنه يُعطي المؤمنين نورًا ظاهرًا، فإذا مشى المؤمنون بِنُورهم طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظُّلْمَة بعد النُّور متحيرين، فما أعطاهم اليأس بعد الطمع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣][3].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعطون النور جميعًا (أي: المؤمنون والكافرون) يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز (أي: يفترق) بينهم حينئذٍ»[4]. وهذا من أشد الاستهزاء، والعياذ بالله تعالى.

ومن الاستهزاء القولي بهم: «هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه... وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة»[5].

---

(١) «أحكام من القرآن الكريم» (١/٩٨).

(٢) «تفسير السعدي» (٤٣)، و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٥٤).

(٣) «تفسير السعدي» (٤٣).

(٤) «التفسير الصحيح» (٤/٤٤٧).

(٥) «كتاب الإيمان الكبير» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٩٤).

ولِشَيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا في غاية الأهمية في إثبات هذه الصفة بعد أنْ ذكر الاختلافَ في معناها، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصَّواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ لِلمُستهزأ به من القول، والفعل ما يُرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله، وفعله به مورثه مساءةً باطنًا، وكذلك معنى الخداع، والسّخرية، والمكر...»[1].

وله كلام في غاية النّفاسة كذلك في الرَّدّ على مَن نفى هذه الصفات المقيدة (الاستهزاء، والمكر، والخديعة) فيرجع إليه[2].

قال قوَّام أهل السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتولى الذَّبّ عنهم (أي: المؤمنين) حين قالوا (أي: المنافقين): (إنما نحن مستهزئون) فقال: (الله يستهزئ بهم)، وقال: (فيسخرون منهم سخر الله منهم)، وأجاب عنهم فقال: (ألا إنهم هم السفهاء)، فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيب، وتولى المجازاة لهم، فقال: (الله يستهزئ بهم)، وقال: (سخر الله منهم)، لأن هاتين الصِّفتين إذا كانتا من الله، لم تكن سفهًا، لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السَّفه، بل ما يكون منه، يكون صوابًا وحكمة»[3].

(٦) الصفة المقيدة (الإِعْرَاض) الكمالية

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُخبركم عن النَّفر الثلاثة[4]: ... وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه»**[1].

---

(١) «التفسير» (١/١١٨).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨١).

(٤) أي: الذين دخلوا عليه ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه فأقبل اثنان إليه، وذهب الآخر، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا.

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الإعراض:** التولِّي، والصد، والإعراض عن الشيء: الصد عنه(٢).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** جاءت صفة الإعراض المقيدة على الوجه المُقابلة لِمَن اتصف بها، وهذا من عدله سبحانه، وحكمته، وكمال قدرته، فإنَّ رَبَّنا ﷻ يُعامل عباده بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، على الوجه الأكمل، فمن أعرضَ عن الله، وآياته، ورسولِه، وسبيلِ أوليائه، عامله جزاءً وِفاقًا بالإعراض عنه، تقريعًا له من جنس فعله.

ففي الحديث الأول في النَّفَر الثلاثة: «**وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**»: أخبر النبي ﷺ عن سبب إعراض الله تعالى عنه بـ(الفاء) السببية والتعقيبية، أي: أنه سبحانه أعرض عنه بسبب إعراضه عن الجلوس في الحلقة للذكر دون عذر، وفي الحديث الثاني في إخباره ﷺ أنَّ مَن أقسم بالله كذبًا وجورًا، فإنَّ الله تعالى سَيُعرِض عنه جزاءً حسنًا وفاقًا مقابلة للإعراض بالإعراض، فكما أنه لم يوقر ويعظم ربّه حق تعظيمِه فاستهان بجلاله وعظمته، فإن الله عَزَّوَجَلَّ سَيُعاقبه يوم القيامة بالإعراض عنه الذي هو أشد ما يحتاجه العبد فيه إليه سبحانه.

واعلم رَعاكَ الله تعالى أنَّ أشدّ الإعراض عن الله عَزَّوَجَلَّ هو الإعراض عن ذِكْره الذي أنزله على رسولِه ﷺ، قال عزَّ شأنُه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ...﴾ [طه: ١٢٥ - ١٢٦]؛

---

(١) البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦). وقال رسول الله ﷺ: «أما لَئِنْ حلفَ على ماله ليأكله ظلمًا، ليلقينّ الله عَزَّوَجَلَّ وهو عنه معرض» صحيح مسلم (١٣٩)، و«صحيح أبي داود» (٣٢٤٥).

(٢) وأصله: من ولّى في عُرضه؛ أي: ناحيته فأعرض عني من كذا، وأعرض عن الشيء: إذا ولّاه ظهرَه. «النهاية» (٦٠٤)، و«عمدة الحُفّاظ» (٥٢/٣)، و«الصحاح» للجوهري (٦٩٠).



«أي: ومن أعرضَ عن كِتابي الذي يتذكر به جميع المطالِب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، فإن جزاءه أن تجعل معيشته مشقة، ولا يكون كذلك إلا عذابًا»(١).

وقد جعل الله ﷻ مقابلة الإعراض عنه بالعذاب الشديد الدنيوي، والبرزخي، والأخروي «لإطلاق المعيشة الضَّنْك، وعدم تقييدها»(٢)(٣).

(٧) الصفة المقيدة (العَدَاوة) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** ١) حديث قنوت الوتر الذي علمه ﷺ لِحَفيده الحسن(٤)، وكذلك لأنس رضي الله عنه في غير الوتر: «**اللهم اهدني فيمن هديت... وإنه لا يذل من واليت، ولا يعزُّ مَنْ عادَيْتَ**»(٥).

٢) قال رسول الله ﷺ: «**عادى الله من عادى عليًّا**»(٦).

---

(١) «تفسير السعدي» (٥١٥).

(٢) المصدر السابق (٥١٦).

(٣) **فالدنيوي**: «ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراحًا لِصَدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، فهو في قلق، وحيرة، وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة». «تفسر ابن كثير» (٣/٢٣٣).

والبرزخي: فسرها النبي ﷺ: «**عذاب القبر**». حسنه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٤٦٧)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٢).

والأخروي: «أنه يحشر ويُبعث إلى النّار أعمى البصر (كما كان في الدنيا أعمى) والبصيرة». «تفسر ابن كثير» (٣/٢٣٤).

(٤) «صحيح أبي داود» (١٤٢٥).

(٥) رواه أحمد في المسند (١٧٢٣)، وصححه محققو المسند (٣/٢٤٨).

(٦) وفي لفظ: «**من كنت مولاه، فهذا مولاه (أي: علي رضي الله عنه)، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**»=



۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: العدو** هو: التجاوز ما حد له، وأصله: التجاوز ومُنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب، فيقال له: العداوة، والمُعاداة، وتارة بالمشي، فيقال له: العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المُعاملة، فيقال له: العدوان، والعدو، قال تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

والاعتداء يكون على سبيل الابتداء، ويكون على سبيل الجَزاء[١].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** أثبت الله تبارك وتعالى لِنَفسِه صفة العداوة، أي أن الله تعالى يُعادي، لكن لا يُوصَف بها على الإطلاق وإنَّما يوصَف بِكَمالها، وحسنها، وهو: في مُقابلة من يُعاديه، ويعادي ملائكته، ورسله، كما ذكرهم تعالى في الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾؛ «أي: من عاداني، وملائكتي، ورسلي - ورسله تشمل: رسله من الملائكة، والبشر، وجبريل، وميكال، وهذا من باب عطف الخاص على العام»[٢] إذ هُما داخلان في الملائكة لِعِظَم شأنهما.

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾: هذا جواب الشرط: من كان عدوًّا لله، فالله عدوٌّ له، ومن كان عدوًّا للملائكة فإن الله عدوٌّ له، ومَن كان عدوًّا لرسله فإن الله عدوٌّ له، ومَن كان عدوًّا لجبريل فإن الله عدوٌّ له، ومن كان عدوًّا لميكائيل فإن الله عدوٌّ له، وهنا أظهر في موضع الإضمار (أي: ذكر اسم الجلالة (الله)، ولم يقل: فإنه عدو للكافرين)، لِفائدتَيْن: إحداهما: لفظية، والثانية: معنوية:

= صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٦٦)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠)، وقال ﷺ: «من عادى عمارًا عاداه الله..» صحيح الجامع (٦٣٨٦).

(١) «المفردات» (٥٥٣). و«عمدة الحفاظ» (٣/٣٩).

(٢) «تفسر ابن كثير» (١/١٩٥).




أما الفائدة اللفظية: فمُناسبة رؤوس الآي.

وأما الفائدة المعنوية: فهي تتضمَّن ثلاثة أمور:

الأول: الحكم على أن مَن كان عدوًّا لله ومن ذُكر، بأنه يكون كافِرًا، يعني: الحكم على هؤلاء بالكُفْر.

الثاني: أن كلَّ كافرٍ سواء كان سبب كُفْره مُعاداة الله أو لا، فالله عدوٌّ له.

الثالث: بيانُ العِلَّة، وهي في هذه الآية: الكُفر، فكل كافِر فالله عدوٌّ له.

وفي الآية: إثبات صفة العَداوة من الله تعالى؛ أي: إن الله يُعادي (مَن يُعاديه، ويُعادي أولياءه)، وهي صفة فعلية، كالرِّضا، والغضب، والسُّخْط، والكَراهة، والمُعاداة ضِدّها المُوالاة الثابتة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥][1].

وعلى هذا فإن هذه الصفة الجليلة تدلُّ على أنه سبحانه عدوٌّ لكل الكافرين؛ أي: يُعادي كلَّ كافر، وكذلك يُعادي كل من عادى أولياءه، «فمَن عاداهم فقد عادى الله وحارَبَه»[2].

(٨) الصفة المقيدة (الوَعْي) الكمالية

۞ السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: قال ﷺ[3]: «ارضخي[4] ما استطعت، ولا توعي،

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٣١٣ - ٣١٨).

(٢) «جامع العُلوم والحِكَم» لابن رجب (٢/٣٣٤).

(٣) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أنها جاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبي الله! ليس لي شيء إلّا ما أدخل عليَّ الزُّبَيْر، فهل عليَّ جناح أن أرضخ مما يُدخل عليّ؟

(٤) ارضخي: أي: أعطي بغير تقدير. «المفهم لِما أشكل من تلخيص مسلم» (٣/٥٧).




فيوعي الله عليك»[١].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: الوعي: الجمع، والحفظ، يقال: أوعيت الشيء في الوعاء: إذا أدخلت فيه، ووعيت الشيء: حفظته، وفلان أوعى من فلان؛ أي: أحفظ، وأفهم[٢].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت الصفة الاختيارية المقيدة الوعي في سياق إخبار النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بقوله: «**ارضخي ما استطعت**» فيه: «الحَثّ على النفقة في الطّاعة، والنَّهي عن الإمساك والبخل، وعن ادِّخار المال في الوعاء[٣]، والمعنى: أنفقي بغير إجحاف، ما دمت قادرة مستطيعة»[٤].

ثم نَهاها ﷺ بقوله: «**ولا توعي**»؛ أي: «لا تجمعي ولا تشحي بالنَّفَقَة»[٥] خشية النفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لِقَطع مادَّة البركة، لأن الله تعالى يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء، لا يحسب عليه عند العطاء[٦].

ثم حذَّرها بأن الله تعالى سَيُعاقبها ويُعاملها بنفس الصفة، فقال لها: «**فيوعي الله عليك**»؛ أي: «يمنعك كما منعت، ويقتر عليك كما قترت، ويمسك فضلَه عنك كما أمسكته»[٧] جزاءً عدلًا، حسنًا،

---

(١) البخاري (١٤٣٤)، ومسلم (١٠٢٩).

(٢) «النهاية» (٩٨١)، و«معجم «الصحاح» (١١٤٩).

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢٨/٤).

(٤) «فتح الباري» (٣٧٩/٣).

(٥) «النهاية» (٩٨٢).

(٦) «الفتح» (٣٧٩/٣).

(٧) «شرح صحيح مسلم» (١٢٩/٤).

ممدوحًا، كاملًا من كل وجه(١).

قال إمام الدنيا علامة الزمان الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيه: «إثبات وصف الله بذلك حقيقة، على الوجه اللائق به سبحانه، كسائر الصِّفات، وهو سبحانه يُجازي العامل بمِثْل عمله، فمن مَكَرَ مكرَ به، ومن خادَع خدعَه، وهكذا من أوعى أوعى الله عليه، وهذا قول أهل السنة والجماعة، فالزمْهُ تَفُزْ بالنجاة والسلامة، والله الموفق»(٢).

(٩) الصفة المقيدة (القَطْع) الكماليَّة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال رب العالمين: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٣].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَة بالعرش، تقول: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله، ومَنْ قطعَني قطعَه الله**»(٣).

٢) وقال ﷺ: «**... ومن قطع صفًا قطعه الله**»(٤).

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **قطع**: فصل الشيء، أي: إبانة شيءٍ من شيء، وهو ضربان: ضربٌ مدرك بالبصر كالأجسام كقوله: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وآخر: مدرك بالبصيرة كقوله تعالى: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ

---

(١) لأنه كان في مُقابلة الوصف بالمِثْل، ولم يكن ظُلْمًا منه، ولا جَوْرًا، ولا بَغْيًا، تَعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

(٢) تعقيب الشيخ ابن باز على ابن حجر في الحاشية على فتح الباري (٣/٣٧٩).

(٣) البُخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥). وقال ﷺ: «**إنَّ الرَّحِمَ شجنة معلَّقة بمنكِبَي الرَّحمن تبارك وتَعالى، قال الله تعالى لها: مَنْ وصلَكِ وَصَلْتُه، ومَنْ قطعَكِ قطعْتُه**». رواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥٣٦)، وصححه الألباني (٣٣٦).

(٤) «صحيح أبي داود» (٦٦٦).

أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧]، والقطيعة: الهجران[١].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** إن أفعال الله تعالى كلها المطلقة والمقيدة مقرونة بالحكمة البالغة التامة، ومن هذه الحكم: أنه تعالى يقابل بالعقوبة من قطع خيرًا عظيمًا في مقصدين مهمين:

الأول: في أجل الحقوق، وهي: صلة الرحم.

الثاني: في أفضل الأعمال البدنية، وهي: الصلاة.

وقطع الرحم يكون بالهجران وعدم السؤال وإيصال إليهم الخير والإحسان.

قوله: «**ومن قطعك قطعته**»: ولم يبين نوع القطع لدلالته على العموم، أي: قطعته من كل خير في معاشه، ومعاده.

والقطع الآخر: قطع الصف في الصلاة: ويكون بعدَّة أوجه: «بأن يخرج منه بغير حاجة، أو بأن يراه محتاجًا إلى الوصل فلم يصله»[٢]، بعدم السدِّ، أو بوضع شيءٍ مانع، أو جلس بين الصفوف بلا صلاة، أو منع الداخل من الدخول في الفرجات[٣].

قوله: «**ومن قطع صفًّا قطعه الله**»: وهذا كسابقه لم يحدد نوع القطع، ليدلَّ على شدَّة القطع وشموله، أي: "أبعده من ثوابه، ومن رحمته الشاملة، وعنايته الكاملة"[٤] في الدنيا والآخرة جزاءً وفاقًا من جنس فعله[٥].

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/٣٢٢)، و«مقاييس اللغة» (٧٧٩).

(٢) «التنوير شرح الجامع الصغير» (٣/٢٥)، و«فيض القدير» (٢/٣٤١).

(٣) «عون المعبود» (٢/٧٥)، و«حاشية السندي على النسائي» (٢/٤٢٨).

(٤) «فيض القدير» (٢/٣٤١)، و«عون المعبود» (٢/٧٥).

(٥) وفي الاجتماع بينهما أي: الوصل والقطع، اجتماعٌ وصف الكَمال في الجَزاء بِنَوْعَيْه، إذ إن الجزاء=




(١٠) الصفة المقيدة (النِّسْيَان) «بمعنى التَّرْك»[(١)]

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف:٥١][(١)].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: حديث رؤية مُخاطبة الله تعالى الكافر يومَ القيامة، فيقول له: «**أفظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنِّي أنْساكَ كما نَسيتَني..**»[(٢)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: النسيان يأتي بمعنيَيْن: الذّكر، والحفظ، والغفلة، يقال: نسي فلان شيئًا؛ أي: غابَ عن حفظه.

ويأتي بمعنى: التَّرك عن عمدٍ وقصدٍ، وهذا المعنى هو المَقْصود في حَقِّ رَبِّ العالمين[(٣)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: يوصف ربّنا الجليل بالصفة الاختيارية التي تقوم بِمَشيئته، وقدرته، النسيان بمعنى: الترك والإهمال على وجه المُقابلَة، والجَزاء، من قبيل المُعاملَة بالمِثْل لِمَنْ نَسِيَه في الدُّنيا؛ أي: نسي أوامرَه، ونَواهيه، وحقوقه في العبوديَّة، ونسي لِقاءَه يوم القيامة، وهذا من كَمال العَدْل، لأن كمالَ الجَزاء وحسنه أن يكون من جِنْسِه، ونوعه.

= إما أن يكون: بالفضل، وإما أن يكون بالعدل:

الجزاء بالعدل والفضل: دَلَّ عليه صفة (الوصل). والجزاء بالعدل: دَلَّ عليه صفةُ (القطع) والله أعلم.

(١) وقال عزَّ شأنُه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]. وقال سبحانه: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة: ١٤].

(٢) مسلم (٢٩٦٨).

(٣) انظر: «المفردات» (٨٠٣)، و«عمدة الحُفَّاظ» (١٧٤/٤)، و«لسان العرب» (٥٤٤/٨)، وكتاب «العين» (٢١٩/٤)

وهذا المعنى هو الذي نَصَّ عليه أئمةُ الهُدى.

قال إمامُ أهل السنة والجَماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في رَدِّه على الزَّنادِقَة، الجَهْمِيَّة: «أما قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يقول: نترككم في النّار[١]، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ كما تركتم العمل لِلِقاء يومكم هذا»[٢].

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: «معناه: تركوا الله أن يُطيعوه، ويتبعوا أمرَه، فتركهم الله تعالى من توفيقه، وهِدايتِه، ورحمتِه، وقد دَلَلْنا فيما مَضى على أنَّ معنى النسيان: الترك...»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: فذوقوا العذابَ الأليم بما نسيتم لِقاء يومكم هذا، وهذا النسيان: نِسْيان ترك؛ أي: بما أعرضتم عنه أو تركتم العملَ له، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾؛ أي: تركناكم بالعذاب جزاء من جنس عملكم، فكما نَسيتم نُسِيتُم[٤].

وسُئِلَ العلامةُ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يوصَف الله تعالى بالنِّسيان؟

فأجاب: «للنسيان معنيان: أحدهما: الذُّهول عن شيء معلوم» ثم

---

(١) كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، انظر: «تفسير الطبري» (٣/٤٤٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/١٤٩٢)، وجاء عنه: «نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا» التفسير الصحيح (٢/٣٢٤)، ولا منافاة بين القولين، فإن من مقتضى ترك الرحمة العقوبة.

(٢) «الرَّدّ على الزَّنادقة والجَهمية» (٢١).

(٣) «التفسير» (٥/٥١٠).

(٤) «تفسير السعدي» (٦٥٥).




ضرب مجموعة من الأمثلة، ثم قال: «والمعنى الثاني لِلنسيان: التركُ عن عِلْمٍ وعَمْدٍ» ثم ضرب أمثلة رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم قال: «وهذا المعنى من النسيان ثابِتٌ لله عَزَّوَجَلَّ...»[1].

(١١) الصفة المُقيَّدة (السُّخْرِيَة) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** كما في حديث مخاطبة رَبِّ العالمين آخر الخارجين من النّار وآخر الداخلين إلى الجِنان، فيقول العبد لِلرَّبِّ: «... **أتسخر بي؟ أو تضحك بي وأنت المَلِك**»[2].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: السخرية:** تدل مادة هذه الكلمة على الاحتقار والاستذلال، والسخرية: الاستهزاء، يقال: سخرت منه، وبه: هزئت منه، وهزئت به[3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** يوصف رَبّنا تعالى بوصف الكمال على وجه التقييد «بالسُّخرية» لِمَن اتَّصف بها من أعدائه في مقابلة أوليائه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ..﴾ الآية.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير الآية، أنه قال: «لَمّا نزلت

---

(١) «مجموع وفتاوى ورسائل له رَحِمَهُ اللَّهُ» (١/١٧١ - ١٧٤).

(٢) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ أي: المستهزئين. «عمدة الحُفّاظ» (١٨٢/٢)، و«معجم «الصحاح» (٤٨١)، و«مقاييس اللغة» (٤٣٣).

آية الصدقة، كُنَّا نحمل على ظُهورنا، فجاء رجلٌ فتصدَّق بشيء كثير، فقالوا (أي: المنافقون): مُرائي، وجاء رجل فتصدق بِصاعٍ، فقالوا: إنَّ الله لَغَنِيٌّ عن صدقة هذا»[١].

فقابلهم الله تعالى (ونِعْمَ المُقابلَة بجنس) صنيعهم بأن: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

يقول ابن كثير رحمه الله: «هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين، لأن الجزاء من جنس العمل، فعاملهم معاملة من سخر منهم، انتصارًا للمؤمنين في الدنيا، وأعد للمنافقين في الآخرة عذابًا أليمًا، لأن (كما تقدم) الجزاء من جنس العمل»[٣].

ومن أوجه السخرية بهم في الدارين أنه:

في الدنيا: يظهر لهم من المعاملة ما يظنون أنهم من أعداد المسلمين.

وفي الآخرة: ما أعدَّ لهم من أليم عقابه، ونكال عذابه[٤]، وهذا في غاية السخرية لأعدائه تعالى، وهذا كما تقدَّم من كمال العَدْل، والحكمة، بل ومن كمال القوة، والقدرة، والعزة، أن يُقابل الظالم بمثل أو أشد من فعله[٥].

---

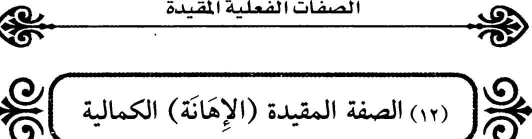
(١) صحيح البُخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٢) «تفسير السعدي» (٣٤٦).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/٥١١).

(٤) ينظر كلام ابن جرير النفيس في تفسيره (١/١١٨).

(٥) وهو يدلُّ على كَمال محبته تعالى لأوليائه كما تقدم قول قَوّام أهل السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتولى الذَّبّ عنهم (أي: المؤمنين) فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيبٍ، وتولى المُجازاة فقال: (الله يستهزئ بهم) وقال: (سخر الله منهم) لأن هاتين الصفتين إذا كانت من الله تعالى، لم تكن سَفَهًا، لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السَّفَه، بل ما يكون منه يكون صَوابًا، وحكمةً» باختصار. «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨١).



(١٢) الصفة المقيدة (الإِهَانَة) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: ١) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدْ هَوانَ قُريش أهانَهُ الله**»[١].

٢) وقال ﷺ: «**مَنْ أهانَ سلطانَ الله في الأرض أهانَه الله**»[٢].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الهون**: يطلق على: الذُّلِّ، والاستخفاف، يقال: رجل فيه مَهانة؛ أي: ذُلّ وضعف، واستهان به: استحقره، والهونُ بالضم: الخزي، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣][٣].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت في السنةُ السنية في إثبات هذه الصفة على وجه المُقابلَة بالعقوبة لِمَن خالف أمره سبحانه، وأمر رسوله ﷺ، ومن ذلك: «إهانة قريش» كما تقدم، فإن الله تبارك وتعالى قد فَضَّلَها على غيرها من القَبائل كما جاءت النصوص الكثيرة الوفيرة، فمن أهانَها عامله الله تعالى وجازاه بأن يُهينَه؛ أي: يُذِلّه، ويُخزيه جزاءً وعدلًا منه تعالى.

وكذلك «إهانة سلطان الله تعالى» وهو الأمير كما في الرواية في الترمذي: إن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت فهر بن عامر، وهو يخطب، وعليه ثِياب رِقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى

---

(١) وفي لفظ: «مَنْ أهانَ قُريشًا أهانه الله». رواه ابن أبي العاصم في «السنة» (١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩)، وحَسَّنَ إسناد الروايات محقق الكتاب أ.د باسم بن فيصل الجوابرة (٢/٩٩٦ ـ ٩٩٨)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (١١٧٨).

(٢) حسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٢٢٤)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٧).

(٣) انظر: «الصحاح» (١١١٣)، و«القاموس» (١٣٧٠)، و«عمدة الحفاظ» (٤/٢٦٦).



أميرنا يلبس ثِياب الفُسّاق، فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أهانَ سُلطان الله في الأرضِ أهانَهُ الله».

والمعنى: «مَنْ أهانَ مَنْ أعزَّه الله وألبسه خلعة السلطنة، أهانه الله، و(في الأرض) متعلق بِسُلطان الله تعلقها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، والإضافة في سلطان الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله»(١).

فليحذر العبد أن يُهين وليَّ الأمر سواء كان بالقول: كالغيبة، والاستهزاء، والازدراء، والبهتان، أو بالفعل: كالوِشاية، والتحريض بالخُروج عليه سواء كان: بالسلاح، أو بالكلام أو بالحشد كما في هذا الزَّمان من البدعة المحدثة: المُظاهَرات، والاعتصامات، والتي ما أنزل الله بها من سلطان. والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل(٢).

(١٣) الصفة المقيدة (الِاحْتِجَاب) الكمالية

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَلّاهُ الله شيئًا من أمرِ المسلمين، فاحتجبَ دونَ حاجتِهم وخلتِهم وفَقْرِهم، احتجبَ الله عنه دونَ**

---

(١) «تحفة الأحوذي» بشرح جامع الترمذي» لِلمُباركفوري (٨٦/٦).

(٢) وجاءت هذه الصفة على جهة غير المقابلة في سياق إخبار الله تعالى بِسُجود كلٍّ من في السموات والأرض وما فيهما، وما بينهما من جَمادات وناطقات وغير ناطِقات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، ومعنى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: «المؤمنون، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: وجب وكتب لِكُفْره وعدم إيمانه، فلم يُوفقه الله تعالى للإيمان، لأن الله تعالى أهانه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾». «تفسير السعدي» (٥٣٦)، أي: مَن يُذله الله فلا يكرمه أحد، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: يكرم، ويُهين، فالسعادة والشّقاوة بإرادته، ومشيئته. «معالم التنزيل» للبغوي (٣٧٢/٥)، فربنا سبحانه لا يهين، ولا يُذِل، ولا يخزي إلّا مَن استحقَّ ذلك، وهو بمُشاقته لله سبحانه.




حاجتِه، وخلتِه، وفقرِه»[1].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الحَجْبُ:** المنعُ من الوصول، يقال: «حجبته عن كذا»، أي: منعته، (ويأتي حسي، ومعنوي)، والحجاب: الشيء الذي يحجبُ به، وقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]؛ أي: حاجز[2].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** إنَّ من كَمال صفات رَبِّنا ﷻ أنها تأتي على أوجهٍ متعددة، وأنواع مختلفة، وأحوال متنوعة، لِتَدل على كمالِه المطلق من كل وجهٍ، كما في هذه الصفة الفِعْلِيّة، وهي الاحتجاب في مقابلة من احتجب من الوُلاة، والأمراء، والحُكّام، على من ولاهم على عِباده المسلمين، كما تقدم من الأحاديث، كما في قوله ﷺ: **«فاحتجب دون حاجتهم»**؛ أي: امتنعَ من الخُروج عند احتياجهم إليه.

وقوله: **«وخَلَّتهم»**: الحاجة الشديدة، والمعنى: مَنَعَ أرباب الحَوائج والمُهِمّات أن يدخلوا عليه، ويعرضوا حَوائجَهم عليه، فيعسر عليهم إنهاؤها.

قوله: **«احتجب الله عنه دون حاجته، وخلته، وفقره»**؛ أي: أبعده، ومنعه عَمّا يبتغيه من الأمور الدينية، أو الدنيوية، فلا يجد سَبيلًا إلى حاجة من حاجاته الضرورية، (ومن ذلك): أن لا يُجيب دعوته، ويخيب آماله،

---

(١) «صحيح أبي داود» (٢٩٤٨). وقال ﷺ: «من ولي من أمر الناس شيئًا، فاحتجبَ عن أولي الضعفة، والحاجة، احتجبَ الله عنه يوم القِيامة». رواه أحمد في المسند (٢٢٠٧٦)، وصححه لغيره شعيب الأرنؤوط (٣٩٤/٣٦)، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٢٧/٢).

(٢) والحاجب للسلطان: الذي يمنع من يصل إليه، (وهذا هو الحَجْبُ الحسِّي، أما الحَجب المعنوي) كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]؛ أي: حاجزٌ، ومانع في النحلة والدين، لا حجاب حسي. «عمدة الحفاظ» (٣٧٣/١)، و«مقاييس اللغة» (٢٤١).




جزاءً وفاقًا»[1] منه تعالى لأولئك الوُلاة الظَّلَمة، لما في ذلك من كمال العدل، والقسط، والحَقّ، والنصرة للرَعية الذي احتجب عنهم أولئك، وهذا يدلُّ على تمام حمده، وكَمال أفعاله سبحانه، إذ إنها مبنية على الحكم، من جميعِ وُجوهها[2].

(١٤) الصفة المقيَّدَة (الخُذْلَان) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ**﴾ [آل عمران: ١٦٠].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن امرِئٍ مسلم يَخذِلُ امرأً مسلمًا في موضعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُه، ويُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ، إلّا خَذَلَهُ الله في موطِنٍ يُحِبُّ فيه نصرته...**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الخذلان**: تركُ النصر مِمّن يتوقع منه ذلك، وخذله: تركَ نصرتَه ومعونته[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف نفسه على وجه المُقابلة بأنه تعالى يخذل من يخذل أحدًا من المسلمين، وهذا يدلُّ على غيرته لأوليائه، ومحبته لهم، وإرادة العزة، والكرامة، والرفعة لهم، فأيّ كمال يسمو

---

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٥/٣٤٦)، وإتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي» (٤/٢٣٠)، وانظر: «فيض القدير» (٥/٤٧١) (٦/٢٣٨)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/٤٤٦).

(٢) قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه وعيدٌ شديد لِمَن احتجب عن الناس لغيرِ عُذْر، وكان حاكمًا بينهم، لأن فيه تأخير إيصال الحُقوق إلى أهلِها، أو تضييعها». «الفتح» (١٣/١٣٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٩٠)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٠)، وابن حجر في «مقدمة تخريج مشكاة المصابيح» (٤/٤٣٠).

(٤) ولذلك قيل: خذلت الوحشية ولدَها: تركته وحده، وتخاذلت رِجْلاه: إذا لم تُعيناه على المشي. «المفردات» (٢٧٧)، و«عمدة الحفاظ» (١/٤٩٣)، و«القاموس المحيط» (٣٥٥).

لِهذا الكَمال يا عبد الله، فاحمد الله حمدًا كثيرًا أن عرفك به، وبصفاته العلية، وأفعاله المرضيَّة، فكم من محروم منها من البرية.

وقوله ﷺ: «**ما من امرئ يخذل امرأً مسلمًا**»؛ أي: ترك إعانته ونصرته؛ أي: لم يحل بينَه وبينَ من يظلمه، ولا ينصره «**في موضع تنتهك**» بصيغة المجهول؛ أي: بأن يتكلم فيه بِما لا يحل، «**فيه**»: في ذلك الموضع، «**حرمته**»؛ أي: احترامه، وبعض إكرامِه.

وقوله: «**ينتقص**» من الانتقاص، وهو لازم، ومتعد، «**فيه من عِرْضِه**» وهو محل الذَّمّ، والمدح من الإنسان.

والمعنى: ليس أحدٌ يترك نصرة مسلم مع وجودِ القدرة عليه بالقول، أو الفعل عند حضور غيبته، أو إهانته، أو ضربه، أو قتله، أو نحوها.

وقوله: «**إلّا خذلَه الله في موطن يحب فيه نصرته**»؛ أي: إلّا خذلَه الله تعالى في موضع يكون فيه أحوج لِنُصرته، وذلك شامل لِمَواطن الدنيا، ومواقف الآخرة، عقوبة له من جنس عمله[1].

وهذا غاية العَدْل، والحكمة، وإحقاق الحق، لا جور فيه من الرَّبِّ عزَّ شأنُه.

إذ أن رَبَّنا الجليل من كمال حكمتِه، وعدله، وفضله، أن جعل قاعدة عظيمة في الجَزاء «أن الجَزاء من جنس العمل في الخير والشر ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]»[2] في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: «فيض القدير» (٤٧٢/٥)، و«عون المعبود» (٢٤٣/٨)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٤٥٠/٩).

(٢) «شفاء العليل» (٦٥٣/٢)، و«تهذيب السنن» (١٧٦/١٢) كلاهما لابن القيم.




(١٥) الصفة المقيدة (الشَّاقّ) الكمالية

❁ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: ١) قال رسول الله ﷺ: «... ومَنْ شاقَّ شَقَّ اللهُ عليه يومَ القِيامة»(١).

٢) وقال ﷺ: «اللهم مَنْ وليَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومن وَلِيَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فرفقَ بهم، فارْفُقْ به»(٢).

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الشِّقُّ: المشقة، والشدة، والانكسار الذي يلحق النفس، والبدن(٣).

والمشاقة مشتقة من الشقاق وهو: الخلاف، والعداوة والمنازعة(٤).

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: إنَّ من كَمال رَبِّنا، وجلاله، وعليائه، أنه سبحانه يُعامل عباده بِمُوجب أسمائه، وصفاته، التي يُعامِلون بها عبادَه، ولِهذا كان أحب الخلق إليه من اتصفَ بِمُقتضيات صِفاته(٥).

ومن هذه الصفات التي يُعامل الله بها عبادَه على حسب ما يُعاملون

---

(١) ومنه الحديث: «لولا أن أشُقَّ على أمَّتي لأَمَرْتُهم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صَلاةٍ»؛ أي: لولا أثقل عليهم، من المشقة، وهي: الشدَّة، وفي لفظ: «ومن يشاقق يشقق الله عليه» بصيغة المضارع. البخاري (٧١٥٢).

(٢) مسلم (١٨٢٨).

(٣) «المفردات» (٤٥٩)، و«النهاية» (٤٨٧)، و«مقاييس اللغة» (٤٥٤).

(٤) «فتح الباري» (١٣/١٦٢)، و«المصباح المنير» (١٩٤).

(٥) فهو سبحانه رحيم: يحب الرُّحَماء، وهو سِتِّير: يحب من يستر على عِباده، فهو تَعالى يُجازي عبدَه بحسب هذه الصفات فيه وجودًا، وعدمًا، فمن عَفا: عفا عنه، ومن غفر: غفر له...، ومن تتبع عوراتِهم: تتبعَ عورتَه، ومن هتكَهم: هتكه وفضحَه، ومن شاقّ: شاق الله تعالى به، ومن مكر: مكرَ به، ومن خادَعَ: خادعه، ومن عامل خلقه بصفة: عامله الله تعالى بتلك الصفة بِعَينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده، على حسب ما يكون العبد لِخَلقه،...، فكما تدين تُدان، وكن كيف شئت، فإنَّ الله تعالى لك كما تكون أنتَ لِعِباده. انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم (٥٣ ـ ٥٦).




بها عباده: «الشّقّة والمشَقَّة» «فمن أدخلَ على الناس المشقةَ، أدخل الله عليه المشقة، فهو من الجزاء بجنس العمل»[1].

وهذا من حكمة الله تعالى التي يُحمد عليها سبحانه[2].

فمن نازع مسلمًا ظلمًا وتعديًا وأوصل إليه أي نوع من المشقة (الدينية، أو الدنيوية): أنزل الله عليه ما يشق عليه جزاءً وفاقًا[3].

ولم يحدد ﷺ نوع المشقة، «فإما أن تكون في بدنه، أو في صدره، أو في أهله، أو في غير ذلك، لأن الحديث مطلق، وربما لا تظهر للناس»[4].

وقوله ﷺ: «**اللهم من ولي من أمرِ أمَّتي شيئًا**» (شيئًا) يشمل القليلَ والكثير، وهذا يشمل أي نوعٍ من الوِلاية، الولاية العامة (وهي الوِلاية الكبرى)، أو الولاية الخاصة، حتى مدير المدرسة في مدرسته، وحتى الرجل في أهله، وكل من وليَ شيئًا، فالواجبُ عليه أن يرفُقَ بِمَن ولّاه الله عليهم[5].

وقوله: «**فاشقق عليه**»: هذا دُعاء عادل، لا دعاء عدوان، وظلم، وبغي، وإنَّما هو انتِصاف من الظالم جزاءً وِفاقًا، عدلًا، وحَقًّا، بل وفضلًا منه جَلَّ جَلَالُه.

* * *

(١) «فتح الباري» (١٣/١٦٠).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (٦٢).

(٣) «عون المعبود» (٦/٤٦٧)، و«تحفة الأحوذي» (٥/٣٥٥).

(٤) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٣/٦٣٤).

(٥) «شرح صحيح مسلم» (٦/١٧٤)، و«شرح صحيح البخاري» (٨/٢٤) لابن عثيمين.




(١٦) الصفة المقيدة (التتبع) الطلب، الكشف «العورات» الكمالية

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: **«يا مَعْشَرَ مَنْ آمنَ بلِسانه ولم يدخل الإيمانُ في قلبِه، لا تَغْتابُوا المسلمين، ولا تَتَبَّعُوا عوراتِهم، فإنَّه من اتبع[1] عوراتِهم يَتَّبِعُ الله عز وجل عورتَه، ومن يتبع الله عورتَه يفضحه في بيتِه»**[2].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **التتبع**: التلو والقفو واللحاق، يقال: «تبعت فلانًا إذا: تلوته واتبعته»، أتبعه: إذا لحقه[3].

وتتبع الشيءَ تطلبه متبعًا له، والتتابع ما بين الأشياء: إذا فعل هذا على إثر هذا لا مهلة بينهما[4].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: هذه الصفة المقيدة الجَليلة جاءت عن أعلم الخلق بالرَّبِّ سبحانه، في تحذيره ﷺ لِلمُنافقين الذين من شأنهم لمزُ المؤمنين، والوقوع في انتقاصهم، وذِكْر مَعايِبهم، فـ«فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شِعار المُنافقين، لا المؤمنين، وقوله: **«ولا تتبعوا عوراتهم»**؛ أي: لا تجسسوا عيوبَهم، ومساوئهم فيما تجهلونها، ولا

---

(١) في لفظ: (تتبع) بصيغة الماضي المعلوم من باب التفعيل، أي: من طلب.

(٢) «صحيح أبي داود» (٤٨٨٠)، و«الترمذي» (٢٠٣٢).

وقال ﷺ: «**لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته**» رواه أحمد (٢٢٤٠٢) وصححه الأرنؤوط (٣٧/٨٨)، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٤٠).

وقال ﷺ: «**ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته**». صحيح ابن ماجه (٢٥٤٦).

(٣) «المفردات» (١٦٣)، و«مقاييس اللغة» (١٣٣).

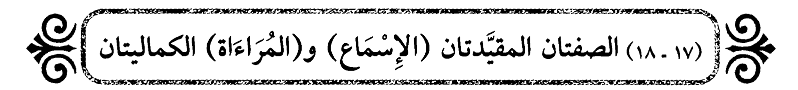
(٤) «المصباح المنير» (٥٣)، و«كتاب العين» (١/١٨٠).



تكشفوها فيما تعرفونها، «فإنه»؛ أي: الشأن «يتبع الله عورته»؛ أي: يكشف عيوبَه، «ومن تتبع الله عورته يفضحه»؛ أي: يكشف مساوئه «في بيته»؛ أي: ولو كان في بيتِه مخفيًّا عن النّاس»[(١)].

أي: مع وجود ستره، وهذا مآل قوله ﷺ: «**لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيعافيه الله ويبتليك**»، ففيه عقوبة من جهتين: الابتلاء بتلك البلية، ثم إظهاره بين الناس وإن ستره الله على نفسه، وقد جرب هذا الأمر مرارًا[(٢)].

فإن الله سبحانه سيكشف عيوبه ومساوئه قِصاصًا وفاقًا، جزاءً عدلًا، حسنًا، لا أحسن منه، والعورة هي: «كل ما يُسْتَحْيا منه إذا ظهرَ»[(٣)].



(١٧ - ١٨) الصفتان المقيَّدتان (الإِسْمَاع) و(المُرَاءَاة) الكماليتان

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: «**من سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به، ومن يُرائي يُرائي الله به**»[(٤)].

٢) وقال ﷺ: «**... ومَنْ قامَ برجلٍ مسلمٍ مقام سُمعةٍ ورياء، فإنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **يقومُ به مَقامَ سمعة ورِياء يوم القِيامة**»[(٥)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: سمّع:** سمَّعت بالرجل تسميعًا وتَسَمَّعة إذا شهرته، ونددت به، وسمَّع فلان بعملِه إذا أظهرَه ليُسْمَعَ[(٦)].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» للقاري (٧/٢٤٥)، و«عون المعبود» (٨/٢٤٠)، و«تحفة الأحوذي» (٥/٤٢٢).

(٢) «إنجاز الحاجة شرح سنن ابن ماجه» (٦/٢٥١).

(٣) «النهاية» (٦٤٩).

(٤) وفي لفظ: «من يُسَمِّعْ يُسَمِّعُ الله به» البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦) (٢٩٨٧). وفي رواية: «يوم القيامة» البخاري (٧١٥٢).

(٥) «صحيح أبي داود» (٤٨٨١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٣٤).

(٦) «النهاية» (٤٤٥).




الرياء: مشتق من الرؤية، وهي: أريته على خِلاف ما أنا عليه[١].

والرياء في الاصطلاح هو: إظهار العِبادة لقصد رؤية الناسِ لها، فيَحْمَدوا صاحبَها.

والسُّمعة نحو ما في الرِّياء، لكنها تتعلَّق بحاسَّة السمع، والرياء بحاسَّة البصر[٢]، وقيل: من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها[٣].

فالرؤية للفعل، والسمع يكون للقول[٤].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الرِّياء والسُّمعة من الشِّرك الأصغر كما ذَكَره أهلُ العلم، وأنواعهما متعددة، وخطرهما عظيم، إذ إنهما وسيلة قد تفضي بصاحبها إلى الشرك الأكبر، وإنَّهما يُحبطان العمل، وغير ذلك من المَفاسد والأضرار الجَسيمة[٥].

ولهذا فإنَّ الله تبارك وتعالى يُقابل فاعلهما بالجَزاء العادل، الحسن، الذي يحمد عليه، بالقواعد الحميدة، والسنن الرشيدة، وهي: أن «الجزاء من جنس العمل»، و«كما تَدينُ تُدان» وهو أنه تعالى «قابله بعقوبة يوم القيامة بأن: يُشهره، ويفضحه، ويظهر ما كان يُبطِنه أما رؤوس الخلائق، حتى يرى الناس ويسمعوا ما يحلُّ به من الفضيحة»[٦]، ولهذا قال: «سَمَّعَ الله به» يعني: أظهر الله تعالى حالَه للناس، حتى أسمع الناس

---

(١) «لسان العرب» (١/١٠٩٤).

(٢) «الفتح» (١١/٤٠٨).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/٣٤٣) والذي يظهر أن الحديث يشمل جميع هذه المعاني، لأن جميعها مرجع إلى التسميع، انظر: «عقيدة أهل السنة في صفات الله» (٣٨٣).

(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٣٠٥).

(٥) انظر: «الشرك بالله أنواعه وأحكامه» ماجد محمد علي شبالة (٦٥٨، ٦٦٩).

(٦) انظر: «المفهم» (٦/٥٠٠)، و«فتح الباري» (١١/٤٠٩)، و«تكميل إكمال المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٢/٥٧٤).



بعضهم بعضًا بحاله، فصار الناس يتحدَّثون به، وقوله: «يُرائي الله به»؛ أي: أظهر أمرَه[1]. وقد يكون تسميع الله بالعبد في الدنيا كذلك كما جاء في بعض ألفاظه دون تقييد[2].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ يُظهر للخلق خِلاف ما يعلمه الله تعالى فيه، فإنَّ الله سبحانه يظهر له في الدنيا والآخرة أسبابَ الفلاح، والنجاح، والفوز، ويبطن له خِلافها، وفي الحديث: «من رَاءى: راءى الله به، ومن سمع: سمع الله به»»[3].

(١٩) الصفة المقيدة (التَّشْدِيد) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]»[4].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدِّدُوا على أنفسِكم، فيُشَدَّد عليكم، فإنَّ قومًا شَدَّدوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بَقاياهم في الصَّوامع، والدِّيارات** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»[5][6].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الشَّدُّ:** العقد القوي، يقال: شددت الشيء: قويت عقده، والشدة هي: القوة، والمغالبة، والصلابة، وفيه: (مَنْ يُشاد

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٣٠٥/٨).

(٢) انظر: «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٢٣٣/٤).

(٣) «الوابل الصيب» (٥٦).

(٤) وقال تعالى: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]. وقال سبحانه: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

(٥) رواه أبو داود (٤٩٠٤)، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» (٢٠)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣١٢٤).

(٦) وقال ﷺ: «**تنتهك ذمة الله، وذمة رسول الله ﷺ، فيشدُّ الله عز وجل قلوب أهل الذمة، فيمنعون ما في أيديهم**». البخاري (٣١٨٠)، وقال ﷺ: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف**» البخاري (٢٩٣٢) ومسلم (٦٧٥)

الدِّين يغلبه)؛ أي: يُقاويه ويقاومه، ويكلف نفسَه من العِبادة فوقَ طاقتِه[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت هذه الصفة المقيدة في السنة في نهي النبي ﷺ عن التشديد على النفس في العِبادة، وهذا له حالتان:

الأول: التشديد في الطاعة والعِبادة «بالأعمال الشاقة: كصوم الدهر، وإحياء الليل كله، واعتزال النِّساء»[2].

الثاني: الابتداع فيها بِما لم يفرضه الله تعالى، كما وقع لأهل الكتاب، كما في الحديث المتقدم: في قوله «(في الصوامع): جمع صومعة، وهي: موضع عبادة الرُّهبان، (ورهبانية): نصب بفعل يفسره ما بعده؛ أي: ابتدعوا رهبانية، ما فرضْناها عليهم»[3]، وفي هذا بَيان أنه ينبغي للعبد أن يكونَ على حَذَرٍ من الابتداع في الدِّين، ما ليس له أصل قويم، وكذلك القيام بالعِبادة فوق الطاقَة، فيُعاقب بخِلافه، «بأن يفوت عنكم بعض ما وجبَ عليكم، بسبب ضعفكم من تحمل المَشاق»[4].

وفي حديث البخاري المتقدم: «**فيشدُّ الله قلوب أهل الذمة**»، أي: يقوي قلوب أهل الذمة كأنها مشددة على المسملين، ويمنعون عنهم الأموال، بسبب أن المسلمين ينقضون عهد الله تعالى، وعهد رسوله ﷺ الذي يتعلق بحقوق أهل الذمة، ويعاملونهم بالظلم والعدوان، فيعاقبهم

---

(١) وتستعمل في العقد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب، كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ [فاطر: ٤٤]، وتأتي الشدة بمعنى: السرعة، يقال: وشدَّ فلان واشتدّ: إذا أسرع . انظر: المفردات (٤٤٧) و«معجم الصحاح» (٥٣٨)، و«النهاية» (٤٦٩)، ومعجم الصحاح (٥٠١).

(٢) «عون المعبود» (٨/٢٥٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المرجع السابق.

الله في الدنيا والآخرة[1].

(٢٠) الصفة المقيدة (التَّخْوِيف) الكمالية

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينة، أخافَه الله»[2].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الخوف:** الفزع والذعر، فهو توقع مكروهٍ من إمارة مظنونة، أو معلومة، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية، والأخروية[3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** أخبر النبي ﷺ أنَّ مَنْ أخاف المدينة المنورة، وهي: طيبة طيَّبها الله تعالى، فإن الله ﷻ سيخوفه، جزاءً حقًّا منه تعالى، وحكمة يحمد عليها، لأنه سبحانه يغار على أوليائه، وينصرهم، ويحميهم، ويُدافع عنهم، فمَنْ عاملهم بصفة، عامله الله تعالى بتلك الصفة بِعَيْنها في الدنيا، والآخرة.

ولهذا قال ﷺ: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينة أخافه الله»، «لأنهم جيران النبي ﷺ فلهم أعظم حرمة عن العباد (ويدخل في ذلك) بأي مخافة»[4] كانت، فإنَّ الله تعالى سَيُذيقه أشدّ الخوف، أي: يلقي في قلبه وروعه الذكر والفزع من جنس فعله، وقد يكون ذلك في الداريْن، لأن النبي

---

(١) (منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري) شرح منقول من أحد المواقع من الانترنت.

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٧٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٧٧)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٣٠٤) (٥/٣٨٢)، وفي رواية: «من أخاف أهل المدينة ظلمًا أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً» رواه أحمد (١٦٥٥٧، ١٦٥٥٩، ١٦٥٦٥)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٢٧/٩٢، ٩٤، ٩٨)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/٣٧٣).

(٣) «المفردات» (٣٠٣)، و«مقاييس اللغة» (٢٧٤).

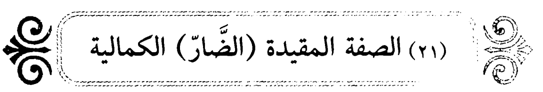
(٤) «التنوير» (١٠/ ٥٥ ـ ٥٦).




ﷺ أطلقَ ذلك، ولم يقيده بِزَمان، ولا مكان.

ومِمّا يدلّ على ذلك الرواية الأخرى: «**مَنْ أخافَ أهل المدينة أخافَه الله يومَ القيامة...**»[1].

وفيه تحذير من إيذاء أهل المدينة، أو بعضهم، قال المجد البغوي: «يتعيَّن محبة أهلِ المدينة، وسُكّانها، وقطانها، وجيرانها، وتعظيمهم، سِيَّما العلماء، والشّرفاء، وخدمة الحجرة النبوية وغيرهم، فإنهم قد ثبت لهم حَقّ الجِوار، فلا يسلب عنهم»[2].



(٢١) الصفة المقيدة (الضَّارّ) الكمالية

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ ضارَّ ضارَّ اللهُ به...**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الضر**: ضد النفع، والضرار: فعال من الضر، وهو: الجَزاء عليه، والضر بالضم: كل ما كان سوء حال، وفقر، وشدة في بدن، وبالفتح: كل ما كان ضد النَّفع، فالضرار: القصد إلى إيقاع الضر بأحد بلا حقٍّ.

وبالجملة: هو كلّ من قصد مكروهًا بغيره بغير حقٍّ[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت هذه الصفة المقيدة الكمالية في إخبار النبي ﷺ أن: «**مَنْ ضارّ**»؛ أي: من أوصلَ ضررًا إلى مسلم، أو معاهد،

---

(١) قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فيض القدير» (٦/٤٠): «رواه الطبراني في الكبير بسند حسن».

(٢) «التنوير شرح الجامع الصغير» (١٠/٥٥).

(٣) وفي لفظ: «مَنْ ضارَّ أضرَّ الله به». رواه أحمد في المسند (١٥٧٥٥)، وحسنه العلامة شعيب الأرنؤوط (٢٥/٣٤)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٣٤٢)، وفي «صحيح الترمذي» (١٩٤٠)، وفي «صحيح أبي داود» (٣٦٣٥).

(٤) «النهاية» (٥٤٢)، و«المصباح المنير» (٢٠٨)، و«حاشية السندي على مسند أحمد» (٢٥/٣٤).




بل أو أي حيوان محترم بغير حق، (لأنَّ ضارٌ، نكرة جاءت في سياق الشرط، وهي تُفيد العموم)، والمعنى: مَنْ أدخل على مسلم جارًا كان أو غيره، مضرة في ماله، أو نفسه، أو عرضه بغير حق «ضارَّ الله به»؛ أي: جازاه من جنس فعلِه، أوقع به الضرر البالغ الشديد في الدُّنيا، وشدد عليه عقابه في العُقْبى[1].

وهذا من عَدْل الله الكامل، الذي لا أعدل منه سبحانه، فعدلُه وسع الخليقةَ كلِّها، إنسها، وجِنّها، مؤمنها، وكافرها، وحتى البهائم، ولِهذا فإن الله ﷻ: «حرم على العباد مضارة غيرهم، ومشاقتهم، بل أمرهم بخلاف ذلك، فخيرُ النّاس أحسنُهم للناس، وأحبّ عباد الله أنفعُهم لِعبادِه»[2].

(٢٢) الصفة المقيدة (التَّفْرِيق) الكمالية

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال ﷺ: «**مَنْ فَرَّقَ بين والدةٍ وولدها، فرَّقَ الله بينَه وبين أحبَّته يومَ القِيامَة**»[3].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الفرق**: الفصل، يقال: فرقت بين الشيء فرقًا: فصلت أبعاضه. وفرقت بينَ الحَقّ والباطل: فصلت، والتشديد (فرَّق) للمبالغة[4].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: أخبر الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطقُ

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٥/٣٥٥)، و«عون المعبود» (٦/٤٦٧)، و«فيض القدير» (٦/١٧٣)، و«التنوير» (١٠/٢٩٨).

(٢) «التنوير» (١٠/٢٩٨).

(٣) «صحيح الترمذي» (١٢٨٣) (١٥٦٦).

(٤) «المصباح المنير» (٢٧٢)، و«المفردات» (٦٣٢).

عن الهوى أنَّ «من فرَّق» بتشديد الرّاء «**بين الوالدة وولدها**»؛ أي: ببيع، أو هبة، أو خديعة بقطيعة وأمثالها، وفي معنى الوالدة: الوالد، بل وكل ذي رحم محرم، (**ويدخل كذلك**): التفريق بين الجارية وولدها بالبيع، والهبة، وغيرها[1].

قابله سبحانه من جنس فعله يوم الدِّين: «**فرَّقَ الله بينه وبين أحبته**»؛ أي: «من أولاده، ووالدَيْه، وغيرهما «**يوم القِيامَة**»؛ أي: في موقف يجتمع فيه الأحباب، ويشفع بعضُهم بعضًا عند رَبِّ الأرباب»[2].

(٢٣) الصفة المقيدة (المُصْرِف) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الصرف**: العدول عن الشيء، يقال: صرفه عن كذا: إذا عدل به عنه، ونحاه، وأصله: ردُّ الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ، وإبدال غيره به، يقال: صرفته فانصرف[3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت هذه الصفة الحميدة في إخبار ربنا العظيم عن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبِّؤُهم بما في قلوبهم، فإذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها (**نظر بعضهم**

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٤/١٧٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) «عمدة الحفاظ» (٢/٣٣٢)..




إلى بعض) أي: تلفتوا إلى بعضهم جازمين على ترك العمل بها، يتغامزون بالعيون إنكارًا للوحي، وسخريةً به، وبالمؤمنين، قائلين: (هل يراكم من أحد) أي: من المسلمين، لننصرف عنهم متسللين، فانقلبوا والعياذ بالله معرضين عن الهدى، والحق المبين، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾.

فجازاهم الله سبحانه بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل (صرف الله قلوبهم) أي: صدَّها عن الحق، وخذلها عن فهم القرآن، (بأنهم) أي: بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)، أي: فقهًا ينفعهم[(١)].

يقول الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله: «فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف، وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبُّره، لأنهم ليسوا أهلاً له، فالمحل غير صالح ولا قابل، فإن صلاحية المحل بشيئين: حسن الفهم، وحسن القصد، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه، وقصودهم سيئة، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله سبحانه»[(٢)]، وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سبحانه، جازاه بأن يُعرض عنه، فلا يُمكِّنه من الإقبال عليه، وهذا هو الخسران المبين، في الدنيا، ويوم الدين.

(٢٤) الصفة المقيدة (المُبْطِل) الكمالية

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١) قال تبارك وتعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨].

٢) وقال عزَّ شأنه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١][(٣)].

---

(١) «انظر: «تفسر ابن كثير» (٢/٥٤٦)، و«تفسير النسفي» (٤٦٠)، و«تفسير السعدي» (٣٥٦).

(٢) الضوء المنير على التفسير» جمع علي الحمد الصالحي من كتب الإمام ابن قيم الجوزية (٣/٤١٦).

(٣) وقال عزَّ شأنه: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٤٢].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الباطل**: نقيض الحق، وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه، وقد يقال ذلك في الاعتبار إلى المقال والفعال، والإبطال يقال تارة في إفساد الشيء وإزالته حقًّا كان ذلك الشيء أو باطلاً، وتارة لمن أتى بالباطل(١).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: إن أفعال ربنا سبحانه كلها أفعال رشاد، وهدي، وصلاح، وحق، فهو سبحانه يحب معالي الأمور(٢)، ويريدها أن تعلو من جميع الوجوه، ومن أجلها، وآكدها عنده سبحانه: نصرة الحق، وإبطال الباطل باضمحلاله، وثبات الحق وأهله.

كما أخبر سبحانه ما حصل في غزوة بدر(٣) في إرادة المسلمين الغنيمة وكراهية القتال(٤)، والله جل جلاله الحكيم الذي يضع الأسباب وما يترتب عليها من المسببات، في أحسن مواضعها، العليم بعواقب الأمور، ومآلها، ونتائجها، ولهذا جمعهم من غير ميعاد، ليظفر أهل الإسلام على أهل الكفران، "ليظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالبًا على كلِّ الأديان، وهو سبحانه أعلم بعواقب الأمور، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد لا يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم"(٥).

---

(١) «المفردات» (١٢٩)، و«عمدة الحفاظ» (١/٢٠١).

(٢) كما في الحديث: «إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها، ويكره سفسافها». صحيح الجامع (١٨٩٠).

(٣) قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ ـ ٨].

(٤) انظر الواقعة في تفسير الطبري (٤/١٠)، وابن كثير (٢/٣٩٤).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٢/٣٩٥).



ولهذا قال جلَّ جلاله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: "بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾، بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾"(١).

وأخبر سبحانه على لسان موسى ﷺ أن الله تعالى سيبطل السحر العظيم الذي جاء به سحرة موسى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١]، أي: إن الله سيضمحله ولا يبقيه، وقد وقع كما أخبر: "بأن سلط عليه عصا موسى قد حولها ثعباناً يتلقفه، حتى لم يبق منه شيئًا"(٢).

وهكذا كل مفسد عمل عملاً، واحتال كيدًا، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقتٍ ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق"(٣).

(٢٥) الصفة المقيدة (الفضح) الكمالية

◈ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال ﷺ: «**من انتفى من ولده ليفضحه في الدنيا، فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد قصاص بقصاص**»(٤).

◈ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الفضح:** انكشاف الشيء وبيانه للأعين، ومنه: أفضح الصبح: بدا، والفضيحة: العيب، ولا يكاد يقال إلا في قبيح، يقال: فضحه: كشف مساويه(٥).

---

(١) «تفسير السعدي» (٣١٦).

(٢) «تفسير الطبري» (٤/٢٣٣).

(٣) «تفسير السعدي» (٣٧١).

(٤) رواه أحمد (٤٧٩٥) وحسنه شعيب الأرنؤوط (٨/٤١٤)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٤٨٠) وقال ﷺ: «...فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته». انظر تخريج هذا الحديث في صفة «تتبع العورات» رقم (١٦).

(٥) ينظر: «النهاية» (٧٠٩)، و«القاموس المحيط» (١٠٠٠)، و«مقاييس اللغة» (٧٤٠).




۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** قوله: «**من انتفى من ولده ليفضحه في الدنيا**»، أي: انقطع عنه بأن نفى نسبه عنه، وقال: إنه ليس مني[(١)].

قوله: «**فضحه الله**»، أي: كشف مساويه وعيوبه أمام الخليقة في يوم القيامة، جزاءً وفاقًا كما انسلخ من ولده وفضحه في الدنيا.

ولهذا قال ﷺ: «**قصاص بقصاص**»، «أي: ذلك الذي يُفعل به قصاص، أي: فعل يساوي فعله، يعني: من جنس فعله»[(٢)]، وهذا غاية العدل وأحسنه[(٣)].

(٢٦) الصفة المقيدة (الإِبْرَامُ) الكمالية

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **الإبرام:** إحكام الأمر، وإتقانه، وأصله من إبرام الحبل، أي: فتلته فتلاً محكمًا فهو مبروم، وبريم، وأبرمت العقد إبرامًا: أحكمته، والبُرْمةُ: القِدْرُ من ذلك لإحكامها[(٤)].

ويأتي بمعنى الكيد، كما ثبت عن مجاهد رحمه الله في قوله: "﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ قال: مجمعون: إن كادوا شرًّا كِدْنا مثله"[(٥)].

---

(١) «حاشية السندي على المسند» (٨/٤١٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «وفضح الله تعالى للعبد هو كشف وإظهار حقيقة ما قصده من عمله للخلق، وهو من الصفات الفعلية الصادرة منه تعالى، والله يفضح كل من عمل عملاً يريد به خلاف ما أظهر للناس منه، والفضيحة مفعوله المخلوق القائم بالعبد». «عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله» (٤١٩).

(٤) «المفردات» (١٢٠)، و«عمدة الحفاظ» (١/١٨٤)، و«لسان العرب» (١/٤٠١)، و«المصباح المنير» (٣٣).

(٥) «التفسير الصحيح» (٤/٣١٠).



۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** ثبت الإبرام في حقِّ ربِّنا العظيم في كتابه الحكيم، في مقابلة المشركين، "وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في ردِّ الحق بالباطل بحيل، ومكر يسلكونه، فكادهم الله وردَّ وبال ذلك عليهم"(١).

قال شيخ المفسِّرين ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرًا فأحكموه، يكيدون به الحق الذي جئناهم به، فإنا محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال"(٢).

(٢٧) الصفة المقيدة (اللَّوْيُ) الكمالية

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يُحب هذا وضربه(٣)، يلوُون ألسنتهم للناس ليَّ البقر لسانها بالمرعى! كذلك يلوي الله ألسنتهم ووجوههم في النار»(٤).**

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **اللوي:** الإمالة، يقال: لوى رأسه، وبرأسه: أماله، وألوى برأسه ولواه: إذا أماله من جانب إلى جانب، قال تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]، أمالوها، ولوى بلسانه كذا: كناية عن الكذب أو تخرص الحديث(٥).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٧٣/٤) وعلّق رحمه الله على قول مجاهد الذي تقدَّم: (وهذا الذي قاله مجاهد كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

(٢) «التفسير» (٥٣٧/٦).

(٣) أي: أمثاله ونظراءه. «النهاية» (٥٤٠).

(٤) صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٠/٣) (٣٢٠٧)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٢٦٢/٧) (٣٤٢٦).

(٥) «المفردات» (٧٥٣)، و«النهاية» (٨٤٦).




❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: أن من محامد الله السنيَّة، ومدائحه الكريمة، ومن سننه المليحة، التي لا يستطيع أحدٌ من الخليقة أن يغيرها، المجازاة من جنس الفعل.

ومن ذلك: من يميلون ألسنتهم عن الحقيقة بالكذب، والتلوُّن عن الحق والهدى بالباطل والصدّ.

وهذا من أبشع الأوصاف والخلال، لأنها من أوصاف أهل النفاق الذمام، الذين يؤثرون الكفر على الإيمان، كما قال ربنا في القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

وقد شبَّههم النبي الأمين ﷺ بأبشع الوصف الذميم: بالبقر التي تميل لسانها بالأكل في المرعى، ولهذا فإن الله تعالى الحكيم يجازيهم بالعقاب الأليم يوم الدين، أن يميل ألسنتهم، ووجوههم في الجحيم، فقابل سبحانه الباطل وسوء الطوية، بالجزاء العدل الحسن، بعد الإمهال والروية.

(٢٨) الصفة المقيدة (الإِتْلَاف) الكمالية

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أخذَ أموالَ الناسِ يُريد أداءَها أدَّى اللهُ عنه، ومَنْ أخذَها يُريدُ إتلافَها أتلفَه اللهُ**»[1].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **التلف**: هو ذَهاب الشيء، يقال: تلف الشيء تلفًا: هلك، فهو تالِف. وأتلفه: أفْنَاه. وذهبت نفْسُه تلفًا: هدرًا[2]

---

(١) البخاري (٢٣٨٧).

(٢) «مقاييس اللغة» (١٣٠)، و«القاموس المحيط» (١٥٩)، و«المصباح المنير» (٤٩).

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: أخبر المصطفى ﷺ أن: «**مَنْ أخذَ أموالَ الناس**»؛ أي: بوجهٍ من وجوه التعامل أو للحفظ، أو لغير ذلك: كقرض، أو غيره، كما يُشير إليه عدم تقييده بـ ظلمًا.

وقوله: «**يُريد أداءَها**»: إلى أهلِها، وقضائهم ما أخذ منهم «**أدَّى الله عنه**»؛ أي: يَسَّرَ الله له ذلك بإعانته وتوسيع رزقِه.

«**ومَنْ أخذها يُريد إتلافَها**» بعدم أدائِها إليهم.

قوله: «**أتلفَه الله**» يعني: أتلفَ أموالَه في الدنيا، بكثرة المِحَن، وحُلول المَصائب، والمغارم، ومحق البَرَكة، فيذهب الله تعالى من يَده (جزاءً وِفاقًا) فلا ينتفع به لِسوء نيته، ويبقى عليه الدَّيْن، وتتلف نفسُه في الآخرة بالعَذاب والعِقاب.

وعَبَّرَ بـ أتلفه، لأن المالَ كإتلاف النفس، أو في الآخرة بالعذاب[١][٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ظاهره أنَّ الإتلافَ يقع له في الدنيا، وذلك في مَعاشِه، أو في نفسه، وهو علم من أعلام النبوة، لِما نَراه بالمُشاهدة مِمَّن يتعاطى شيئًا من الأمرين، وفيه الترغيب في تحسين النية، والترهيب من ضدّ ذلك، وأن مَدارَ الأعمال عليها»[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) «فيض القدير» (٦/٤١)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (١٠/٥٧)، و«إنجاز الحاجة في شرح ابن ماجه» (٦/١١٤).

(٢) يقول العلامة ابن عثيمين: «التلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي، ١) **التلف الحسي**: أن يتلف المال نفسه، بأن يأتيه آفة تحرقه أو يسرق وما أشبه ذلك. ٢) **والتلف المعنوي**: أن تنزع بركته، بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حياته». «شرح رياض الصالحين» (١/٢٥١).

(٣) «فتح الباري» (٥/٦٨).




(٢٩) الصفة المقيدة (المانع) الكمالية

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: ... ورجل منع فضل مائه فيقول الله يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**»(١).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن من منع فضل ما آتاه الله تعالى، وهو ما زاد عن الحاجة التي يقتنيها العبد، فإنه سبحانه سيجازيه عدلاً حقًّا من جنس فعله، بأن يمنعه فضله في يومٍ هو أشدُّ ما يكون محتاجًا إليه في الدار الأخروية.

وقد ذكر ﷺ فردًا من أفراد المنع وهو: (الماء) لشدة الحاجة إليه في الحياة المعاشية، فلا يستغني عنه أحدٌ من الخليقة.

والمقصود في قوله: «**منع فضل الماء**» «هو الماء الذي لا يملكه، مثل رجل عنده غدير في أرضه، وهو مجتمع ماء السيول، فلا يمكِّن الناسَ من أخذه، أما الماء الذي يملكه فهو ملكه، شاء أن يبيعه، أو يمنعه»(٢).

قوله: «**اليوم أمنعك فضلي**»: فهذا وعيدٌ عظيم بالعذاب، لكونه منع فضل ما لم تعمل يداه، والكلأ الذي ينبت بغير فعله لم تعمله يداه(٣).

---

(١) البخاري (٢٣٦٩) (٧٤٤٦)، واللفظ له، ومسلم (١٠٨)، وقال ﷺ: «**أيُّما رجل أتاه ابن عمه يسأله من فضله، فمنعه، منعه الله فضله يوم القيامة**» حسَّنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب (١/٥٣٦)، وقال ﷺ: «**من منع فضل مائه، أو فضل كلئه، منعه الله فضله يوم القيامة**» رواه أحمد في المسند (٦٦٧٣) (٦٧٢٢) وحسنه شعيب الأرنؤوط (١١/٢٥٥، ٣٣١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (٨/٤٦٣).

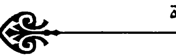
(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠/٢٦٦)، (٢٩/٢١٩).



ثم ذكر ﷺ علة العقوبة عن ربه تعالى: «**كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**»: «أي: ليس حصوله وطلوعه من منبعه بقدرتك، بل هو بإنعامي وفضلي»[1].

** ** **

(١) والمراد: المياه المتاحة النابعة في موضع لا يختص بأحد ولا صنع للآدميين في إجرائها وإنباطها كمياه العيون، والأنهار والسيول الجارية». انظر: «عمدة القاري» (٢٥/٢٠٢)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٥/٢٢٩)، و«فيض القدير» (٤/٢٤٧).




الصفات المقيدة على وجه العقوبة:
النوع الثاني: العقوبة من غير جنس الفعل ونوعه

(١) ٣٠ ـ الصفة المقيدة (الخِزْي) الكمالية

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال ﷻ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢][1].

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الخِزي: خُزِي الرجل: لحقه انكسار، إما من نفسه، وإما من غيره، والخزي: الذُّل والهوان، وأخزاهُ الله: أذَلَّه، وأهانه، وهو ضرب من الاستخفاف، والخزي يكون محمودًا، ومذمومًا، فمتى كان من الإنسان نفسه يقال له: الهون والذُّل، يكون محمودًا، ومتى كان من غيره يقال له: الهُون، والهَوان، والذل، يكون مذمومًا[2].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الخزي من الأوصاف الفعلية الاختيارية والتي تقوم بمشيئة الله تعالى، وقدرته، المقترنة بحكمته، «لأن كل فعل علقه الله بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]»[3].

وعلى هذا فإنَّ الله تعالى يُخزي الكافرين ومَن يشاء من الظالمين، حكمة منه تعالى، وعدلًا، وجزاءً وفاقًا بفعلِهم.

---

(١) وقال ﷻ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

(٢) «المفردات» (٢٨١)، و«المصباح المنير» (١٠١).

(٣) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٨٥/٣).

والخزي هو الذُّلّ والهوان، وهو من أشد العقوبات النفسية، والجسدية، الظاهرة والباطنة، والعياذ بالله تعالى.

ومن خزيه سبحانه لأهل الكفران:

«أنه مُذِلُّهم ومورثهم العار في الدُّنيا: بالأسر على أيدي المؤمنين، والقتل، (والتشريد)، وفي الآخرة بالنِّيران»[1]، جزاءً وِفاقًا من الدَّيّان، فالله تبارك وتعالى يُقابل أعداءه بالخزي المهين الحسِّي والمعنوي في الدنيا، ويوم الدِّين:

فالدنيوي الحسي: بالقهر، والقتل، والأسر، على أيدي المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، والمعنوي في هذه الدّار: أنه ﴿يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾، وكذلك: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤].

والأخروي المعنوي: «فضحهم على رُؤوس الخَلائق، ويبين كذبهم وافتراءهم على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧]»[2]. والحسي: النار وبئس المآل، قال سبحانه: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

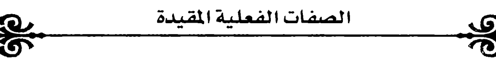
ولما كان الخزي والعياذ بالله تعالى من أشد العقوبات والنكالات في الحياة الدنيوية والأخروية، استعاذ منه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ سيد الأنام، وأولياء الرَّحمن[3].

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/٧٨).

(٢) «تفسير السعدي» (٤٣٨).

(٣) قال الخليل عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]. ومن دُعائه ﷺ: «**اللهم لا تُخزني يوم القِيامة، ولا تخزني يوم البأس، فإن من تُخْزِه يوم البأس فقد أخزيتَه**»، أخرجه أحمد في المُسند=



(٢) ٣١ـ الصفة المقيدة (الِانْتِقَام) الكمالية

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢](١).

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: النقمة والانتقام: العقوبة بإنكار، ونقمت الشيء ونقمته بالفتح والكسر؛ أي: كرهتُه(٢)، والانتقام: افتعال من نقم ينتقم: إذا بلغت به الكَراهة حَدَّ السُّخط(٣).

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف الله تعالى نفسَه بالانتقام بِمَن يستحق الانتقام من الكافرين، والمجرمين، والمعتدين، وهذا وجه الكمال فيه، فإنَّ صفة الانتقام «ليست صفة كَمال بِذاتِها، إلّا إذا كانت بِمَن يستحقُّ الانتقام، ولهذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقوله: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ أي: صاحب انتقام، ولم يقل: (ذو الانتقام)، وفي الرحمة قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ولم يقل: (ذو رحمة)، لأن الانتقام ليس من أوصافِ الله تعالى المُطلقة، وليس من أسماء الله المنتقم، فـ(المنتقم) لا يوصَف الله به إلا مُقَيَّدًا، فيقال: المنتقم من المُجرمين،

= (١٨٠٥٦)، وصححه محققو المسند إسناده صحيح (٥٩٦/٢٩)، وأخرجه ابن السّنّي في «عمل اليوم والليلة» (١٢٩)، وصحح إسناده سليم الهلالي (١٣٠/١).

وأولياء الرحمن كما في دُعائهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وفيه «إشارة إلى أنَّ من أدخله الله تعالى النّارَ فإنه لم يظلمه، ولكنه هو الذي ظلمَ نفسَه». «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٥٤٤/١).

(١) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]. وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

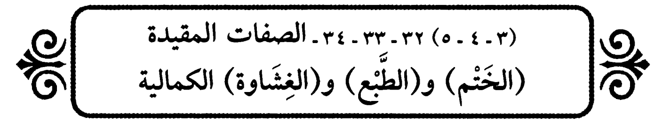
(٢) «عمدة الحُفّاظ» (٢١٦/٤).

(٣) «شأن الدعاء» (٩٠)، و«تفسير الأسماء» للزّجاج (٦٢).

أما (ذو انتقام) فهي لا تعطى معنى الانتقام المطلق لأن (انتقام) نكرة[1].

وهذا الذي رَجَّحَه شيح الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ «وإنّما جاء المنتقم في القرآن مقيداً كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، وجاء معناه مُضافاً إلى الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾»[2].

فربّنا جَلَّ جَلَالُهُ ينتقم ويُبالغ في العُقوبة لِمَن يشاء على قدر استحقاقهم بِما كفروا، وكذبوا، فهو تعالى يقصمُ ظُهور العُتاة، وينكل بالجناة، ويشدد العِقابَ على الطُّغاة، وذلك بعد الإعذار، والإنذار، وبعد التمكن، والإمهال[3].



(٣ - ٤ - ٥) ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - الصفات المقيدة (الخَتْم) و(الطَّبْع) و(الغِشَاوة) الكمالية

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

٢) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥][4].

٣) وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الختم والطبع يُقال على وجهَيْن: مصدر ختمت

---

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٥٦/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩٥/١٧).

(٣) انظر: «شأن الدعاء» (٩٠)، و«المنهاج» للحليمي» (٢٠٨/١)، و«المقصد «الأسنى» للغزالي (١٣٩).

(٤) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١]. وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤].




وطبعت، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم، والطابع.

والثاني: الأثر الحاصل عن النقش، ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه، اعتبارًا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب، نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، وتارة في تحصل الشيء عن شيء اعتبارًا بالنقش الحاصل، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر(١).

الغِشاوة: ما يغطى به الشيء، والتغشية: السّتر، والتغطية(٢).

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف رَبّنا العظيم نفسَه بأفعال جليلة على وجه العُقوبة لِمَن يستحقُّها من الكافرين، والمُعانِدين الصادِّين عن دِين الله تعالى الصراط المستقيم، فكانت هذه الأفعال: «الختم، والطبع، والغشاوة المجعولة على أسماعهم، وأبصارهم وقلوبهم، كل ذلك عِقاب من الله تعالى لهم على مبادرتهم للكُفْر، وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم، فعاقَبَهم الله تعالى بعدم التوفيق جَزاءً وِفاقًا»(٣) وهذا غاية العدل، والحق، والحِكْمة، والجزاء الوفاق، لأنه تعالى فعلَ بهم بعد غاية الإعذار، وبلوغ منتهى الإنذار في التكرار.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والقرآن مملوءٌ من أوله إلى آخره، إنما يدلُّ على أن الطبع، والختم، والغشاوة، لم يفعلها الرَّبُّ سبحانه بعبدِه من أول وهلة حين أمره بالإيمان، وبيَّنَه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه، والتأكيد في البَيان والإرشاد، وتكرر الإعراض منهم، والمُبالغة

---

(١) «المفردات» (٢٧٤).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٣/١٦٣).

(٣) «دفع إيهام الاضطراب في آيات الكِتاب» للشنقيطي (١٠)، وانظر: «تفسر ابن كثير» (١/٨٤).




في الكُفْر والعِناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها، فلا تقبل الهُدى بعد ذلك.

والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختيارًا، فلمّا تكرَّرَ منهم صار طبيعة، وسجيَّة، فتأمَّل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ - ٧]، ومعلوم أن هذا ليس حكمًا يعمُّ جميعَ الكُفّار، بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كُفّارًا قبل ذلك، ولم يختم على قُلوبهم، وأسماعهم...»[١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمة مجمعةٌ على أنَّ الله قد وصف نفسَه بالختم، والطبع على قلوب الكافرين، مُجازاةً لِكُفْرِهم»[٢].

(٦) ٣٥ ـ الصفة المقيدة (الاستِدْرَاج) الكمالية

۞ **القُرآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢][٣].

۞ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتَ الله يُعطي العبد من الدُّنيا على مَعاصيه ما يُحب، فإنَّما هو استدراج**» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][٤].

---

(١) «شفاء العليل» (١/٢٦٠).

(٢) «تفسير القرطبي» (١/١٨٧).

(٣) وقال سبحانه: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤].

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٧٣١١)، وحسنه شعيب الأرنؤوط (٢٨/٥٤٧)، وصححه الألباني في

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** استدرجه: خدعَه، وأدناه منه على التدرج، وهو مأخوذ من الدرجة، يعني الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة، والمُراد أخذه على التدريج يعني قليلًا قليلًا، فكلما فعل معصية قابلَها بنعمة[1].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** أخبر سبحانه كما في سورة الأعراف أنه «سيستدرج الذين كَذَّبوا بآياته، والاستدراج: أن يُدنيهم من بأسه قليلًا قليلًا من حيث لا يعلمون»[2].

كلما جددوا خطيئةً جدَّدَ الله تعالى لهم نعمَه، وأنساهم استغفارَه وأوبته، ولهذا قال سبحانه: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: «أنه يفتحُ لهم أبواب الرِّزق ووجوه المَعاش في الدُّنيا، حتى يَغترُّوا بما هم فيه: ويعتقدون أنَّهم على شيء، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]»[3].

وقد ذكرَ الإمام الجليلُ البغوي عن السَّلَف صورًا وأنواعًا من استدراج الله تعالى: «قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون، وقيل: نأتيهم من مأمنِهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾، قال الكلبي: يزين لهم أعمالَهم، ويهلِكهم، وقال الضحاك:

«السلسلة الصحيحة» (٤١٤)، وفي «صحيح الجامع» (٥٦١).

(١) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (١٦٦)، و«معجم «الصحاح» (٣٣٧)، و«القاموس المُحيط» (٤٢٢)، و«فيض القدير» (١/٣٥٥).

(٢) «تأويل مشكل القرآن» (١٦٦).

(٣) «تفسر ابن كثير» (٢/٣٦٩).



كلَّما جدَّدُوا معصيةً جَدَّدْنا لهم نعمةً، قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النِّعمة، وننسيهم الشُّكْرَ...»[1]. وكل هذه الأقوال حقٌّ وصحيحة، فهي داخلة في تفسير التنوع.

وفي الحديث المتقدم فيه إخبار من النبي ﷺ أن الاستدراج قد يكون لِغير الكافرين مِمَّنْ تَمادَوْا في المَعاصي، المُصِرِّين عليها، الناسين لآلاء ونعم الله عليهم، فيُجازيهم عقوبة لهم بالاستدراج، قال ﷺ: «**إذا رأيتَ أنَّ الله تعالى يُعطي العبد**»: «عَبَّرَ بالمُضارِع إشارة إلى تَجدُّد الإعطاء وتكرُّره «**من الدنيا**»؛ أي: من زهرتها وزينتها «**ما يُحِبُّه**»؛ أي: عاكف عليها مُلازم لها «**فإنما ذلك**» فاعلموا إعطاءه ما يحب من الدُّنيا «**من**» الله «**استدراج**»؛ أي: أخذ بتدريج واستنزال من درجة إلى درجة أخرى...، والاستدراج الأخذ بالتدريج لا مُباغتة، والمُ
العبد إلى العُقوبة شيئًا فشيئًا..»[2].

(٧) ٣٦- الصفة المقيدة (الإِهْلَاك) الكمالية

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٨][3].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: قال له[4] النبي ﷺ: «**إنَّ الله قد أهلكَ صاحبَك**

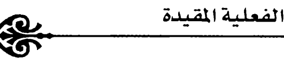
---

(١) «معالم التنزيل» (٣/٣٠٨).

(٢) «فيض القدير» (١/٣٥٤).

(٣) قاله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

(٤) أي لرسوله الذي أرسله إلى رأس المشركين يدعوه إلى الله تعالى، فقال المشرك: هذا الذي تدعوني إليه من ذَهَبٍ أو فضة، أو نُحاس، فتَعاظم مقالته في صدر رسول رسول الله ﷺ فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع إليه بمثل ذلك، وأرسل الله تبارك وتَعالى عليه صاعقةً من السماء فأهلكته».=




بعدَكَ»، ونزلت على رسولِ الله ﷺ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣][(١)].

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الهلاك يُطلَق على أربعة وجوهٍ:

الأول: افتقاد الشيء عنك، وهو موجود عند غيرك.

الثاني: هَلاكُ الشيء باستحالة وفَساد.

الثالث: الموت.

الرابع: بُطْلان الشيء من العالم وعدمه رأسًا.

وقد يطلَق الهلاك على: العَذاب، والخوف، والفقر، ونحوها[(٢)].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف رَبّنا تعالى نفسه بالصِفة الفعلية المقيدة «الإهلاك»، على وَجْهِ الجزاء والعِقاب للظالمين، والمتجبِّرين، والمُسْرِفين، والله تعالى من حِكمتِه وعَدْلِه أنه لا يُهلك أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والبينة الواضحة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: بِكُفْرهم، وظُلمهم ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾؛ أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون، ونحوها يتردَّدون ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ الدَّالَّة على صِحَّة ما جاء به، وصدق ما دَعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر، والمَعاصي مستحقون لِلعُقوبة، والحاصل أن الله تعالى لا يعذب أحدًا إلّا بِظُلْمه، وإقامة الحُجَّة عليه»[(٣)].

= ورسول رسول الله ﷺ في الطريق لا يدري.

(١) صحح إسنادَه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٦٩٢) (٣٠٤)، والوادعي في «الصحيح من المسند» (٩١) (١/٨٥).

(٢) انظر: «المفردات» (٨٤٣)، و«عمدة الحُفّاظ» (٢٥٤/٤).

(٣) «تفسير السعدي» (٦٢١).

وأنواع إهلاكه سبحانه لأعدائه وأفرادها، وصورها لا تُحاط بها الأقلام، ولا تتوهم كيفيتها الأفهام، فتأتي على طرائق من حيث لا يحتسبها الأنام، فمنها الاستئصال: بأن يبيد أهلها جميعًا قبل يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: أو معذبوها بالقتل، أو ابتلائه بما يشاء من صنوف العذاب، وإنما يكون ذلك بسبب ذُنوبهم وخَطاياهم[(١)].

ومن صور الهَلاك التي تأتي من حيث لا يحتسب، ما قاله سبحانه: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]؛ «أي: جاءهم الهَلاكُ والعذابُ من بُنيانهم الذي بنوهُ من قصور مشيَّدة، فصار تدبيرهم تدميرهم»[(٢)].

ومن الهلاك الذي قَصَّه سبحانه في الكِتاب للأمم الظالمة: الطُّوفان لِقوم نوحٍ، والريح لِعاد، والصيحة لِثَمود، والحصى وقلب القرى لقوم لوط، والخَسْف كما فعل بِقارون، والغرق لِفرعون وقومه، وغير ذلك مِمّا لا يُحصى ولا يُحاط.

(٨) ٣٧ ـ الصفة المقيدة (شَدِيدُ المِحَالِ) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرَّعْد: ١٣].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** أصل المحل في اللغة: الشِّدَّة، يقال: ما حلته

---

(١) «تفسير الطبري» (٥/٤١)، و«تفسر ابن كثير» (٣/٦٩).

(٢) انظر: «تفسير السعدي» (٤٣٧).




محالًا: إذا قاويته، حتى يتبين له أيكما أشدُّ[1][2].

ويطلق على: شدة الأخذ بالعُقوبة.

والمماحلة كذلك: المُماكرة، والمُكايدة، والمُغالبة، والمعنى: أنه شديد الكيد والمَكْر، وقيل: شديد الانتقام.

وكلُّ هذه المعاني مُتقاربة بألفاظ مُتَغايرة[3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: هذه الصفة الفعلية الاختيارية جاءت في سِياق إخبار الله تعالى في جِدال الباطل من الكافرين والمُعاندين، فأخبر سبحانه بأنه: ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾؛ «أي: شديد الحول، والقُوَّة، فلا يريد شيئًا إلّا فعلَه، ولا يتعاصى عليه شيءٌ، ولا يفوته هاربٌ»[4].

ومن ذلك أنه تعالى: شديد الأخذ بالعُقوبة والنّقمة، شديد المكر، والكيد لِمَنْ عاداه، أو عادى رُسلَه، وأولياءه، ودينه، فيأتيهم بالهلكة، والعذاب من حيث لا يحتسبون[5].

(٩) ٣٨ ـ الصفة المقيدة (المُوهِن) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» للزجّاج (١٤٣/٣).

(٢) وبهذا المعنى صح عن قتادة رحمه الله أنه قال: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾؛ أي: القوة، والحيلة. «التفسير الصحيح» (١١٢/٣).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٧٥/٤)، و«شرح الواسطية» للهراس (٦٤/٢).

(٤) «تفسير السعدي» (٤١٥).

(٥) انظر: «شرح الواسطية» لعبد العزيز السلمان (٦٥/٢)، و«اللآلئ البهية» لآل الشيخ (٤٥١/١).




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الوهن**: ضعف من حيث الخَلْق، أو الخُلُق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أي: لا تضعفوا، ولا تجبنوا، ويقال: وهنه وأوهنه ووهنه: أضعفه، كما في قوله سبحانه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤][(١)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: جاءت هذه الصفة العليَّة في بشارة ربِّ العالمين لنبيِّه الأمين، وأصحابه الكرام الميامين، بعد نصره سبحانه لهم في بدر على المشركين، من قتلهم ورميهم، حتى انهزموا مدبرين، وأسر منهم صاغرين، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: «أن الله تبارك وتعالى مُضعف كلِّ مكرٍ وكيدٍ يكيدون به الإسلامَ وأهلَه، وجاعل مكرَهم مُحيقًا بهم فيما يستقبل مصغر أمرهم، حتى يذلُّوا، وينقادوا للحقِّ، أو يهلكوا»[(٢)].

وجاءت قراءة (موهن) بالتشديد: (مُوَهِّن)[(٣)]؛ أي: أن الله تعالى يَنقض ما يُبرمه المشركون لِرسول الله ﷺ وأصحابه، عقدًا بعد عقد، وشيئًا بعد شيء[(٤)].

واعلم يا رعاك الله أنَّ هذه البشارة لنبيِّه وصحبه، والنذارة لعدوِّه وعدوِّهم، ليس موقوفًا في عصر النبوة فقط، بل هو حاصل في كلِّ زمانٍ ومكان، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) والمعنى: أنه كلما عظم في بطنها زادها ضعفًا. انظر: «عمدة الحفاظ» (٤/٣٤٦)، و«القاموس المُحيط» (١٤٢٤)، و«تفسير الطبري» (٤/٢٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٤/٢١). «وابن كثير» (٢/٤٠٦). «تفسير السعدي» (٣١٧).

(٣) إذ إن التشديد يُفيد المُبالغة في الفعل.

(٤) المصدر السابق (٤/٢٢).




(١٠) ٣٩ ـ الصفة المقيدة (البَطْش) الكمالية

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦][١].

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: البطش: تَناوُل الشيء بِصَولة وقهر، والأخذ الشديد في كُلِّ شيء، والبأس، ويقال: هو سرعة الانتقام، وعدم التُّؤدةِ في العفو[٢].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: البطش من صفات الله تعالى الكَمالية، لأنها في مُقابلة مَنْ يستحقُّون ذلك، ولِهذا مجَّدَ نفسَه بالبطش، بل «ولم يكف أن ذكره بلفظ البطش، حتى وصفه بشدة البطش المتضمِّن لِكَمال القوَّة، والعِزَّة، والقدرة، وعدم النَّظير»[٣].

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إن عقوبته لأهل الجَرائم والذنوب العظام شديدة، ولِهذا وصف بطشه (كما تقدم) بـ(الشديد)؛ أي: شدة يزيد عنفها على ما في البطش من العنف المشروط في تسميته، فهو عنفٌ مُضاعف؛ أي: قد تضاعف، وتَفاقم بطشُه بالجَبابِرة، والظلمة، وأخذه سبحانه إيّاهم بالعَذاب والانتقام[٤].

وهذا منه تعالى عدلٌ، وقِسط، وحق، بل وفضل منه ورحمة لِلمؤمنين

---

(١) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]. وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦].

(٢) «عمدة الحفاظ» (١/٢٠٠)، و«معجم مقاييس اللغة» (١٧٩/٣).

(٣) انظر: «عمدة الحفاظ» (١/٢٠٠)، و«التبيان في أقسام القرآن» (١٢٤).

(٤) «تفسير السعدي» (٩١٩)، و«نظم الدرر» للبقاعي (٣٨٠/٨)، و«روح المعاني» للآلوسي (١٦٤/١٦).




المستضعفين، فيأخذ الظالمَ بما يستحقُّه لِيَدفع به المظلوم، وهذا المَقام أكمل الكَمال، لا يدانيه أحد في ذلك من الأنام.

ولهذا ذَمَّ ربُّنا ﷻ على لِسان نبيه هود عليه السلام قومه الجَبّارين بقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]؛ أي: «تُسرعون في جميع أفعالكم إسراع الجَبابرة»[١].

وبَطْشُ الله تعالى وأخذه الشديد العظيم لِمَن يستحق ذلك، أما مَنْ لا يستحق ذلك فإن رحمةَ الله تعالى أوسع، وما أكثر ما يعفو الله سبحانه عن الذُّنوب، وما أكثر ما يستر من العُيوب، وما أكثر ما يدفع من النِّقَم، وما أكثر ما يُجرِي من النِّعَم[٢].

وما أجمل ما ذكر ابن القيِّم رحمه الله من كلام قَيِّم حين قال: «ثم ذكر سبحانه جَزاء أوليائه المؤمنين[٣]، ثم ذكر شِدَّة بطشِه، وأنه لا يُعجزه شيء، فإنه هو المبدِئ والمُعيد، ومن كان كذلك فلا أشدّ من بَطْشِه، وهو مع ذلك الغَفور الودود، لِمَن تاب إليه، ويوده، ويُحبه، فهو سبحانه الموصوف بِشدَّة البطش، ومع ذلك هو: الغفور الوَدود، المتودِّد إلى عباده بِنعمه، الذي يود مَنْ تاب إليه، وأقبل عليه»[٤].

(١١) ٤٠ ـ الصفة المقيدة (الإِضْلَال) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال رب العالمين: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

---

(١) «تفسير جزء عم» لابن عثيمين (١٣٧).
(٢) «تفسير جزء عم» لابن عثيمين (١٣٧).
(٣) في سورة البُروج آية (١١).
(٤) «البيان في أقسام القرآن» (١٢٥).




٢) وقال جلَّ جلاله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ**: خطبة الحاجة، وفيها: «**من يهده الله فلا مضِلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له**»[(١)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الضلال**: العدول عن الطريق المستقيم، ويضادُّه: الهداية، ويقال: الضلال لكلِّ عدول عن المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا[(٢)].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الضلال من أفعال الله تعالى الاختيارية على وجه المقابلة بالجزاء الحسن، لمن استحقَّه من البرية، لأن أفعاله سبحانه كلها خيرات محضة لا شرَّ فيها البتة، وقد تفرَّد عزَّ شأنه بذلك، كما تفرَّد هو وحده بالهداية، فإن من كمال عدله سبحانه، وتمام حكمته الباهرة أن لا يضِلَّ أحدًا حتى يقيم عليه الحُجَّة الواضحة، ويدُلَّه على طريق الحق والسُبُل البيِّنة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقد أخبر تعالى أنه يضلُّ من يشاء من عباده عن علم علمه منه سبحانه قد سبق خلقه.

كما قال جلَّ جلاله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أضلَّه الله في سابق علمه"[(٣)].

فهو سبحانه أضلَّ من أضلَّ لعلمه أنه يستحقُّ ذلك قبل أن يخلقه،

---

(١) مسلم (٨٦٧).

(٢) «المفردات» (٥٠٩).

(٣) «التفسير الصحيح» (٤/٣٢٥).




وأضلَّه الله كذلك بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه[1]، وقد أخبر الله جلَّ جلاله أنه يفعل ذلك (أي: إضلاله) عقوبة لأرباب هذه الجرائم العظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]، وهذا إضلالٌ ثانٍ بعد الإضلال الأول، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥][2][3].

وبذلك علم أن الضلال من الله سبحانه جزائي بعد أن بنى على إضلال اختياري، وقع من الضالِّ العاصي.

وينبغي أن يُعلم أنَّ "أفضل ما يقدره الله لعبده وأجلُّ ما يقسمه له: الهدى (وأن) أعظم ما يبتليه به، ويقدره عليه: الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال"[4].

(١٢) ٤١ ـ الصفة المقيدة (التَّرْك) الكمالية

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال ﷻ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧][5].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٧/٤٤٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» (٤/٤٣٣)، و«ابن كثير» (٤/١٩٣).

(٢) وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١٠].

(٣) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (١/٣٣٥).

(٤) المرجع السابق (٢/٥١٧).

(٥) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].




۞ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغْنَى الشُّرَكاء عَن الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عملًا أشركَ فيه معي غيري تَرَكْتُهُ وشِرْكَه»[1].

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الترك: التخلية والمفارقة، ومنه: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ [يوسف: ٣٧]؛ أي: رغبت عنها وأعرضت.

والتركُ ضربان: رفضه قصدًا واختِيارًا، أو قهرًا واضطرارًا[2][3].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: يوصف رَبّنا ﷻ بصفة (الترك) المقيدة، "والنصوص في ثُبوت الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بِمَشيئته كثيرة معلومة، وهي دالَّة على كَمال قدرته، وسلطانه (وعزته، وحكمته)، وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يُماثل قِيامها بالمَخْلوقين، وإنْ شاركوه في أصل المعنى، كما هو معلوم عند أهل السنة"[4].

وفي الآية في سورة البقرة (١٧): فيه تخلي الله تعالى عن المُنافقين، (وتركهم)، ويتفرع على ذلك: أنَّ مَنْ تخلَّى الله عنه فهو هالك ليس عنده نور، ولا هُدًى، ولا صلاح، لقوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[5].

ودَلَّت هذه الصفة الكريمة على «إثبات حكمة الله عَزَّوَجَلَّ في مُجازاة

---

(١) مسلم (٢٩٨٥).

(٢) فمن الأول: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان: ٢٤]، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩]. ومن الثاني: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥].

(٣) «المفردات» (١٦٦)، و«عمدة الحفاظ» (١/٢٦١ - ٢٦٢)، و«المصباح المنير» (٤٨).

(٤) «مجموع فتاوى ورسائل» لابن عثيمين (١/١٧١ - ١٧٤).

(٥) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٦٥).



العاملين بعملهم»[1]، فإنه سبحانه ما تركهم إلّا بسبب جِناياتهم على أنفسهم من النِّفاق، كما حكى الله عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥].

ففي هذا وَعيد شديد على من كانت هذه صفته، فإنَّ الله تعالى يتركُه ويتخلَّى عنه في الوُقوع بِشَرّ المهلكات التي تذهب بدنياه وأخراه!.

(١٣) ٤٢ - الصفة المقيدة (اللَّعْن) الكمالية

❁ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال ﷺ: «لعنَ الله الواصلةَ، والمُسْتَوْصِلَةَ»[2].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** **اللعن:** الطَّرْد والإبعاد على سبيل السّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قَبول رحمته، وتوفيقه، يقال: لعنه الله: أبعدَه[3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** اللَّعْن من صفات أفعال الله تعالى الاختيارية (المقيدة)، القائمة بِذات الله سبحانه العلية، بِمَشيئته، وقدرته، ومعنى

---

(١) «تفسير سورة فاطر» لابن عثيمين (١٧٩/٨).

(٢) البخاري (٥٩٣٤)، ومسلم (٢١٢٢). وقال ﷺ: **«لعنَ الله السارقَ يسرقُ البيضةَ»** البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧). وقال ﷺ: **«المدينةُ حَرامٌ ما بَيْنَ عَيْرٍ إلى ثَوْر، فمَنْ أحدثَ فيها حَدَثًا، أو آوى فيها مُحْدِثًا، فعليه لعنةُ الله والمَلائكة والنّاسِ أجمعين»** البخاري (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

(٣) «المفردات» (٧٤١)، و«كتاب العين» (٩٠/٤).




أنها قائمة بِذات الله بِمَشيئته وقدرته: أنه تعالى لعنَ المُعَيَّن بعد أن لم يكن لاعنًا له(١).

واللعن هو: الطَّرْد، والإبعاد عن رحمة الله تعالى، واللعين والملعون مَنْ حَقَّت عليه اللعنة بالقول، أو دعي عليه بها(٢).

وصفة اللعنة كَباقي صفات الله تعالى الفعلية تتعلق بالأسباب، وهذه الأسباب منها ما يتعلق بأشخاص، أو أوصاف، أو أعمال، أو أقوال، وهي تتفاوت، فلعنة الله تعالى على الكافر أشد من لعنته للمؤمن السّارق، والله تعالى أعلم.

(١٤) ٤٣ ـ الصفة المقيدة (المُدَمْدِمُ) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٤ ـ ١٥].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الدمدمة: الهلاك والإزعاج، وإطباق العذاب، يقال: دممت على الشيء: أطبقت عليه، فإذا كررت الإطباق قلت: دمدمت عليه، وقيل: حكاية صوت الهدَّة، ومنه دمدم فلان في كلامه، ودمدم الشيء: ألزقه بالأرض وطحطحه، ومدم الله عليه: أهلكهم(٣).

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** جاءت هذه الصفة الاختيارية في إخبار الله تعالى إهلاك ثمود بعد ذبحهم الناقة عقرًا، فأهلكهم الله جلَّ جلاله شرَّ هلَكة، بقوله الحق: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أي: أطبق عليهم الأرض

---

(١) انظر: «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِمَعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٣٦٧/١).

(٢) «شرح الواسطية» للهراس (٤٨٠/١).

(٣) «المفردات» (٣١٧)، و«عمدة الحفاظ» (٢٣/٢)، و«مختار الصحاح» للرازي (١٢٤).




جميعًا بالهلاك، فجعلها مستوية عليهم لا تظهر فيها أجسادهم، ولا بلادهم، فكان العذاب بالصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فلم يفلت منهم أحد.

وقوله: (فدمدم): مكرر للمبالغة مثل: كبكب.

وقوله: (بذنبهم): أي: بسبب ذنوبهم، لأن الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون[1]، فهو تعالى لا يعاقب ولا يهلك إلا بعد إرسال الآيات والنذارات، وهذا من كمال عدله، وحكمته، وقوته، ونفوذ مشيئته سبحانه.

(١٥) ٤٤ ـ الصفة المقيدة (الأَخْذُ) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

٢) وقال عزَّ شأنه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠][2].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»[3].

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (٩٢٦)، و«التحرير والتنوير» (٣٠/٣٧٤)، و«تفسير سورة (الشمس)» لابن عثيمين (٢٢٨).

(٢) وقال جلَّ جلاله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠].

(٣) البخاري (٤٦٨٦).




❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الأخذ: حوز الشيء وتحصيله، وذلك تارة بالتناول[1]، وتارة بالقهر، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥]. يقال: أخذه الله تعالى: أهلكه، وأخذه بذنبه: عاقبه عليه[2].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الأخذ بالقهر والانتقام من أفعال الله تعالى القويمة، لأنها في مقابلة أعدائه وأعداء أوليائه، بعد غاية الإعذار والإنذار.

فأخذ كلًّا منهم على قدر ذنبه، وبعقوبة مناسبة لجرمه، وهذا غاية القسط، والحق، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا[3] وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ[4] وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ[5] وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا[6]﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وقال عزَّ وجل: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ٩ - ١٠]. وقوله سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: "أي: أخذهم أخذة زائدة شديدة على الحدِّ والمقدار، الذي يحصل به هلاكهم"[7] لشدَّة طغيانهم، وعتوِّهم في أفعالهم الشنيعة.

ففرعون ادَّعى الألوهية، وقوم لوط الذين وصفهم سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾، أي: بالفعلة الطاغية، وهي الكفر، والتكذيب

---

(١) تقدم ذكر بعض المعاني لهذه الصفة عند الصفات الفعلية المطلقة رقم (٤).

(٢) «المفردات» (٦٧)، و«مقاييس اللغة» (٢٩) و«المصباح المنير» (١٢).

(٣) كقوم عاد بالريح العقيم.

(٤) كقوم صالح ثمود.

(٥) كقارون.

(٦) كفرعون وهامان وجنودهما.

(٧) «تفسير الطبري» (٧/٣٦٠)، و«تفسير السعدي» (٨٨٢).




(مع) إتيان الرجال بالفاحشة"(١)

ولما كان أخذه سبحانه وتعالى للأمم الظالمة واقع موقعه، جاء الاستفهام للتقرير كما قال جلَّ جلاله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٦]، أي: فكان نكيريَ أي: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك شديدًا، وكان واقعًا موقعه، فهو مطابق للحكمة تمامًا(٢)، من كل وجه ومن كل اعتبار، فلا يعترضه أحد بالنقض أو الرد، كما قال سبحانه: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢] أي: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديدة لا يُغلب، مقتدرٍ على ما يشاء، غير عاجز، ولا ضعيف"(٣)، فأبادهم الله تعالى ولم يبق منهم مخبرًا، ولا عينًا، ولا أثرًا(٤).

(١٦) ٤٥ ـ الصفة المقيدة (المُخَالِف) الكمالية

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**لَتُسَوُّنَّ صفوفكم، أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم**»(٥).

وفي رواية: «**أو ليخالفنَّ الله بين قلوبكم**»(٦).

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الخَلَف:** الخلف بالتحريك والسكون مجيء الشيء بعد الشيء يقوم مقامه. والخَلَف: ما استخلفته من شيء، ويقال: أخلف الله عليك، أي: أبدلك ما فقدته، والخلاف: المخالفة، قال

(١) ينظر المصادر السابقة.

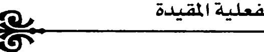
(٢) ينظر سورة (فاطر) لابن عثيمين (١٠١/٨).

(٣) «تفسير الطبري» (١٧٢/٧).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣٤٦/٤).

(٥) البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦)، وفي لفظ له: «**يا عباد الله لتسون صفوفكم...**».

(٦) «صحيح أبي داود» (٦٦٢): «**أقيموا صفوفكم (ثلاثًا)، والله لَتُقيمُنَّ صفوفكم...**».



تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١] (١).

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: جاءت هذه الصفة في "الوعيد على من لم يسوِّ الصف، واختلف العلماء رحمهم الله في معنى مخالفة الوجه، فقال بعضهم: أن الله تعالى يخالف بين وجوههم مخالفة حسيَّة، بحيث يلوي الرقبة، حتى يكون وجه هذا مخالف لوجه هذا، والله على كلِّ شيء قدير، فهو عزَّ وجل قلب بعض بني آدم قردة، قال لهم سبحانه: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾. فكانوا قردة، فهو قادر على أن يلوي رقبة إنسان حتى يكون وجهه من عند ظهره، وهذه عقوبة حسيَّة.

وقال بعض العلماء: بل المراد بالمخالفة المعنوية، يعني: مخالفة القلوب، لأن القلب له اتجاه، فإذا اتفقت القلوب على وجهة واحدة حصل في هذا الخير الكثير، وإذا اختلفت تفرقت الأمة، وهذا التفسير أصح (٢)، لأنه قد ورد في بعض الألفاظ (٣): «**أو ليخالفن الله بين قلوبكم**»" (٤).

(١٧) ٤٦ ـ الصفة المقيدة (الطَّمْسُ) الكمالية

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١) قال تبارك وتعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

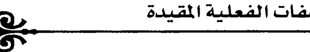
---

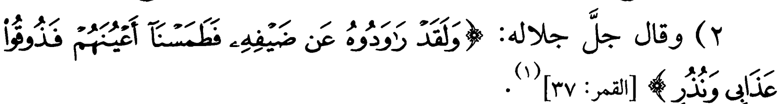
(١) «مقاييس اللغة» (٢٦٧)، و«النهاية» (٢٧٩)، و«مختار الصحاح» (١١٠).

(٢) وهذا ما رجَّحه النووي (٢/٣٩٤)، قال رحمه الله: (قيل معناه: يمسخها ويحولها عن صورها، لقوله ﷺ:= = «يجعل الله تعالى صورته صورة حمار»، وقيل: يغير صفاتها، والأظهر ـ والله أعلم ـ أن معناه: يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب...). وانظر الفتح (٢/٢٦٨).

(٣) كما في رواية أبي داود المتقدمة.

(٤) «شرح صحيح البخاري» (٢/٣٥٤)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/١٩٩)، و«شرح رياض الصالحين» (١/٤٦٢) لابن عثيمين.





٢) وقال جلَّ جلاله: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧][(١)].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنّه قال: (إنَّ الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله عز وجلَّ نورهما، ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب)**[(٢)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الطمس**: إزالة الأثر بالمحو، ومنه طُمس الأثر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨]، وقوله ﷺ في صفة الدجَّال: «**إنه مطموس العين**»، أي: ممسوحها من غير بخص[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الطمس من أفعال ربنا الرشيدة، لاشتمالها على حكم حميدة، لأنها في مقابلة شر الخليقة، فيطمس منهم من شاء طمس خلقه، وبصيرة، "كما في دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيأتها، ويبدلها إلى غير الحال التي هي بها"[(٤)].

ثبت عن قتادة أنه قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: "بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة"[(٥)].

كما توعَّد سبحانه بني إسرائيل بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾

---

(١) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

(٢) رواه أحمد في المسند (٧٠٠٠) وصححه شعيب الأرنؤوط (٥٧٧/١١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٨٧٨) كلاهما موقوفًا، وحكمه حكم الرفع.

(٣) «المفردات» (٥٢٤)، و«النهاية» (٥٦٨).

(٤) «تفسير الطبري» (٢٣٧/٤).

(٥) «التفسير الصحيح» (٣١/٣).




[النساء: ٤٧]، أي: من قبل أن نطمس أبصارها، ونمحو آثارها فنسويها كالأقفاء، وقوله: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾: فنجعل أبصارها في أدبارها، يعني بذلك: فنجعل الوجوه في أدبار الوجوه، فيكون المعنى: فنحول الوجوه أقفاء، والأقفاء وجوهاً، فيمشون القهقرى[١].

وأخبر سبحانه أنه طمس أعين قوم لوط حينما أرادوا الفاحشة في أضيافه، فقال: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، أي: فطمسنا على أعينهم حتى صيَّرناها كسائر الوجه، لا يُرى لها شق[٢]. وهذا قول أكثر المفسِّرين[٣].

(١٨) ٤٧ ـ الصفة المقيدة (الغِوَايَةُ) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]

٢) وقال عزَّ شأنه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[هود: ٣٤].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الغي: الضلال[٤] والانهماك في الباطل، وهو خلاف الرشد، ويطلق على الخيبة، وعلى الهلاك أيضًا، لأن الضلال يفضي إلى الهلاك، والتغاوي: التعاون على الشر، كما في مقتل عثمان رضي الله عنه: "فتغاووا عليه حتى قتلوه"، وقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

---

(١) «تفسير الطبري» (٢/٤٧).

(٢) المرجع السابق (٧/١٧١).

(٣) «تفسير البغوي» (٦/٤٣٣).

(٤) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (فبما أغويتني): "يقول أضللتني" التفسير الصحيح (٢/٣٠٥).

﴿أَجْمَعِينَ﴾[الحجر: ٣٩]، أي: لأحملنهم عليه ولأجعلنهم غاويين[١].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: الغواية من ربنا العظيم لم تكن منه سفهًا، لأنه حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، بل يفعل الصواب والسداد، لأنه لا يكون ابتداءً، بل من طرائق حسن الجزاء "والإغواء: جعل الشخص ذا غواية، وهي: الضلال عن الحق والرشد"[٢].

وقد أخبر سبحانه الذي خبره صدق وحقّ أنه أغوى إبليس اللعين بعد استكباره عن أمره سبحانه في السجود لأبينا آدم عليه السلام، فقال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، أي: كما أوقعت في قلبي من الغي والضلال المقتضي في يوم المعاد إلى شرِّ الهلاك، بسبب الاستكبار والعناد.

وهذا قَسَم من إبليس بإغواء الله تعالى له أن يغوي العباد، ويحتمل أنها سببية، أي: بسبب ما أغويتني[٣].

وجاءت هذه الصفة العظيمة في قصة نوح عليه السلام مع قومه حين استعجلوه بالعذاب من الله سبحانه، فأخبرهم أنه ليس الذي يستعجلونه مردّه إليه، وإنما إلى الله تعالى لا إلى غيره، فقال: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: إن كان يريد دماركم وهلاككم بعذابه[٤] لردَّكم الحق، فإن أرادة الله هي الغالبة[٥].

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/١٨٣)، و«مقاييس اللغة» (٧٠١)، و«النهاية» (٦٨٤)، و«القاموس المحيط» (٧٨٧)، و«تفسير القرطبي (٥/٢٩).

(٢) «التحرير والتنوير» (٥/٦٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/٤١٢) (٤/٤٧٩) وابن كثير (٢/٢٨٢) (٢/٧٤٤)، والقرطبي (٤/١٥٢)، و«أضواء البيان» (٣/١٠٩).

(٤) لأن الإضلال يفضي إلى الهلاك «تفسير القرطبي» (٥/٢٩).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٤/٢٧٤)، وابن كثير (٢/٦٠٠)، «تفسير القرطبي» (٤/١٥٢) (٥/٢٩).




أضاف إغواءهم إلى الله سبحانه لأنه هو في الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى، فهو وحده الهادي والمضل[1]، على مقتضى حكمته وعدله التي لا تتغير ولا تزول.

(١٩) ٤٨ ـ الصفة المقيدة (الإِذْلَالُ) الكمالية

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ**: قال تبارك وتعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ**: قال رسول الله ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنَّهار، ولا يتركُ الله بيتَ مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلّا أدخلَه الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذَليل، عِزًّا يُعز الله به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفرَ**»[2].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: **الذل**: بالضم ضد العز، وهو المهانة، والضعف، والخضوع، والاستكانة وهو ما كان عن قهر، والذل بالكسر: ضد الصعوبة، وهو الطواعية والانقياد[3].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: **الله تبارك وتعالى هو المذل من شاء في الأولى والأخرى**:

"الذي بيده الإذلال الحسي، والمعنوي"[4]، الذي يلحق الذلَّ بمن يشاء من عباده، وينفي عنه أنواع العز جميعها"[5] بما تقتضيه حكمته

---

(١) «تفسير السعدي» (٣٨١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٦٨٩٤) (٢٣٧٠٤)، وصحح إسنادهما محققو المسند (٢١١/١٣) (١٣٥/١٧).

(٣) انظر: «عمدة الحفاظ» (٤٦/٢)، و«الصحاح» (٣٧٥)، و«المصباح المنير» (١٢٥).

(٤) «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (١٦١/١).

(٥) «النهاية» (٣٢٩).

الرشيدة الحميدة، "فهو تعالى المذلُّ: الذي أذل أعداءه عدلاً بعصيانهم، ومخالفتهم"[1] ذلاً في الدنيا والآخرة[2].

وأنواع إذلاله سبحانه وألوانها كثيرة الحقائق، لا يحصيها إلا ربُّ الخلائق. فمنها:

١) أنه تعالى يذلهم بالأمراض، والأوباء، والجوع، والفقر، والعجز، والضعف، والكسر.

٢) أنه يذمهم بالذكر المهين، والوصف الذميم على مرِّ السنين[3].

٣) أنه "أذلهم بحرمان معرفته، وركوب مخالفته، ثم نقلهم إلى دار عقوبته، وأهانهم بطردهم، ولعنته"[4].

٤) أنه يشغلهم بأنفسهم، فلا يدركون منافعهم ومصالحهم، كما "قال بعضهم: ما أعزَّ الله عبدًا بمثل ما يدله على ذلِّ نفسه، وما أذلَّ الله عبدًا بمثل ما يشغله بعزِّ نفسه"[5].

٥) أنه ذلَّهم على أيدي أوليائه، "بأن ضربهم بالرِّقِّ، والجزية، والصغار (والهوان، وسوء المآل) في الآخرة بالعقوبة، والخلود في النار"[6].

* * *

---

(١) «موسوعة له الأسماء الحسنى» (١٤٨/١).

(٢) «الحق الواضح» (٨٩).

(٣) كما قال تعالى عن أبي لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، وغيره من الكافرين.

(٤) «شرح الأسماء» للرازي (٢٤٦).

(٥) المصدر السابق (٢٤٧).

(٦) «شأن الدعاء» (٥٨).




(٢٠) ٤٩ ـ الصفة المقيدة (التَّقْلِيبُ) الكمالية

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال ربُّ العالمين: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

۞ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**» فقلت: يا رسول الله آمنَّا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «**نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء**»(١).

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: القلب: قلب الشيء: تصريفه، وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان؛ أي: صرفه عن طريقتِه. والانقلاب: الانصراف. وسمي قلب الإنسان لِكَثرة تقلبه(٢)، وتقليب الشيء: تغيره من حال إلى حال، وتقليب الله القلوب عبارة عن صرفها من رأي إلى آخر، وكذا تقليبه تعالى البصائر(٣).

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: ثبتت هذه الصفة الكمالية في الوحيين الكريمين، كما قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ أي: نحيرهم وندعهم في عمى، عقوبة لهم، لا يسأل عما يفعل سبحانه"(٤) لكمال

---

(١) وفي رواية أن أمَّ سلمة رضي الله عنها أنها أخبرت أنه كان أكثر دعاء النبي ﷺ، وقد بيَّن لها سبب ذلك: «يا أمَّ سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ» «صحيح الترمذي» (٢١٤٠) (٣٥٢٢) و«صحيح ابن ماجه» (٣٨٣٤).

(٢) «المفردات» (٦٨١).

(٣) كما جاء عن رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمِّيَ القلب من تقلُّبِه، إنَّما مَثَلُ القلبِ كمثل رِيشَةٍ معلَّقة في أصلِ شَجَرةٍ، يُقَلِّبُها الريحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ...». أخرجه أحمد في المسند (١٩٦٦١)، وانظر: صحيح ابن ماجة (٨٨)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢٢٧، ٢٢٨).

(٤) عمدة الحفاظ (٣/٣٣١).




عظمته، وحكمته، وعدله.

«فقد أخبر سبحانه كما في سورة الأنعام، أنه تعالى سيجازي ويُعاقب لمن لم يؤمن من أول مرَّة بعد إتيان الداعي، وقِيام الحجة، بتقليب القلوب عن قبول الحَقّ، والأبصار عن رؤية الحق»[1]، جزاءً عدلًا، وحَقًّا من العدل الحَكيم.

وتقدم في السنة أنَّ أكثر دعواته ﷺ سؤال ربه تثبيت قلبه على دينه سبحانه، لأنه تعالى هو المنفرد في ذلك ولم يكله إلى أحدٍ من خلقه.

فيقلِّب القلوب عن الحق بعدله، ويثبتها بفضله، ومنته، وقد اقتضت حكمته العليَّة أنه لا يصرفها عن الهدى، إلا بعد إقامة الأدلة الواضحة للورى، فأفعاله سبحانه كلها المقيدة والمطلقة صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، فلا يتوجه إليها بقدح، أو ردّ، أو نقض.

** ** **

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (٢٦٩)، وتفسير النسفي (٣٣٨).




القسم الثالث

الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية

هذا القسم من الصفات يجتمع فيه صِفات ذاتية من جهة، وصفات فعلية من جهة أخرى، مثل: صفة «العِزَّة» المشتقة من اسمه (العزيز)[1]، فهو من صفات الذات، لِتضمُّنِه معاني: أنه الغالب الذي لا يغلب، والمنقطع النظير، والمنيع الذي لا يصل إليه، فهذه المعاني العلا متصف بها الله تعالى على الدوام.

وهو من صفات الفعل أيضًا: فهو جل وعز يُعزُّ من يشاء، قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وهذا يتعلق بمشيئته، فمن شاء أن يعزّه أعزَّه، وإن شاء خلاف ذلك كان كما شاء.

ومثل: صفة «العلم» المشتقة من اسمه (العليم)، فهو تعالى العالِم الذي أحاط علمُه بِجميع الأشياء باطنها وظاهرها ودَقيقها وجَليلها في الأزل، وفي الأبد، فهو من صفات الذات إذ إن علمه لا ينفكّ عن ذاته بأي حال، ولا لحظة.

وهو أيضًا من صفات الفعل: فهو جل وعلا يُعلّم من شاء من خلقه، ومن ذلك قوله تعالى كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٢]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

---

(١) كنا قد ذكرنا في التمهيد أن منهجنا في الكتاب اختيار الصفات الغير مشتقة من الأسماء، وهذا مثال على ذلك.




وسأذكر بعض بيان ذلك عند شرح الصفات.

(١) صفة الكمال (الكَلَام) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]

٢) وقال عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** ١) قال رسول الله ﷺ: **«ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه»**[١].

٢) وقال ﷺ: **«إذا تكلَّم الله تعالى بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجرِّ السلسلة على الصَّفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل! ماذا قال ربُّك، فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»**[٢].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الكلمة: القول، وهو في لغة العرب: ما دلَّ على نطق مفهم، ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة: كلمة. والقصيدة...، فالكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير[٣]. ويشمل اللفظ والمعنى، ولا يكون إلا حرفًا وصوتًا[٤].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** صفة الكلام من أعظم صفات ربنا العلا،

---

(١) البخاري (٦٥٣٩) (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٧٣٨)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٢٩٣) (٣/٢٨٢).

(٣) «مقاييس اللغة» (٧٩٠)، و«القاموس المحيط» (١١٤٤)، و«مختار الصحاح» (٣١٢).

(٤) «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع» خالد الجعيد (٤٥٣).



وهي من مقتضيات ربوبيته، وألوهيَّته الحقة سبحانه: "فكلماته هي التي أوجد بها خلقه، وأمره، وذلك حقيقة ملكه، وربوبيته، وألوهيَّته، وهو لا يكون إلا ربًّا ملكًا إلهاً، لا إله إلا هو"[1]، فبها أنزلت الكتب، وشرعت الشرائع، على جميع الخلائق "وكلامه سبحانه بلا واسطة أعظم ما يعطاه العبد يوم القيامة من النعيم، بعد النظر إلى وجهه الكريم، فسماع كلامه تعالى هو أشرف ما في الجنة، وحقيقة لذتها، ورأس نعيمها"[2].

وصفة الكلام الجليلة من الصفات الذاتية، ومن الصفات الفعلية، من حيث صفة ذات: باعتبار الأصل، أي: أن الله تعالى موصوف بها في الأزل، وفي الأبد، فلم تحدث له تعالى صفة لم يكن يتصف بها، فهي ملازمة لذاته العلية في كل حالٍ، وآنٍ.

وصفة فعلية: باعتبار آحاده، أي أفراده، فهو سبحانه يتكلم بما شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، على حسب ما تقتضيه حكمته[3]، ومعنى (بما شاء): يعني باعتبار الكلام، إن شاء تكلَّم بأمر كوني، مثل قوله تعالى للسموات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، أو تكلم بأمر شرعي، مثل كلامه لرسوله ﷺ في فرض (٥٠) صلاة، ومعنى (متى شاء): أي باعتبار الزمن، أي يتكلم سبحانه في أيِّ وقتٍ شاء، سواء كان في الأزل، وفي المستقبل، أو في الحاضر، في الليل وفي النهار.

(كما يشاء): أي على الكيفية التي يشاؤها سبحانه: إما بصوت

---

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لابن القيم (٣٦٦).

(٢) «جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات» د. وليد العلي (١٦٩٧/٣).

(٣) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (٤٧٨/٢، ٥٠٢)، و«شرح الواسطية» لابن باز (٣٢٧/٢).




عالٍ، أو بصوت منخفض[1].

وقد توافرت الأدلة في الكتاب والسنة على تنوُّع هذه الصفة العظيمة:

الأول: الكلام، تقدَّم ذكر الأدلة. **الثاني:** القول:، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]، **الثالث:** النداء[2]، قال تعالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، **والرابع:** الصوت، قال ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج ذريتك بعثًا إلى النار**»[3]، **والخامس:** الحرف، كما في حديث جبريل عليه السلام: «**أبشر بنورين أوتيتهن لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**»[4]، **السادس:** السلام، قال تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

(٢) صفة الكمال (رَفِيعُ الدَّرَجَات) الجَلِيلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** رفيع: الرفعة تُقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا عَلَّيتها عن مَقَرِّها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وتارة في الذِّكْر: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وتارة في

---

(١) «شرح عقيدة أهل السنة» (١٣٦)، و«شرح الواسطية» (٢/٢٧٥) لابن عثيمين.

(٢) الفرق بين النداء والمناجات: أن المناداة: تكون للبعيد، والمناجاة: تكون للقريب.

(٣) البخاري (٧٤٨٣)، وقال ﷺ: «... ثم يناديهم (أي: الله) بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قرُب» صحيح الأدب المفرد (٧٤٦)، قال البخاري رحمه الله: «فليس هذا لغير الله جل ذكره، وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله يُسمع من بَعُد، كما يُسمع من قرُب» خلق أفعال العباد (٤٧٣).

(٤) مسلم (٨٠٦).



المنزلة إذا شرفتها: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦][(١)].

الدرجات: الدرجة تطلق على الرفعة، والمنزلة[(٢)]، وتكون حسيةً ومعنوية.

وجمع الدرجات: إيذان بكثرة الصفات، ومجدها التي لا تحصر[(٣)].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: من الاستقراء في أدِلَّة الشرع يتبين أن الله تعالى له في معنى هذه الصفة العَظيمة ثلاث معان، ويندرج تحتها أفراد كثيرة من معاني الكَمال، والقاعدة في تفسير كتاب الله تعالى أنه «إذا احتملَ اللفظ عِدَّةَ معانٍ، ولم يمتنع إرادة الجَميع، حمل على الجَميع»[(٤)].

وقد تقدَّم في المعاني اللغوية أنَّ الرِّفعة والدرجة يكونان حِسِّيان ومعنويان، لازمان، ومتعدِّيان.

وربنا ﷻ هو الرفيع في الدرجات على الإطلاق من جميع الوجوه والاعتبارات، فهو تبارك وتعالى:

(١) رفيع الصفات، والقدر، والشأن، فلا أرفع منه قَدْرًا، ولا أكملَ منه جلالاً.

(٢) ومن رفعة درجاته سبحانه: أنه المستحق لِدَرجات المَدْح، الثَّناء، وهي أصنافها، وأبوابها[(٥)]، وأفرادها، وأجناسها.

---

(١) «المفردات» (٣٦٠).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/٨).

(٣) التحرير و«التنوير» (١١/١٠٦).

(٤) انظر هذه القاعدة في: «قواعد التفسير» خالد عثمان السبت (٢/٨٠٧)، و«تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (٢/٣٢٠، ٥١٨).

(٥) «الأسنى» (٢٠٦) بتصرف.



(٣) وهو الرفيع في الدرجات، فوق جميع المخلوقات، مستوٍ على عرشه، فوق الأرض والسموات، ولهذا قرنه بالعرش: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

(٤) ومن كَمال رفعة درجاته: نزاهتُه سبحانه عن النَّقائص، والمعائب، والآفات، فهو رفيع عنها على الإطلاق[١].

(٥) وهو الذي يرفع من يَشاء من الخلق في الدنيا والآخرة:

❁ **الأول: في الدنيا:**

(أ) **في المحسوسات:** بالرزق، والخلق: فمن الأول: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٣]، وفي الخلق: قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ورفع سبحانه العرش فوق كلِّ المخلوقات.

(ب) **في المعنويات:** «إنه تعالى يرفع درجات الأنبياء، والأولياء»[٢] في المَعارف، والعلوم، واليَقينيات، قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال عز شأنه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١][٣].

❁ **الثاني: في الآخرة:**

«فهو تعالى رافع درجات أوليائه في الجنة»[٤] فيقربهم إليه، ويجعلهم

---

(١) مما تقدم من المعاني يدل على اتصافه سبحانه بوصف الذات والتي لا تنفكُّ عنه بحال.

(٢) تفسير الرازي (٢٨/٤٤).

(٣) ما تقدم ذكره من المعاني يتعلق بصفة الفعل، لأنه يتعلق بمشيئته، وإرادته سبحانه.

(٤) «الأسنى» (٢٠٦)، وتفسير الرازي (٢٨/٤٤).




فوق خلقه[1]، ورفعه لهم فيها شامل للرفعة الكاملة: الحسيّة، والمعنوية.

(٣) صفة الكمال (البَرَكَةُ وَالتَّبَارُك) الجَليلة

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١) قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]

٢) وقال ﷻ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

۞ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: **«بَينَما أيوب عليه السلام يغتسلُ عريانًا... فناداه ربُّه عز وجل: يا أيوب! ألم أغنيك عمّا ترى؟ قال: بلى وعِزَّتك، ولكن لا غِنَى بي عن بَرَكَتِكَ»**[2].

۞ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: البركة: تطلق على ثلاث معان:

الأول: الثبوت، واللزوم.

الثاني: النَّماء، والزِّيادة.

الثالث: التوفيق لِلخير.

تبارك: تفاعل من البَرَكة، وهي: الكثرة في الخير. وتبارك الله: تعظيم، وتمجيد، وتجليل. والمتبارك: المرتفع. ومعنى بركة الله: علوّ الله على كل حالٍ، وقيل: تنزه، وتقدس، وتعالى، وتَعاظم[3].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله ربنا تبارك وتَعالى هو المبارك على الإطلاق: الذي تبارك في ذاتِه، وتباركت أوصافُه، وتباركت أسماؤه،

---

(١) «تفسير السعدي» (٧٣٤).

(٢) البخاري (٢٧٩). ومن الأدلة السنية: تحية الإسلام التي جاءت عن خير الأنام ﷺ: «السلامُ عليكم ورحمة الله وبَرَكاته». والصلاة الإبراهيمية في التشهد. ودعاء القنوت: «... وبارك لي فيما أَعْطَيْتَ». «صحيح أبي داود» (١٤٢٥).

(٣) انظر هذه المعاني في: «عمدة الحفاظ» (١/١٨٣)، و«المفردات» (١١٩)، و«لسان العرب» (١/٢٦٥)، و«تهذيب اللغة» (١٠/٢٣٢)، و«القاموس المحيط» (١٠٠)، و«الصحاح» (٤/١٥٧٥).

وتباركت أفعالُه، فهو سبحانه أحق بذلك وأولى من كلِّ أحد، فهو الذي عمت، وكثرت بركاته في الأرض والسموات العُلا، في كل ساعة، ولحظة، وومضة، وحركة، فإنَّ الخيرَ كله بيده، والخير كله منه، فكل كَمال وخير في الموجودات فهو مُسْتَفاد من خير الله تعالى، وكماله في نفسه، وهي تستمد منه، وهو لا يستمدُّ منها، وهي فقيرة إليه، هو غَنِيٌّ عنها، كل منها يسأله كماله...، فالله تعالى أحقُّ أن يكون متباركًا، فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودَوامه، واجتماع صفات الكَمال فيه، وإن كلَّ نفعٍ في العالَم فمِن نفعِه، وإحسانِه[(١)][(٢)].

(٤) صفة الكمال (النُّور، ونُورُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ) الجَليلة

۞ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النور: ٣٥].

۞ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** كان رسول الله ﷺ يدعو من الليل: «**اللهم لكَ الحمدُ، أنت نور السموات والأرض...**»[(٣)].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** النور: الضِّياء، والجمع: أنوار، والنور في الأصل: هو الضوء المنتشر الذي يُعين على الإبصار، وهو ضربان: دنيوي، وأخروي، وحسي، ومعنوي[(٤)].

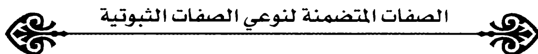
---

(١) انظر: «جلاء الأفهام» (٢٣٣)، و«شفاء العليل» (١٨٣)، و«الجواب الكافي» (٥٧).

(٢) اتصافه سبحانه بالبركة في ذاته، وأوصافه، وأفعاله، والنزاهة عن ما يناقضها ويضادها فهو من أوصاف الذات، ودوام جوده، وكثرة خيره، وتبريكه على من يشاء من خلقه فهو من صفات الفعل.

(٣) البخاري (١١٢٠) (٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩). وقال ﷺ: «إنَّ الله تباركَ وتَعالى خلق خلقَه في ظلمة، فألقى عليهم نورًا من نورِه، فمن أصابَه من ذلك النُّور اهتدى، ومَنْ أخطأَهُ ضَلَّ...» رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤١)، وصححه الألباني (ص١٠٧) وفي «صحيح الترمذي» (٢٦٤٢).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٤/٢٣٠) و«معجم مقاييس اللغة» (٥/٣٦٨) و«لسان العرب» (٧/٤٥٧).



۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف رَبُّنا ﷻ نفسَه بالنُّور العَظيم، الذي ليس له فيه شبيه، ولا مَثيل، ولا عَديل، فإنه سبحانه ذو الجَلال والإكرام، وذو البَهاء والهيبَة، والسبحات، قال رسول الله ﷺ: «حجابُهُ النُّور، أو النّار، لو كشفَه لأحرقَتْ سُبحات[1] وجهِهِ ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقِه»[2].

والنور الذي من أوصافه تعالى على نوعَيْن:

الأول: ما اتصفَ به تعالى من النور العَظيم الذي هو وصفه، الذي هو من جملة نُعوته العَظيمة الجَليلة، وهو النور العَظيم الذي لا يمكن التعبيرُ عنه إلّا بمثل هذه العبارة النبوية المؤدية للمعنى العَظيم، وأنه لا تُطيق المخلوقات كلها الثبوتَ لِنور وجهِه، لو تبدَّى لها[3].

والنور الثاني: نوعان: نوره المعنوي، ونوره الحسي:

فالنور المعنوي: وهو نورُ المعرفة، والإيمان، والطاعة، الذي به نَوَّر قلوب أنبيائه، وأصفِيائه، وأوليائه، ومَلائكته، من أنوارِ معرفته، وأنوار محبَّتِه، فإنَّ لِمَعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا، بحسب ما عرفوه من نُعوت جَلاله، وما اعتقدوه من صِفات جَماله.

والنوع الثاني: النور الحسي: الذي استنارت به العَوالِم كلها، التي لم يحصل لها نورٌ إلّا من نورِه: كنور الشمس، والقمر، والكواكب، واستنار به العرش، والكرسي، وسائر المخلوقات المدركُ نورها بالأبصار[4].

---

(١) السبحات: تقدم معناها في الكلام على صفة (الوجه)، وهي: نوره، وبَهاؤه، وجَلاله.

(٢) مسلم (٢٩٣).

(٣) ما تقدم من المعاني يتعلق بوصف الذات، لأنه من إضافة الصفة إليه تعالى، وما سيأتي من المعاني يتعلق بوصف الفعل لأنه مخلوق ويتعلق بمشيئته سبحانه.

(٤) «تفسير السعدي» (٥٦٨، ٧٣٠)، و«فتح الرحيم الملك» (٤٨)، وتوضيح الكافية (١٢٩)، و«الحق الواضح» (٩٣).




(٥) صفة الكمال (المَعِيَّة) الجَليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤][(١)].

❁ **السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني**»[(٢)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** مَعَ: بفتح العين: كلمة مصاحبة، يقال: هذا مع ذاك، وهي كلمة تضمُّ الشيء إلى الشيء، وهي اسم معناه: الصحبة[(٣)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** يوصَف رَبّنا العَظيم بصفة المعية الحقيقية، العليةَّ الكاملة من جَميع وجوهِها، وهو فوق عرشه على الحقيقة، وهو كذلك مع جميع خلقه على الحقيقة[(٤)]، يعلم سِرَّهم وجهرهم، ويرى حركاتهم، وسكناتهم أينما كانوا، وعلى أي حال كانوا، والمعية لا يلزم منها المُخالطة، والمُلاصَقة، فإن العرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، قال العلامة ابن عثيمين: ومن المعلوم أن السائرين في الأرض، والقمر في السماء، فإذا كان هذا ممكنًا في حق المخلوق فما بالك بالخالق المحيط بكل شيء[(٥)].

ومعية الله ﷻ نوعان: النوع الأول: معيَّة عامَّة. النوع الثاني: معيَّة خاصَّة.

---

(١) وقال عز شأنُه: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادِلة: ٧]. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

(٢) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) «اللسان» (٤٢٣٤/٦)، و«معجم مقاييس اللغة» (٢٧٣/١٥).

(٤) لا محذور في الإخبار عن ربنا بهذه اللفظة كما تقدم في الشروط الصحيحة في الإخبار عن الله تعالى. ارجع إليه غير مأمور (ص٢٧ ، ص ٢٩).

(٥) «القواعد المثلى» لابن عثيمين (ص ١٦٧).

فالمعية العامَّة: وهي اطِّلاعُ الله تعالى على كل عِباده، بعلمِه، وسمعه، وبصره، رَقيب مهيمن على جَميع أحوالهم، وشؤونهم الظاهرة والباطنة، فهي معية إحاطة شاملة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

النوع الثاني: المعية الخاصة: وهي لأنبيائه، وأوليائه، وهي معية مقتضاها: النصر والتأييد، والهِداية، والوِلاية، والحفظ، والتسديد[(١)]، وهي كائنة لهم في الدنيا والآخرة[(٢)]، وهي تنقسم إلى قسمَيْن:

الأول: مقيدة بشخص. الثاني: مقيدة بوصف.

مقيدة بشخص: مثل معية الله تعالى لنبيه ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

الثانية: مقيدة بوصف: كمعية الله تعالى لأوليائه الذين تحلَّوا بصِفات وخصال جليلة، مثل: (المتقين) و(المحسنين): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨][(٣)].

وفي الآخرة: أنه تعالى يجمع أولياءه الموحِّدين معه في جَنّات النَّعيم، وهذه المعية تقتضي: القرب، والعُلُوّ، والرفعة، كما سألتها آسية امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وكقول النبي

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/١٠٣، ٢٢٧، ٤٩٥، ٦/٢٣)، و«منهاج السنة النبوية» (٨/٣٨٠)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٣٩٢).

(٢) انظر: كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى (ص٤٦٦).

(٣) انظر: «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٢٢٥).



ﷺ في آخر كلمة قالها عند موته: «**اللهم الرَّفيق الأعلى**»(١).

الفرق بين المعيتين:

(١) إن المعية العامَّة: من الصفات الذاتية، والخاصة: من الصفات الفعلية.

(٢) إن العامة من مقتضاها: العلم، والإحاطة على جميع المخلوقات، وأما الخاصة: فتدخل في معانيها المعية العامَّة، وكذلك: الحفظ، والعِناية، والنصرة، والحِماية من المَهالك.

(٣) العامة: تكون في سِياق التخويف، والمحاسبة على الأعمال، والحثّ على المُراقَبة، والخاصة: مرتبة على الاتصاف بالأوصاف الجَميلة، والأخلاق الحميدة(٢).

(٦) صفة الكَمال (الشِّدَّة) الجَليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١) قال سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

٢) وقال جل ثناؤه: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠].

٣) وقال ﷻ: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ(٣):

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الشدة: القوة، والصَّلابة، وهي نقيض اللِّين،

---

(١) البخاري (٤١٧٣).

(٢) «شرح الواسطية» للسلمان (٢/٢٢٤).

(٣) تقدم ذكر الأحاديث عند الصفة المقيدة رقم (١٩) (التشديد).



يقال: شَدَّ الله ملكَه؛ أي: قَوّاه، وأصل الشِّدَّة: العقد القوي، وشددت الشيء: قويت عقده، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ [طه: ٣١][1].

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: يوصَف رَبُّنا الجَليل بصفة الشِّدَّة العليَّة، وهي صفة لازمة، ومتعدية:

صفة لازمة؛ أي: إن الله تعالى موصوف سبحانه بالقوَّة، والشدة المُتَناهية في ذاتِه، وصِفاته؛ أي: «في جميع صِفات الجبروت»[2]، فهو تعالى لا يُريد شيئًا إلا فعلَه، ولا يَتعاصى عليه شيء، ولا يفوته هارب[3].

ومتعدية: أنه تعالى يقوي من شاء من عِباده، ويُعاقب وينكل من يَشاء فيهم، كما قال لِموسى عليه السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا﴾ [القصص: ٣٥]؛ «أي: سَنقوي أمرَك، ونعز جانبك بأخيك، ونجعل لكما حجة قاهرة، فلا سَبيل لهم إلى الوصول إلى آذاكما»[4].

وكما شدد الله سبحانه ملك داود عليه السلام ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾ أي: قويناه بما أعطيناه من الأسباب وكثرة العَدَد والعُدد التي بها قوى الله ملكه[5].

فالله تبارك وتعالى هو الشديد الذي لا أشدَّ منه سبحانه، فهو (شديد العقاب) و(شديد العذاب)، و(شديد البأس، والتنكيل).

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٢/٢٥٥)، و«كتاب العين» (٢/٣١٥)، و«القاموس المحيط» (٦٧٣).

(٢) «المُحاضرات السنية» في «شرح الواسطية» (١/١٦٠).

(٣) «تفسير السعدي» (٤١٥)، وهذه المعاني تدل على الصفة الذاتية.

(٤) «تفسر ابن كثير» (٣/٥٢٩).

(٥) «تفسير السعدي» (٧١١)، والمعاني التي تقدمت تدل على الصفة الفعلية.




ومن شدته سبحانه: أنه لا أحد «أشدُّ نكاية في عدوه، من أهل الكفر به، منهم فيك يا محمد وفي أصحابك»[1]، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ [النساء: ٨٤]، وجاء باسم التفضيل الذي يمنع المشاركة في الرُّتبة، لِدلالته على أعلى الوصفِ[2] في حَقِّ تعالى.

وهو تعالى شديد العِقاب والمُؤاخذة، كما وصف بذلك نفسه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

يقول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل أن نقول: الوجه، يعني: ذو الوجه الحسن، فهو صفة مشبهة، وقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾؛ أي: شديد المؤاخَذة، قوي الجَزاء للعقوبة، وشدة العِقاب من كمال المعاقب، وبسط قوتِه، وسلطانِه، ولا يوصف الله تبارك وتَعالى إلّا بالكَمال...»[3].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إثبات صفة شدة العِقاب لله عَزَّوَجَلَّ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]»[4].

(٧) صفة الكَمال (الصِّدْق) الجَليلة

۞ **الكِتَابُ الْحَكِيمُ**: قال تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [آل عمران: ٩٥][5].

(١) «تفسير الطبري» (٢/٥١٧).

(٢) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (١/٢٣٠).

(٣) «تفسير سورة البقرة» (٢/٤١١).

(٤) «تفسير سورة آل عمران» (٢/٤١١)، وقال ابن القيم: «شدة عقابه من صفات الأفعال...، وهذا جزاؤه للمذنبين» بدائع الفوائد (١/١٩٠).

(٥) وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]. وقال عز شأنه: ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].




❁ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إلّا الله، والله أكبر، صَدَّقه ربه فقال: لا إله إلّا أنا، وأنا أكبر...**»(١).

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الصدق: ضد الكذب، ويدلُّ على قوة في الشيء قولًا وغيره. والصدق: مطابقة الخبر للمخبر عنه في نفس الأمر، وفي اعتقاد المخبر. والصَّدق بفتح الصاد: الكامل من كل شيء، وهو الجامع للأوصاف المحمودة(٢).

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: يوصَف رَبُّنا العظيم ﷻ بصفة الصدق الجَليلة، فهو الصادق على الإطلاق الذي لا أصدق منه تعالى، فهو الصادق في وعدِه، ووعيده، وحديثه، الصادق في جميع ما يخبر به، فهو تعالى وعد المُطيعين بأن يُثيبَهم، ووعد السّائلين أن يُجيبَهم، فكل ما وعد سبحانه عباده به، فهو آتٍ كما وعد(٣)، لا يتخلَّف، ولا يتغيَّر، ولا يزول، ولا يحول، كما هو، مطابق كما هو عليه، فهو تعالى الصادق في كل شيء في الدنيا، الأخرى(٤).

(٨) صفة الكَمال (ذُو المَعَارِج) الجَليلة

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَـٰرِجِ﴾ [المعارج: ٢ - ٣].

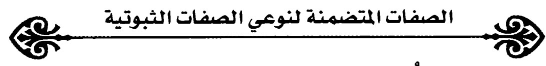
---

(١) «صحيح الترمذي» (٣٤٣٠). وحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا فقالوا: (يا رسول الله! صَدَّق الله حديثَك). صحيح البخاري (٣٩٦٧). وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «... صَدَقَ الله، وكذَبَ بطنُ أخيك» صحيح البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/٣٢٦)، و«اللسان» (٤/٢٤١٧).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/٢١٨)، و«شأن الدعاء» (١٠٢)، واشتقاق أسماء الله (١٦٨).

(٤) تضمن الصدق على صفة الذات: أنه سبحانه يستحيل في حقه أن يكون خلاف ذلك، كالكذب، وإخلاف الوعد، فهو موصوف بذلك على الدوام، فلا يكون في حال دون حال، وعلى الفعل: أنه يصدق من يشاء من عباده.



۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ**: ذو: بمعنى صاحب. **المعارج**: عرج في الدرجة والسلم يعرج عُروجًا؛ أي: ارْتَقى، والجمع: معاريج. **والمعراج**: السُّلَّم، ومنه ليلة المعراج. وعرج الشيء فهو عريج: ارتفع وعَلا[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ أي: «العُلُوّ، والفواضل»[2]، وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذي الفواضل والنِّعَم»[3].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ**: وصف رَبُّنا تعالى نفسَه بأنه ذو المعارج؛ أي: الموصوف بالعلو، والدرجات الفَواضل[4]، والآيادي الكريمة، والإنعام الدائم.

(١) فهو تعالى ذو المعارج أي: في العلو الأعلى الذي لا أعلى منه، فهو سبحانه فوق كلِّ الورى، على العرش استوى.

(٢) وهو تعالى «الذي يتولى المنازل، ويصرف الأمور على المَراتب، وينزل المأمورين على المقادير»[5].

(٣) وهو سبحانه الذي يصعد إليه الملائكة، الموكلون بأعمال العِباد، وإليه يصعد بأرواح المؤمنين[6].

فالمعارج: طرق الملائكة والروح عليه السلام، فإذا كان منهم صعود كان فيهم عروج، ولهم أيضًا تنزل، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/٤٨)، و«اللسان» (٤/٢٨٦٩)، و«الصحاح» (٦٨٦)، و«القاموس المحيط» (٨٥٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٩/٤٤).

(٣) «التفسير الصحيح» (٤/٥٣٢).

(٤) «الأسنى» (٢٠٩).

(٥) المصدر السابق.

(٦) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٤)، و«شأن الدعاء» (١٠٤).



إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤][1].

(٤) وهو سبحانه: صاحب الخيرات، والآلاء الحِسان، والأنعام العِظام، التي تدرُّ على كل الأنام، في الليل والنهار، وفي السرِّ والجِهار.

(٩) صفة الكَمال (الإِدْرَاك) الجَليلة

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

❁ السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: **«من صلَّى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته شيء ثم يدركه، ثم يُكبه على وجهه في نار جهنم»**[2].

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الإدراك: اللحوق، وهو بلوغ أقصى الشيء، وأدركه ببصره، أي: رآه، ويقال: فرس درك الطريدة: إذا كانت لا تفوته طريدة، وأدرك الصبي: بلغ غاية الصبا، وذلك حين البلوغ، والدَّرك: التبعة[3].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: وصف ربُّنا الجليل نفسه بأنه يدرك جميع الأبصار[4]، أي: يحيط بها ويبلغ كنهها، والمعنى: أنه جلَّ جلاله يرى جميع الخلائق العلوية والسفلية، فلا يخفى عليه شيء منها إلا ويراه

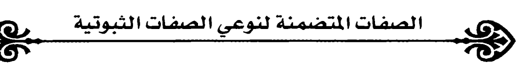
---

(١) «الأسنى» (٢٠٩).

(٢) مسلم (٦٥٧).

(٣) «المفردات» (٣١١)، و«مقاييس اللغة» (٢٨٩)، و«مختار الصحاح» (١٢٠).

(٤) إدراك الأبصار من أوصاف الذات، لأنه لا يتعلق بمشيئته ولا في وقت دون وقت، فهو موصوف بذلك على الدوام في الأزل، والحال، وفي الاستقبال.



ويعلمه على ما هي عليه، فهو سبحانه قد أحاط بصره بجميع المبصرات، صغارها وكبارها[١].

وفي الحديث المتقدم. وفيه: **«من صلَّى الصبح فهو في ذمة الله...»** تقدَّم شرحه عند الصفة الكريمة (الذمّة) وقوله: **«فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه»** أي: يلحق به فلا يفوته ولا يهرب منه.

والمعنى: "فلا ينبغي لأحدٍ أن يتعرض له[٢] بضر أو أذى، فمن فعل ذلك فالله يطلبه بحقه[٣]، ومن يطلبه سبحانه لم يجد مفرًّا ولا ملجأً، وقوله: **«ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»**، أي: يقلبه فيها على وجهه"[٤]، والعياذ بالله.

(١٠) صفة الكَمال (الطَّيب) الجَليلة

۞ السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ: قال رسول الله ﷺ: **«الله عَزَّوَجَلَّ الطبيب، بل أنت رجل[٥] رفيق، طبيبها الذي خلقَها»**[٦].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٢٢٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/٥٢)، و«فتح البيان» لصديق خان (٢/٤١٨)، و«تفسير السعدي» (٢٦٨).

(٢) أي المصلي.

(٣) وهذا المعنى يتعلق بمشيئته وقدرته، وكل وصف تعلق بالمشيئة فهو من أوصاف الأفعال، لأنه مرتبط بسبب كما تقدم.

(٤) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢/٢٢٦).

(٥) هو أبو رِمثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) رواه أحمد في المسند (١٧٥٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٢٠٧)، في «السلسلة الصحيحة» (١٥٣٧). وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (ثم مرضَ رسول الله ﷺ، فوضعتُ يدي على صدره فقلت: أذهب البأس، رَبَّ الناس، أنت الطَّبيب، وأنت الشافي...). وفي رواية عنها: (أنها كانت تمسحُ صدرَ النبي ﷺ وتقول: اكشف الباس، رب الناس، أنت الطبيب، وأنت الشافي، فيقول النبي ﷺ: **«ألحقني بالرَّفيق الأعلى»** رواه أحمد (٢٤٧٧٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط البخاري» (٤١/٢٩١).




۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الطب:** هو العلم بالشيء، الحاذق بعلمه، يقال: رجل طبّ وطبيب؛ أي: عالم حاذق. والطبُّ أيضًا: الرفق، والطبيب: الرَّفيق[1].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** وصف نَبِيُّنا ﷺ رَبَّنا ﷻ بأنه هو المنفرد بالطب بكل أجناسِه، وأنواعه، وحقائقه، فجاء الوصف بالسنة القولية: **«الله الطبيب»**.

وجاء عنه ﷺ بالسنة التقريرية في قول أمِّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أنت الطبيب)، وقولها: (أنت) بضمير الفصل، والذي يفيد كما هو معلوم: الحصر، والاختصاص؛ والقصر أي: أنه تعالى هو الذي تفرَّد بهذا الوصف الجَليل، الذي ليس له فيه نَظير ولا عديل، «لأن المُعالج لِلمَريض من الآدميين، وإن كان حاذِقًا متقدِّمًا في صِناعته، فإنه قد لا يُحيط علمًا بنفس الدَّاء، ولئن عرفه ومَيَّزه فلا يعرف مقداره، ولا مقدار ما استولى عليه من بدن العليل، وقوته، ولا يقدم على مُعالجته إلّا متظنِّنًا عاملًا بالأغلب من رأيه، وفهمه، لأن منزلَته في علم الدَّواء، كمنزلته التي ذَكَرْناها في علم الداء، فهو لِذلك رُبَّما يُصيب، وربما يُخطئ، ورُبَّما يزيد فيغلو، ورُبَّما ينقص فيكبو...

فأما الطبيب: فهو العالم بِحَقيقة الداء والدواء، والقادر على الصحة، والشِّفاء، وليس بهذه الصفة إلّا الخالق البارئ المصور»[2].

وربنا ﷻ هو العالم بِجَميع العلل، والأمراض، والأسقام، وأسباب

---

(١) «لسان العرب» (٥٣٣/١)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤٠٧/٣)، و«النهاية» (٥٥٧).

(٢) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٣١١/١).




العِلاج، لأنه سبحانه خالق كل شيء، ومنها: الأسباب، والمسببات، فيدخل في ذلك: الداء، والدواء، فهو سبحانه طبيبُ الأبدان، والقلوب، والأرواح.

(١١) صفة الكمال (النَّظَر) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** ١) قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

٢) وقال عز شأنه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[١].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: النظر**: تقليب البصر، والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وله عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار[٢]، وإن عدِّي بـ(في)، فمعناه: التفكُّر والاعتبار[٣]، وإن عدِّي بـ(إلى) فمعناه: المعاينة بالأبصار[٤][٥]، والذي يثبت في حقِّه جلَّ جلاله الأخير، أي: النظر بعينه سبحانه، لأنه تعالى

---

(١) مسلم (٢٥٦٤)، وقال ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا» البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٢) قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

(٣) كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

(٤) قال سبحانه: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

(٥) انظر: «المفردات» (٨١٢) و«شرح الطحاوية» (١٩٠)، وانظر: «الإبانة» (٦٥)، و«حادي الأرواح» (٣٣٧).




عداه بـ(إلى) كما تقدم.

۞ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: «امتدح الله عز وجل من الرؤية والنظر إلى خلقه، ودعا عباده إلى مدحه بذلك»[1] لأنها من أوصافه الكمال العلا التي لا تشبه أحدًا من الورى، لأنه سبحانه «لا يحجب عن بصره شيء ما، تحت الأرضين السبع، ولا فوق السموات السبع»[2][3].

وهو تعالى لا ينظر إلى بعض خلقه ممن اتصف بأفعال ذميمة، وخصال شنيعة كما تقدم «والمقصود بالنظر المنفي هنا: نظر خاصّ يتضمن الإحسان، والرحمة»[4][5]، لا نظر رؤية، لأنه تعالى لا يغيب عن نظره شيء مهما دقَّ أو جلّ.

(١٢) صفة الكمال (المُحْصِي) الجليلة

۞ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ١) قال رب العالمين: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

٢) وقال جلَّ جلاله: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٤][6].

۞ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: ١) قال ﷺ لأسماء بنت الصديق رضي الله عنها: **«أنفقي ولا تحصي، فيحصي الله عليك...»**[7].

---

(١) «التوحيد» لابن منده (٤٩٧).

(٢) «طريق الهجرتين» (٢٣٤).

(٣) وهذا المعنى الجليل يدل على اتصافه بصفة الذات.

(٤) «شرح كتاب التوحيد» للعلامة عبد الله الغنيمان (٢/٤٩١).

(٥) وهذا المعنى من صفات الفعل لأنه يتعلق بمشيئته سبحانه.

(٦) وقال سبحانه: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨].

(٧) البخاري (١٤٣٣) (٢٥٩١)، ومسلم (١٠٢٩).

٢) الحديث القدسي الذي فيه: **«يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم»**[١].

۞ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: الإحصاء:** العدّ، والحفظ، والإحصاء: الإحاطة بجميع المعلومات وتفاصيلها على السواء، مع حفظ ما يزيد فيها، وينقص، وحفظ أحوالها في الوجود والعدم وسائر تغيراتها[٢].

۞ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الله تبارك وتعالى هو المحصي: الذي أحصى كل شيء بعلمه، فلا يفوته دقيق، ولا يعجزه جليل، ولا يشغله شيء عما سواه سبحانه[٣].

فهو سبحانه العالم بمقادير الحوادث، ما يحيط به منها علوم العباد، وما لا يحيط به منها علومهم، كالأنفاس، والأرزاق، والطاعات، والمعاصي، وعدد القطر، والرمل، والحصى، والنبات، وأوصاف الحيوان، والموات، وعامة الموجودات، وما يبقى منها، أو يضمحل ويفنى[٤][٥].

وهو الذي يحصي بمن أحصى، جزاءً عدلاً حقًّا في مقابلة فاعله، أي: أنه تعالى يمنع ويمحق البركة لمن شحَّ ومنع النفقة[٦][٧].

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) «القاموس المحيط» (٢٩٦)، و«النهاية» (٢١٣) و«الأسنى» (٣٢٦).

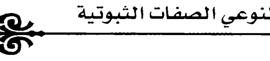
(٣) «شأن الدعاء» (٧٩).

(٤) «المنهاج» (١/١٩٨).

(٥) وهذه المعاني الجلال تدل على وصف الذات.

(٦) انظر الصفة المقيدة (الوعي) (٢٩٨).

(٧) وهذه المعاني تدل على وصف الفعل.




(١٣) صفة الكمال (الجَلَال) الجليلة

❁ القُرْآنُ الكَرِيمُ: قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧][١].

❁ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ: ١) في حديث الشفاعة الطويل، يقول ربُّ العالمين: «... وعِزَّتي، وجَلالي، وكِبْريائي، وعَظَمتي، لأُخْرِجَنَّ منها مَنْ قال: لا إله إلا الله»[٢].

٢) وقال رسول الله ﷺ: «مَن أجلَّ سلطان الله، أجله الله يوم القيامة»[٣].

❁ المَعْنَى فِي اللُّغَةِ: جلَّ الشيء: عَظُمَ، وجُلُّهُ: معظمه، وجلال الله: عظمته، ويقال: جل جلاله؛ أي: عظم قدرُه، فهو جليلٌ، والجلال بغير الهاء: التَّناهي في ذلك، وخُصَّ بوصف الله تعالى ولم يُستعمل في غيره[٤].

❁ المَعْنَى فِي الشَّرْعِ: الله تبارك وتَعالى هو الجليل الذي لا أجل منه في الوجود على الإطلاق، فهو تعالى: الموصوف بِنُعوت الجَلال، وهي صِفات الكَمال، الحاوي جميعها على الدَّوام، ثابتة محققة له، لا يفوته منها وصف جلال، وكَمال[٥]، على الدوام.

---

(١) وقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

(٢) البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٨٧٣). وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقول يومَ القيامة: أينَ المُتَحابُّون بِجَلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي، يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلِّي» مسلم (٢٥٦٦).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢٥)، وحسنه الألباني (٤٧٨)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٧)، وفي «صحيح الجامع» (٥٩٥١)، وقال ﷺ: «إن من إجلال الله ثلاثة: إمام عادل، وذو الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه» صحيح أبي داود (٤٨٤٣).

(٤) «المفردات» (١٩٨)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤١٧)، و«شأن الدعاء» (٧٠).

(٥) «النهاية» (١٦١).




فهو سبحانه عظيمُ الشَّأن والمِقْدار، فهو الجليل الذي يصغر دونه كلُّ جليل، ويتضع معه كلُّ رفيع، وهو سبحانه بيّن الجلالة، والجلال[(١)]، لكلِّ ذي لُبٍّ وعقل[(٢)].

(١٤) صفة الكمال (الرُّؤْيَة) الجليلة

❁ **القُرْآنُ الكَرِيمُ:** قال جل جلاله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]

وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ١٦٧][(٣)].

❁ **السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ:** حديث جبريل عليه السلام المشهور وفيه: «... **قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك...**»[(٤)].

❁ **المَعْنَى فِي اللُّغَةِ:** الرؤية: إدراك المرئي، وذلك بأضرب بحسب قوى النفس. (منها): بالحاسة وما يجري مجراها، والرؤية تأتي بمعنى العلم، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [سبأ: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، أي: بما علمت وعرفك[(٥)].

❁ **المَعْنَى فِي الشَّرْعِ:** الرؤية صفة ذاتية لربنا إن تعلق معناها:

---

(١) «شأن الدعاء» (٧٠، ٩١)، و«تفسير أسماء الله» (٥٠).

(٢) تضمن ما سبق من معاني الجلال في حقِّ ربنا، وهي أوصاف العظمة، والكمال العلا على صفة: الذات، وعلى الفعل: أنه يجلُّ من يشاء من خلقه، أي: يعظِّم ويعلي شأنه كما تقدم من الأحاديث والله أعلم.

(٣) وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤]، وقال عز شأنه: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

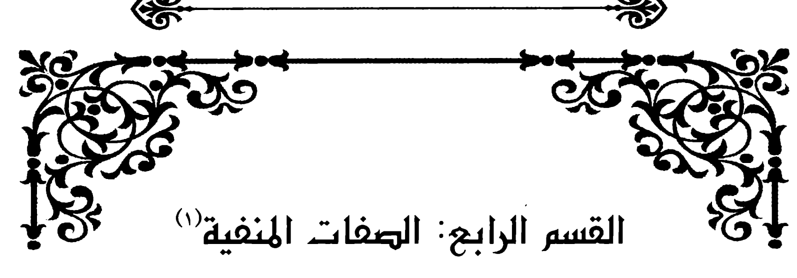
(٤) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩). وقول أنس بن النضر في غزوة أحد: (لئن أشهدني الله قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع) البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣) بلفظ (ليراني الله).

(٥) «المفردات» (٣٧٤).




بالرؤية البصرية التي تليق به سبحانه، وكذلك بمعنى العلم فكلاهما من أوصاف الذات التي لا تنفكُّ عنه سبحانه بأيِّ حال، وتكون فعلية إن تعلق المعنى: أنه سبحانه يُري عباده ما شاء من أعمال، أو أقوال، أو مشاهد، أو غير ذلك من أمور وأحوال، كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وكقوله جلَّ في علاه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

** ** **



القسم الرابع: الصفات المنفية[١]

هذا القسم الرابع من تقسيم الصفات في كتابنا، وهذا النوع من الصفات هو الرُّكن الثاني لِصفات ربِّنا الجليلة، فهي كما تقدَّم تنقسم إلى ثبوتية، ومنفيَّة، فربُّنا العظيم موصوف بصِفات الإثبات، وموصوف بصِفات النفي، وقد جمعَ الله تبارك وتعالى بينهما في مواطِنَ عديدة في كتابه، وسنَّة نبيه ﷺ[٢]، وأوضح الدلالة على ذلك كلمة الإخلاص، والتوحيد، والإسلام: (لا إله إلا الله)، فنفى سبحانه الألوهية عن كُلِّ ما سِواه: (لا إله)، وأثبتَها له وحده: (إلّا الله).

القواعد والضوابط

۞ القاعدة الأولى: (النفيُ في صِفات الله توقيفي)[٣].

الصفات المنفيَّة كصِفات الله تعالى الثُّبوتية توقيفيَّة؛ أي: مرجعُها هو الكتاب والسنة، فلا تُعلَم بالقِياس، ولا بالنَّظَر، ولا بالرأي، ولا بالاجتهاد.

---

(١) قد أفردت لها مؤلفًا، اسمه: «الصفات المنفية في الكتاب وفي السنة النبوية» ولهذا فلن أسهب ولن أطيل في الشرح، ومن أراد الاستزادة فليراجعه.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/٣٥)، والصواعق المرسلة (٢/٤٢٠)، وتوضيح الكافية (١١٥)، و«تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦).

(٣) انظر معنى القاعدة في: «(شأن الدعاء)» (١١١)، و«ذمّ التأويل» لابن قدامة (١٠)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/٩٧) (١/٤٤٤).



۞ القاعدة الثانية: (صفات النَّفي ليسَتْ أصلًا في معرفة الله تعالى)[1].

الأصل في معرفةِ رَبِّ العالمين هو الصفات الثبوتية، أما صِفات النَّفي فهي وسيلة وتميم، وحفظ وصونٌ لها، ولِهذا كانت صفات الإثبات هي الأغلب، والأكثر، والأوسع، في السنة، والكِتاب.

فإنَّ المقصود الأعظم من التوحيد إثبات صِفاتِ المَدْح، والحمد، والمَجْد، والجَلال[2].

۞ القاعدة الثالثة: (النفي ليس فيه كمال ولا مدح إلّا إذا تضمَّنَ إثباتًا)[3].

أي: كل صفةٍ نَفاها الله تعالى عن نفسِه، فإنها متضمنة لشيئَيْن:

الأول: انتفاءُ تلك الصفة.

الثاني: ثبوتُ كمال ضِدِّها على الوجه الأكمل.

ولهذا لا يوجد في الكتاب والسنة نفي محض؛ أي: غير متضمِّن لِكَمال، لأنَّ النفي المحض ليس فيه كمال، ولا مدح، ولا تعظيم، إلّا إذا تضمَّن كمالًا[4].

۞ القاعدة الرابعة: (طريقة الكتاب والسُّنَّة في «الأسماء والصفات»: الإثبات المفصَّل، والنَّفْي المُجْمَل)[5].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/١١٢)، والصواعق المرسلة (٤/١٣٦٧).

(٢) انظر: «الحق الواضح» (٧)، وتوضيح الكافية (١١٥).

(٣) التدمرية (٣٣)، و«مجموع الفتاوى» (١٧/١١٢)، و«شفاء العليل» (١٧/١١٢)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٠٨)، والصواعق المرسلة (٣/١٠٢٣)، و«مدارج السالكين» (١/٣٥).

(٤) فينفي عن الله تعالى (السِّنَة) لِثُبوت كمال ضِدِّها وهو: كمال حياتِه، وقيوميَّته، وينفي عنه (الجهل) لِثُبوت كمال (علمه).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/٤٧٨) (٣/٣٥)، (٦/٥٦٥)، و«منهاج السنة النبوية» (٢/١٥٧)،



الأصل في مَجيء الصفات بالوَحيَيْن الشريفَيْن أن الصفات الثبوتية تأتي مفصلة، مثل: (السمع) و(البصر) و(النفع) و(الغلبة)، وبالجملة: ذكر كل صفةٍ بمفردِها.

أمّا النَّفْي فإنه يأتي مجملًا، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] هذا نفي مجمل، وأتى بعده إثبات مفصَّل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقد يأتي الإثبات مجمَلًا[1]، ويأتي النفيُ مفصَّلًا، ومعنى مفصَّلًا هو: ذِكْر الصفة المنفيَّة بعينِها، مثل: نفي (السِّنَة)، ونفي (الخوف)، ونفي (النسيان)، ولا يأتي النفي مفصَّلًا إلّا لِسبب يقتضيه، كما سيأتي.

❁ **القاعدة الخامسة: (كل نقصٍ تنزَّه عن المخلوق فالخالق أحقّ به، وأولى بالتنزُّه عنه)[2].**

هذه القاعدة مبنيَّة على أحد الأقيسة الفطرية العقليَّة السليمة، والتي جبلت عليها الخليقة، إلّا مَنْ طمسَ اللهُ على فطرتِه والعياذ بالله، والذي يُسمَّى بـ«القياس الأولى»: (**أن كلَّ كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحقّ وأولى به، وكل نقص وعيب فهو** سبحانه وتعالى **منزَّه ومُتَعال عنه**) من كل وجهٍ، وقد عبر عنه في كتاب رَبّنا بـ«المثل الأعلى»، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، «والمثل الأعلى» هو: الكمال المطلَق الذي يوصَف به سبحانه على الإطلاق.

و«الصواعق المرسلة» (١٠٠٩/٣)، و«شرح الواسطية» لابن باز (٢٥٨/١).

(١) كإثبات الكمال المطلق، قال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧] أي: الوصف الأعلى. انظر: «شرح الواسطية» للهراس (٢٥٨/١)، وابن عثيمين (٢٦٤/١)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات» للبريكان (١٥٤).

(٢) «نقض تأسيس الجهمية» (٣٢٧/١)، و«النبوات» (٢٤٢)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢٢٢/٢) (٣٦٨/٣)، و«شفاء العليل» (٣٢٣/١)، و«الصواعق المرسلة» (١٠١٨/٣).




احتراز مهمّ في القاعدة:

إنَّه لا بُدّ من مُراعاة مفهوم النقص المنتفي عن الله عزَّ شأنُه، الذي يجب أن ينزه عنه، لأنّ هناك أمورًا هي نقص في حق المخلوق، ولكنّها كمال في حق الخالِق سبحانه، ومن ذلك: (الكبرياء)، و(العظمة) فإنها نقص في حَقِّ المخلوق، لكنه كمال مطلَق في حق الخالق، فإنَّ الله تعالى يسمى بالمتكبر، ويوصَف بالكبرياء(١).

۞ **القاعدة السادسة: (الصفات المنفيَّة تنقسم إلى نوعين: صفات منفيَّة متصلة، وصفات منفية منفصِلَة).**

النقائص المنتفية عن رَبِّنا العظيم إمّا أن تكونَ متصلة، وإما منفصلة عنه سبحانه.

وسُمِّيَ نفيًا متصلًا؛ أي: نفي صفات النقص التي من شأنها أن تكون متصلة بالموصوف بها، قائمة (بذاته العَلِيَّة) غير منفصلة عنه، ومثاله: نفي (الجهل)، فإنَّ الجهلَ من المعاني التي يتصور قيامُها بالذّات(٢).

وسمي النوع الثاني منفصِلًا؛ أي: نفي صِفات النقص والتي ليست من قبيل الصفات القائمة بِذاته سبحانه، بل منفصلة عنه، ومثاله: نفي (الصاحبة)(٣).

---

(١) النفي في باب صفات الله (١٨٦).

(٢) ومن الأمثلة كذلك: نفي (السِّنَة) و(الخوف)، و(العجز)، و(التعب).

(٣) مثل: نفي (الصاحبة)، و(الولد)، و(الشريك)، و(الظهير)، وغير ذلك. انظر: «الحق الواضح» (٨)، و«شرح العقيدة النونية» للهراس (٢/٢١٠)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السَّلَف» (١٥٨)،




* ضوابط صفات النفي:

الضابط الأول: نفي كلِّ صفة عيب، أو نقص، أو ذَمّ عنه سبحانه، مثل: نفي النوم، والموت، والصمم.

الثاني: نفي كل نقصٍ مناقض لِكَمال أوصافه، فهو موصوف بكمال الحياة مُنَزَّه عما يُضادها من: السِّنَة، والنوم(١).

الثالث: نفي مماثلة المخلوقين عنه سبحانه، كأن يجعل علمه كعلمِ المخلوق(٢).

المعنى اللغوي لـ(النفي): أصل هذه الكلمة: تعرية شيء من شيء، وإبعاده منه، وهي تأتي على عِدَّة معانٍ: التنحية، والرّدّ، والإبعاد، والجحود، والدَّفع، وهي معان متقاربة جِدًّا من حديث مدلولها اللغوي(٣).

الألفاظ الدالة على النفي

(السَّلْب): من أشهر هذه الألفاظ (السَّلْب)، لكثرة التعبير به(٤).

والسلب في اللغة: نزعُ الشيء من الغير، إمّا قهرًا، أو خِلْسَة(٥).

و«التسبيح في الكتاب والسنة» (١/١٥١)، و«النفي في صفات الله» (١٢٠).

(١) وفي علمه: عن الجهل، والنسيان، والغفلة، وفي قدرته: عن العجز، والضعف، والتعب.

(٢) أو وجهه كوجه المخلوق، أو جماله كجمال المخلوق... ونحو ذلك. انظر: التدمرية (١١٦)، و«الحق الواضح» (١٣)، و«الكافية الشافية» (١١٥).

(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٣١٩). وانظر: «لسان العرب» (٨/٦٦١)، و«كتاب العين» (٤/٢٥٣)، و«القاموس المحيط» (١٠٦١). «النفي في باب صفات الله» (٣٠).

(٤) خاصَّة عند المُخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، ولهذا استعمل أهل السنة هذا الاصطلاح عند الرد على خُصومهم في هذا الباب الجليل وعبروا عنه بقولهم: (الصفات السلبية).

(٥) ويأتي بمعنى الخِفَّة، والإسراع. انظر: «معجم مقاييس اللغة» (٨٩٥)، و«القاموس المحيط» (١٢٧٨)، و«المصباح المنير» (٣٤٧).

(التنزيه): هو الإبعاد، والتنحيةُ عن الشيء، والتبرئة منه[1].

(التسبيح): هو التنزيه، والتقديس، والتبرئة عن السوء، والنقائص، والمَعايِب[2].

(التقديس): هو الطهارة، والنَّزاهة[3].

(تعالى): وهو تفاعل من العلو، بمعنى: ترفَّع، أو ارتفع[4].

(حاش): وهي: تنزيه، واستثناء، وتبرئة[5].

في لغة العرب التي أنزل الله سبحانه بها القرآن الحكيم ألفاظٌ تعرف بأدوات النفي، وأشهرها: (ليس)[6]، (لا)[7]، (لم)[8]، (لن)[9]، (ما)[10].

* * *

(١) انظر: «كتاب العين» (٤/٢١٣)، و«معاني القرآن» لأبي جعفر النحاس (١/٥٢٦).

(٢) ينظر: «معجم مقاييس اللغة» (٥٠٢)، و«لسان العرب» (١/١٤٧٠).
وهذه الكلمة من أهمّ الألفاظ وأجلِّها في النفي في صفات ربّ العالمين، إذ إن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حافلة في ذِكْرِها، ومن أسمائه ﷻ: (السّبوح).

(٣) انظر: «اللسان» (٦/٣٥٤٩)، و«تفسير الطبري» (١/١٦٧).

(٤) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (٤/١١٢)، و«اللسان» (٥/٣٠٨٨).

(٥) «المفردات» (٢٦٤)، و«عمدة الحفاظ» (١/٤١٤)، و«معاني القرآن» وإعرابه للزجاج (٣/١٠٧)، و«تفسير الطبري» (٧/٢٠٦).

(٦) كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١].

(٧) آية الكرسي، فقد تضمَّنَتْ على خمسة من أدوات النفي (لا)، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾...

(٨) كما في سورة الإخلاص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤].

(٩) قال تعالى: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧].

(١٠) قال سبحانه: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].
انظر: «التسبيح في الكتاب والسنة» (١/١٣٣، ١٤٤).




الأحوال التي تذكر فيها الصفات المنفيَّة(١)

التنزيه المفصل قد جاء بنفي أمور معينة مخصوصة، ولأسباب كذلك اقتضاها، لِمُنافاتها لكماله الواجب له سبحانه، وقد جاءت لأربعة أحوال:

الأول: بيان عموم كمال الله عَزَّوَجَلَّ:

وهو نفي العيوب، والنَّقائص عن الله على سَبيل العموم والشمول لكلِّ فرد من أفراد ما يضاد الكمال من النَّقائص، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١](٢).

الثاني: نفي ما ادَّعاه الكاذبون في حق الله تعالى من النَّقائص:

أي: ما ادَّعاه وافتراه أهلُ الكتاب والمشركون من الأمور العِظام، كادعائهم نسبة الولد لله تعالى، والصاحبة، والأنداد، والشريك، وأنه فقير، وأنه بخيل، وغير ذلك من الإفك العظيم، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

الثالث: دفع توهُّم النقص في كمال الله تبارك وتعالى:

وهو دفع توهم النقص في كماله سبحانه فيما يتعلَّق بهذا الأمر المعيَّن، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدّخان: ٣٨]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨](٣).

---

(١) تقدمَ بيانُه في القاعدة الرابعة: (إن طريقة الكتاب والسنة في «الأسماء والصفات» الإثبات المفصل، والنفي المجمل) «هذا في الغالب، لأنَّ ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف، وأكمل في التنزيه» لله ﷻ. «تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦).

(٢) فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فلم يقل سبحانه: ليس كمثله شيء في كذا، وكذا من صفات العيوب، بل عَمَّمَ النفي. وكقوله سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

(٣) ففي الآية الأولى: نفي النقص في الإرادة، وفي الثانية: نفي النقص في الفعل.




الرابع: ذِكْرُها في سِياق تهديد الكافرين:

بنفي ما قد يتوهمونه من إفلاتهم من العقوبة التي يستحقونها، لأنهم قد يَظنّون كذبًا وزُورًا أن الله لا يطلع على أعمالِهم، أو أنه لا يقدرُ على عُقوبتهم، مثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٩] (١).

الآيات والأحاديث الواردة في الصفات المنفية

تقدمَ بيانُه أن الصِّفات المنفية تأتي مجملة ومفصلة، والأصل فيها الإجمال، والتفصيل لا يأتي لأسباب خاصَّة.

القسم الأول: الآيات والأحاديث الواردة على سَبيل النفي المجمل:

(١) نفي الشريك في الأُلوهية.

(٢) نفي اتخاذ الشريك في الرُّبوبية.

(٣) نفي اتخاذ الشريك في الأسماء والصفات (٢).

القسم الثاني: الآيات والأحاديث الواردة على سَبيل النفي المتصل المفصل:

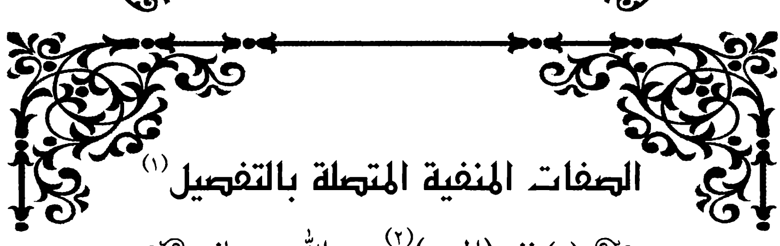
وهو نفي كل صِفة نقص مخصوصة بعينها (٣).

---

(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وكقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] انظر: «شرح القواعد المثلى» (١٣٥)، و«شرح العقيدة الواسطية» (٢/١٤١)، و«تقريب التدمرية» (٢١) لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) انظر تفصيل الأدلة في: كتابنا «صفات الله المنفية في الكتاب والسنة النبوية» (١٦٠ - ١٦٩).

(٣) سبق أنْ ذَكَرْنا أن صِفات الله تعالى المنفية تنقسم إلى نوعين: نفي متصل، ونفي منفصل: فالأول ضابطه: «نفي كل نقص، وكل ما يناقض، صفة من صفات كمال رَبِّنا تعالى القائمة بذاتِه تعالى، غير منفصلة عن ذاتِه العلا».



الصفات المنفية المتصلة بالتفصيل[1]

(١) نفي (الموت)[2] عن الله سبحانه

تضمن نفيِ هذه الصفة النقيصة: على كمال (حياة الله) وكمال (قيوميته).

(٢) نفي (الجهل، وخفاء الأمور)[3] عن الله تعالى

تضمن النفي على كمال (عِلْمه)، وشمول (رقابَتِه)، وسعة (إحاطتِه)، وعلى كمال (سمعه) و(بصره).

(٣) نفي (الإثقال)[4] عن الله عَزَّوَجَلَّ

تضمن النفي على كمال (عظمته) تعالى، و(حفظه)، وتمام (عزته)، و(قوته).

(٤) نفي (السِّنَة)[5] ـ النُّعاس ـ عن الله تعالى

تضمن هذا النفي على كمال (حياة الله)، وتضمن كذلك على كمال (قيومِيَّته).

---

(١) بلغ عدد الصفات المنفية في (البسيط) (٥٨) صفة، (٤٢) من الصفات المنفية المتصلة، و(١٦) في المنفصلة، أما في (الوسيط) فقد بلغت (٧١) صفة، (٥٢) من الصفات المنفية المتصلة، و(١٩) من المنفصلة.

(٢) قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].
وكان ﷺ يقول: «اللهم لكَ أسلمْتُ، وبكَ آمنتُ... أنت الحيُّ الذي لا يموتُ، والإنسُ والجِنُّ يموتون» مسلم (٢٧١٧) واللفظ له، والبخاري مختصرًا (٧٣٨٣).

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]. قال ﷺ: «إنَّ الله لا يَخْفَى عليكم». البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٤) قال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٥) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وجمع في الآية=



(٥) نفي (الضلال[١])[٢] عن رَبِّ العالمين

تضمن النفي على كمال (علمه)، و(حكمته)، و(لطفه).

(٦) نفي (التعب، والإعياء)[٣] عن الله جَلَّ جَلَالُهُ

تضمن النفي على كمال (عظمتِه)، وكمال (قوته)، وتمام (القدرة)، ونفوذ (الإرادة)، وسعة (المشيئة).

(٧) أ ـ نفي (النوم)[٤] ب ـ و(استحالة النوم)[٥] عن الله سبحانه

تضمَّنَ نفي هذه النقائص على كمال (حياة الله)، وعلى كمال (قيوميته).

(٨) نفي (العبث، واللعب، والباطل)[٦] عن الله تعالى

تضمن هذا النفي على كمال (حكمته)،و(حمده) ،و(أحقيته).

= في النفي بين السِّنَة والنوم، لأنه لا يلزم من نفي أحدِهما نفي الآخر، إذ يتصور مجيء النوم دفعة واحدة، من غير مبادئ النُّعاس، ومجيء النُّعاس دون النوم.

(١) الضلال يقع على: الخطأ، والضياع، والهلاك، والغياب.

(٢) قال سبحانه: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. وقال سبحانه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥].

(٤) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٥) قال ﷺ: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا ينامُ، ولا ينبغي له أنْ ينامَ» مسلم (٤٤٤). استحالة النوم صفة أخرى غير انتفاء النوم، لأنه ليس كل من انتفى عنه النوم ينتفي عنه استحالة النوم، فمثلًا: أهل الجنة لا ينامون، ولكن لا يستحيل عليهم النوم، ففي الأول: نفي وقوع الصفة، والثاني: نفي الصِّحَة، فالعطف تأسيس لا تأكيد، إذ لا يلزم من نفي الوقوع نفي الصحة.

(٦) قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]. وقال جل ثناؤه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]. وقال عز شأنه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

(٩) نفي (النسيان)[١] عن الله تبارك وتعالى

تضمن النفي على كمال (علمه)، وتمام (حفظه)، وسعة (حكمته)، و(إحاطته).

(١٠) نفي (العجز)[٢] عن الله جلَّ ثناؤه

تضمن هذا النفي على كمال (علمه)، و(قدرته)، ونفوذ (إرادته)، و(مشيئته) سبحانه.

(١١) نفي (الفقر)[٣] عن الله تبارك وتعالى

تضمن هذا النفي على إثبات كمال (غناه) سبحانه، وسعة (ملكه)، و(سلطانه).

(١٢) نفي (الخوف)[٤] عن الله سبحانه

تضمن هذا النفي على أنه هو (الملك) الأعلى، وعلى كمال (قهره)، و(عزته)، وسعة (قدرته)، وعلى كمال (علمه)، وتمكن (إرادته) في مُراده.

(١٣ ـ ١٤ ـ ١٥) نفي (إخلاف الوعد[٥] والعهد[٦]) و(تبديل القول)[٧] عن رَبِّ العالمين

تضمن على كمال (صدقه)، وكمال (قدرته)، وتمام (عدله).

---

(١) قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].
وقال ﷺ: «ما أحلَّ الله في كتابِه فهو حلالٌ، وما حرَّم فهو حرامٌ، ما سكتَ عنه فهو عافية، فاقبلُوا من الله العافية، فإنَّ الله لم يكن نَسِيًّا» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ رواه الحاكم (٤٠٦/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٥٦).

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].
قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كَذَّبَني ابنُ آدم، ولم يكن له ذلك، وشَتَمَني، ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبُه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيدَه كما كان...» البخاري (٤٤٨٢) (٤٩٧٤).

(٣) قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

(٤) قال سبحانه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤].

(٥) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩١].

(٦) قال تعالى: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٨٠].

(٧) قال جلَّ ثناؤه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩].



(١٦) نفي (الظلم)[(١)] عن الله سبحانه

تضمن النفي على كمال (عدله)، ومنتهى (قسطه) سبحانه، وتمام (غناه)، وغاية (حكمته)، و(حمده).

(١٧) نفي (الغفلة)[(٢)] عن الله عزَّ شأنُه

تضمن هذا النفي على كمال (علمه)، و(شهادته) ، و(مراقبته)، و(حفظه)، و(إحاطته) لكل شيء.

(١٨) نفي (البخل والغلول)[(٣)] عن الله سبحانه

تضمن على كمال (غِناه)، وسعة (كرمه)، (وعطائه)، و(إحسانه)، وتمام (فضله)، وسبغ (إنعامه) لِسائر مخلوقاته.

(١٩) نفي (الرزق)[(٤)] عن الله تعالى

تضمن هذا النفي على كمال (غِناه)، وكمال (صمديته)، وتمام (العزة)، و(الكبر)، (والكبرياء).

(٢٠) نفي (الاستحياء من الحقّ)[(٥)] عن الله تعالى

تضمن هذا النفي على كمال (حيائه)، وعلى كمال (أحقيته)، وتمام

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠].

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٠، ١٤٩].

(٣) الغل: كناية عن البخل، يقال: غلت يد فلان، وفلان مغلول اليد: كناية عن بخله، وإمساكه عن الإنفاق.
قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]

(٤) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧]

(٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٢]. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله: إنَّ الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسلٍ إلى احتلمتْ؟ قال: «نعم...» مسلم (٣١٠).




(بيانه)، وعلى كمال (حكمته)، و(عدله).

(٢١) نفي (رؤية الله في الدنيا بالأبصار)[١]

تضمن النفي على كمال (عظمة) الله تعالى وعلى (كبريائه)، و(جلاله)، و(عليائه)، وعلى كمال (لطفه)، و(رأفته).

(٢٢) نفي (أن يُظلم)[٢] سبحانه

تضمن نفي هذه الصفة على كمال (عزة) الله وتمامها، وعلى (جبروته)، و(كبريائه)، و(غناه)، و(تعاليه في عليائه).

(٢٣) نفي (تضييع الله تعالى أجور أحد من العباد)[٣]

تضمن على كمال (رأفته)، و(رحمته)، وكمال (عدله)، و(حفظه) سبحانه، وسعة (علمه)، و(خبرته)، و(صدقه).

(٢٤) نفي (الإطعام)[٤] عن الله ﷻ

تضمن على كمال (صمديته) تعالى، وشمول (إقاتته)، وسعة (رزقه)، وتمام (غِناه).

(٢٥) نفي (إدراك الخلق لله تعالى بالأبصار في الآخرة)[٥]

تضمن على غاية (عظمته)، وكمال (كبريائه)، وتمام (سعته)،

(١) قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

(٣) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

(٤) قال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

(٥) قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].




و(إحاطته) بما سواه سبحانه، وعلى (لطفِه).

(٢٦) نفي (الضُّر)[١] عن الله عزَّ شأنُه

تضمن النفي على كمال (العزَّة)، وتمام (الغِنى)، و(العُلا)، و(الجبروت)، وعلى غاية (المجد).

(٢٧) نفي (المُبالاة[٢])[٣] عن الله سبحانه

تضمن هذا النفي على كمال (سلطانِه) تعالى، و(فضله)، و(إحسانه)، و(غِناه) العالي سبحانه.

(٢٨) نفي (امتناع عن الله تعالى فعل ما أرادَ)[٤] سبحانه

تضمن النفي على إثبات كمال ضِدِّه، وهو: (سهولة الأمر) على الله تعالى في كلِّ ما أرادَ، وشاء، فهو سبحانه (يفعل ما يَشاء)، وأنه تعالى (فَعّال لِما يُريد).

وتضمن على كمال (قوته)، وعلى شُمول (قدرته)، ونفوذ (إرادته).

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ١٧٧]. وقال ﷺ فيما يَحكيه عن رَبِّه تعالى، وفيه: «... يا عبادي إنَّكم لنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فتضُرُّوني ...» مسلم (٢٥٧٧).

(٢) المبالاة: الاهتمام والاكتراث.

(٣) قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ [الفرقان: ٧٧]. وقال رسول الله ﷺ: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لكَ على ما كان منكَ ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغَتْ ذُنوبُكَ عنانَ السَّماء ثم استغفَرْتَني غفرتُ لكَ ولا أُبالي...» رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٩/١) (١٢٧).

(٤) قال تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر: ١٦ - ١٧]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن العَزْل؟ فقال: «ما مِنْ كُلِّ الماء يكونُ الولد، وإذا أرادَ اللهُ خلقَ شيءٍ لم يَمنعْه شيءٌ». وقال ﷺ: «.... وإنَّ رَبِّي قال: يا محمَّد! إنِّي إذا قضيتُ قضاءً، فإنَّه لا يُرَدّ» مسلم (١٤٣٨).



(٢٩) نفي (النفع)[١] عن الله سبحانه

تضمن هذا النفي على كمال (غِناه)، ورفعة (سلطانه)، وعزِّ (كبريائه)، وعلى (مجدِهِ)، و(حمده).

(٣٠) نفي (الكذب)[٢] عن الله تعالى

تضمن هذا النفي على كمال (صدق) الله سبحانه، و(قدرته)، و(قوته)، و(عظمته).

(٣١ - ٣٢) نفي (الصمم) ونفي (الغيْبة[٣])[٤] عن الله سبحانه

تضمن نفيُهما على كَمال (سمعه) تعالى، ولِكَمال (بصره)، و(علمه)، و(قربه).

(٣٣) نفي (العَوَر)[٥] عن الله جلَّ شأنُه

تضمن على كمال (بصره) سبحانه، وعلى إثبات كمال عينيه[٦]، السالمتين من كل نقصٍ، وعيب، وآفة.

(٣٤) نفي (أن يكون لله مكره) تبارك وتعالى

تضمن هذا النفي على كمال (فعل) الله تعالى، وتضمَّن على كمال (قدرته)[٧]،

---

(١) قال ﷺ فيما يَرويه عن رَبِّه عَزَّوَجَلَّ: «... يا عبادي إنَّكم لن تبلُغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني...» مسلم (١٤٣٨).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كذَّبَني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتمَني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إياي، فزعم أنِّي لا أقدر أن أعيدَه...»

(٣) الغَيْبة: خلاف الحُضور، والمُشاهدة.

(٤) قال ﷺ: «أربعوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّكم تدعون سَميعًا، بصيرًا، قريبًا، وهو معكم» البخاري (٢٩٩٢) (٤٢٠٢) (٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٥) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه...» البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٦) نفي العور يتضمن إثبات العينين، لأنَّ الأعور من فقد إحدى عينيه.

(٧) لأن له كَمال القدرة التامَّة، التي لا تتخلف في أي حالٍ، ولا لحظة، لا يعترضه عجز، ولا فُتور، ولا يفوته مطلوب، فأنى يصيبه أو يلحقه مكروه؟.

وشمول (إرادته)، وتمام (قوته).

(٣٥) نفي (الشّرّ)(١) عن الله جَلَّ جَلَالُهُ

تضمن النفي على كمالِه تعالى على الإطلاق، فهو الكامل في (ذاتِه)، و(أسمائه)، و(صفاته)، و(أفعاله)، وفي (أقواله، وكلماته)، و(سلطانه).

(٣٦ - ٣٧) نفي (تبديل) أو (تحويل سُنَّة الله(٢))(٣) سبحانه

تضمن النفي على كمال (حكمة) الله تعالى، وتمام (عدله)، و(سلطانه)، وشمول (إرادته)، و(قدرته).

(٣٨) نفي (الإحاطة بالله)(٤) تبارك وتعالى

تضمن على كمال (علم) الله تعالى، وكمال (عظمته)، و(كبريائه)، و(جلاله)، و(إحاطته)، و(لطفه)، وأنه أكبر، وأعلى، وأجل من كلِّ شيء سبحانه.

(٣٩) نفي (تعاظم شيء)(٥) على الله جل شأنه

تضمن النفي على كمال (عظمته) سبحانه، وجَلال (سلطانه)،

---

(١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه كان إذا قام من الصَّلاة قال: «وجَّهْتُ وجهي...» إلى أنْ قال: «والشَّرُّ ليسَ إليكَ». مسلم (٧٧١).

(٢) الفرق بين التبديل والتحويل: أن التبديل: رفعُ، والتحويل: تغير، فالله تعالى لا تتبدل سنته فترفع على من أراد عليهم العذاب فتبدل بنعيم، ولا تحول إلى قومٍ آخرين فيسلم من استحقَّها، ولهذا جاء تخصيص كل صفةٍ بعينِها.

(٣) قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

(٤) قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٥) قال رسول الله ﷺ: «إذا دَعا أحدُكم، فليعظم الرغبة، فإنَّه لا يتَعاظم على الله شيءٌ» «صحيح أبي داود» (١٣٣٣)، و«صحيح موارد الظمآن» (٢٣٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

و(قهره)، (وجبروته)، وأنه (الفعال لِما يُريد).

(٤٠) نفي (الخِيانَة)[١] عن الله عَزَّوَجَلَّ

تضمن على كمال (عدل) الله سبحانه، وتمام (حكمته)، و(حمده)، و(طيبته).

(٤١) نفي (تبديل خلق الله)[٢] سبحانه وتعالى

تضمن هذا النفي على كمال (خلقه)، و(قدرته)، و(مشيئته)، ونفوذ (إرادته)، وعلى كمال (حكمته).

(٤٢) نفي (الباطل عن كتاب)[٣] الله عَزَّوَجَلَّ

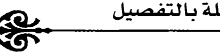
تضمن النفي على أنه سبحانه (حَقًّا) من كل وجه، وتضمن على كمال (حفظه) و(صدقه) و(حكمته).

* * *

(١) قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١].

(٢) قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

(٣) قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

الصفات المنفية المنفصلة بالتفصيل[(١)]

(١)(٤٣) نفي (أن يكون لله والد)[(٢)] سبحانه

تضمن هذا النفي على كمال وتمام (الغِنَى)، وعلى كمال (صمديته)، و(أحديته)، و(وحدانيته).

(٢)(٤٤) نفي (اتخاذ الصاحبة)[(٣)] عن الله تعالى

تضمن هذا النفي على (جَلال) الله تعالى، و(عظمته)، وعلى تفرُّدِه (بِخَلقِه).

(٣) (٤٥) نفي (اتخاذ الولد)[(٤)] عن الله سبحانه

تضمن نفي هذا النقص على كمال (الغِنى) لله تعالى من كل وجه، وعلى كمال (العِزَّة)، و(الأحدية)، و(الصمدية).

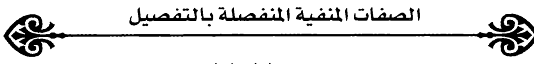
---

(١) هذا النوعُ الثاني من صِفات رَبِّنا الجَليل المنفية، وقد تقدم بيان معناه: أن المقصود منه نفي ما افْتَراه الجاهِلون ونَسَبوه إلى الله تعالى من الأشياء المنفصلة عنه تعالى من النَّقائص، الغير القائمة بِذاته العليَّة.
وضابط هذا النوع: تنزيهُ رَبِّ العالَمين عن أنْ يُشاركه أحدٌ من خلقِه في شيء من خَصائصه التي لا تنبغي إلّا له، من التوحد، والتفرد بالكمال على الإطلاق.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]. كما في الحديث القدسي: «كذَّبَني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتَمَني ولم يكن له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحدُ الصَّمَدُ الذي لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كُفُوًا أحد» البخاري (٣١٩٣) (٤٩٧٤).

(٣) قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجنّ: ٣]. وكما في حديث رؤية الله تعالى يوم القيامة، وفيه: «فيدعى اليهود فيُقال لهم: مَنْ كنتم تعبدون ؟ قالوا: كُنّا نعبد عزيرًا ابن الله، فيُقال لهم: كذبتم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد...» البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٤٥٣).

(٤) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة: ١١٦].



(٤) (٤٦) نفي (الظهير[1])[2] عن الله تعالى

تضمن النفي على كمال (ولايته) سبحانه العامة والخاصّة، وعلى كمال (الملك)، و(الغنى)، و(عظمة السلطان)، وسعة (القدرة)، وتمام (القوة).

(٥) (٤٧) نفي (اتخاذ ولي من الذُّلِّ)[3] عن الله سبحانه

تضمن على كمال (غِناه)، و(عظمته)، و(عِزَّته)، و(اقتداره)، و(كبريائه).

(٦) (٤٨) نفي (الإجارة[4])[5] عن الله عَزَّوَجَلَّ

تضمن النفي على كمال (سِيادته) تعالى، وكمال (ملكه)، و(سلطانه)، و(حكمته)، و(عدله)، و(قهره)، و(كبريائه).

(٧) (٤٩) نفي (سؤال الله عما يفعل)[6] سبحانه

تضمن على كمال (عظمته)، وتفرده (بالألوهية)، و(السلطة الذّاتيَّة)، وعلى كمال (الحكمة)، و(دَقائق اللطف)، و(العدل).

(٨) (٥٠) نفي (القول على الله تعالى بلا علم)[7]

تضمن على كمال (سلطانه) تعالى، و(كبريائه)، و(جلاله)، و(عليائه).

---

(١) الظهير: المعين، والمعتمد.

(٢) قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

(٣) قال وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

(٤) الإجارة: الحماية، والاستغاثة.

(٥) قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

(٦) قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

(٧) قال تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].
وقال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: «من ذا الذي يتألى (أي: يحلف) عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك» مسلم (٢٦٢١).




(٩) (٥١) نفي (الشفاعة إلّا بإذنه)[(١)] سبحانه

تضمن على كمال (توحيده) سبحانه، و(غِناه) عن خلقه، وكمال (ملكه)، و(ربوبيته)، و(هيمنته)، و(عظمته)، و(جَلاله).

(١٠) (٥٢) نفي (التعقيب على حكم الله)[(٢)] سبحانه

تضمن على كمال (ملك) الله تعالى، و(سلطانه)، وتمام (عزته)، و(عظمته)، وشمول (حكمه) وسعة (حكمته)، و(عدله).

(١١) (٥٣) نفي (أن يكون للخلق ولي من دون الله)[(٣)] تعالى

تضمن على كمال (السلطان)، و(الملك)، وتمام (السيادة) لله سبحانه، وكمال (الولاية العامَّة والخاصَّة).

(١٢) (٥٤) نفي (أن يظن بالله تعالى ظن السوء)[(٤)] سبحانه

تضمن هذا النفي على كمال (حمده) سبحانه، و(طيبته)، و(قدسيته)، و(سلامته) على الإطلاق، عن كل نقص، ومن ذلك: الظن والخيال الباطل.

(١٣) (٥٥) نفي (اختيار غيره على اختياره)[(٥)] سبحانه

تضمن النفي على كمال (حكمه) سبحانه، و(حكمته)، وكمال (سيادته)،

---

(١) قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٢) ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِى ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١]. ودعاء الوتر الذي علّمه النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «... فإنّك تقضي ولا يُقْضَى عليكَ». «صحيح أبي داود» (١٢٨١).

(٣) قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

(٤) قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]. وقال رسول الله ﷺ: «... لا تتهم الله على شيءٍ قَضاهُ عليكَ» رواه أحمد (٥/٣١٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٠٧) (٢/١٠٥).

(٥) قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]




و(كبريائه)، وعلى سعة (مشيئته)، ونفوذ (إرادته).

(١٤) (٥٦) نفي (التَّبِيع[١])[٢] عن الله ﷻ

تضمن هذا النفي على كمال (العِزَّة)، وكمال (العلو)، و(التعالي)، و(الكبرياء) له سبحانه.

(١٥) (٥٧) نفي (خروج أحدٍ من سلطان)[٣] الله تعالى

تضمن هذا النفي على «كمال (سلطانه) سبحانه، ونفوذ (مشيئته)، و(قدرته)»، وشمول (إحاطته) لكل ما سِواه، وعلى سعة وتمام (حكمه) الذي لا يعتريه زَلَل، ولا خلل.

(١٦) (٥٨) نفي (الحرج في شرع الله)[٤] سبحانه

تضمن على كمال (رأفته) بأوليائه، وعلى غاية (الرفق) بهم، و(لطفه)، و(مننه) عليهم، وعلى تمام (عفوه)، وسعة (حكمته)، و(خبرته) ﷻ.

** ** **

(١) المعنى في اللغة: التبيع: الاتباع: اقتفاء الأثر، يقال: تبعه، وأتبعه. والتبيع: الطالب بحق، أو ثأر، فكل من طلب بثأر أو غيره، يقال له: تبيع، وتابع. «عمدة الحفاظ» (١/٢٥٥).

(٢) ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩].

(٣) قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

(٤) قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]. وقال عز شأنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].




الفهرس





